

مولانا

مَجَلَّةُ تَرَاثِيَّةٍ فَصَلِيَّةٍ مُحْكِمَةٍ



مركز تراثية كميوية علوم اسلامية

محتويات

العدد

المورد . العدد الرابع . المجلد التاسع والعشرون . ٢٠٠١

■ الموردة

- فرض الحصار واستمراره
مصلحة اميركية - صهيونية د . محمد البكاء ٣ - ٤

■ بحوث ودراسات

- الجهاد في القرآن الكريم د . محمد البكاء ٥ - ١٤
- الصف القتالي عبر الايام والليالي / عرض وتحليل عبد القادر التحافي ١٥ - ٢٤
- المبرد والقراءات القرآنية د . علي ناصر غالب ٢٥ - ٤١
- القراءات القرآنية الشاذة في
غريب القرآن للسجستاني د . صالح مهدي عباس ٤٢ - ٥٢
- كعب بن زهير بين القرية
والانتماء في نصه الشعري د . عبد الرزاق خليفة الدليمي ٥٣ - ٦٢
- مجالس ابن الجوزي في بغداد وآثارها الاجتماعية أ . د . حسن عيسى الحكيم ٦٣ - ٦٦
- مشيخة الفزاة ونورها في بلاد الأندلس د . مزاحم علاوي الشاهري ٦٧ - ٧٤
- مقام الاطباء عند الخليفة المتوكل على الله أ . د . بهجت كامل عبد اللطيف ٧٥ - ٨٠
- الطب العراقي واثره في الطب اللاتيني د . محمود الحاج قاسم محمد ٨١ - ٨٦

■ النصوص المحققة والفهارس

- زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره أ . د . ايهم عباس القيسي ٨٧ - ٩٤
- مخطوطات خزانة احمد سالم الكيلاني اسامة ناصر النقشبندى ٩٥ - ١١٢

■ نقد وتعقيب

- نظرات نقدية في كتاب غرر البلاغة
في النظم والنثر للثعالبي عباس هاني الجراخ ١١٢ - ١٢٢

الجديد في المكتبة

- كتاب الانبياء في العراق د . رعد شمس الدين الكيلاني
عرض : نجلة محمد ١٢٢ - ١٢٥
- اخبار التراث العربي اعداد : حسن عريبي ١٢٦ - ١٢٨

فرض الحصار واستمراره مصلحة امريكية صهيونية

د. محمد البكاء

هناك معادلة تحكم مسار السياسة الخارجية الاميركية وتطبيقاتها . حتى وان اتسمت بالسلبية في معالجة الكثير من المشكلات الدولية وكانت سببا في : (إثارة قضايا اخلاقية تدعو للقلق البالغ) على حد تعبير بيرجنسكي . ولعل جوهر هذه المعادلة ينطلق من حقيقة ان : (الكيان الصهيوني) يمثل بالنسبة لاميركا (مصلحة حيوية) . وان عراق ما بعد ثورة ١٧ - ٣٠ من تموز ١٩٦٨ م . يمثل تهديدا حقيقيا وجادا لهذه المصلحة . بعد ان افصح عن حقيقة موقفه من الصراع العربي - الصهيوني . لما تمثله القضية الفلسطينية كمسألة مركزية في سياسته الخارجية (اقليميا ودوليا) . وسعيه الحثيث لبلورة موقف عربي موحد يتلخص في الرفض لكل محاولات التسوية على حساب حق تقرير المصير . ومن ثم مناهضته السياسة الاميركية في فرض (السلام) المزعوم !! على العرب . لذا فليس في وسع السياسة الخارجية الاميركية والكيان الصهيوني اغفال دور العراق المناهض هذا او تجاهله على مختلف الصعد (العسكرية ، السياسية ، الفكرية) ، او ما يكونه من ثقل مركزي ، ومركز استقطاب عربي واسلامي في مجمل هذا الصراع .

لذلك كان العراق هدفا ستراتيجيا سعت اليه اميركا وكيانها المسخ في محاولة بائسة لعزل اقليميا ودوليا . وتهميش علاقاته عربيا ، واضعافه . بعد ان باءت كل محاولات استرجاعه او دفعه للتخلي عن منهجه الاستقلالي بالفشل الذريع ، وليس ببعيد عن الذاكرة الدور الاميركي - الصهيوني طيلة ثماني سنوات (قادسية صدام المجيدة) في اطالة امد الحرب التي كانت تعبيراً عن نيات عدوانية مبيتة لاسباب جيوبوليتيكية وجيوستراتيجية او في تغذية آلة العدوان تلك . وبعد ان تحقق النصر المبين في الثامن من اب ١٩٨٨ . ونهوض العراق بمهمته القومية الدفاعية التي قاتل فيها نيابة عن الامة العربية . ناهيك عن مهمته الوطنية في تعزيز البناء الثوري . والتجربة النموذج . التي ارسى دعائمها باقتدار عال السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه كان لا بد ان يتمحور الجهد الاميركي - الصهيوني التآمرى تجاه العراق مرة اخرى بعد ان فشلت حرب النيابة في ان تحقق النتائج المتوخاة منها ، واتخاذ اساليب اكثر خبثا . واشد تأمرا بعد ان اتضحت مؤشرات العودة الى مستويات التنمية الى مرحلة ما قبل الحرب بون اغفال التفاعلات المتداخلة في النظام الاقتصادي والمالي العالمي ، والعودة الى اقتصاد السلم . والتنمية والتعاون الاقليمي والدولي بطرائق بديلة ، واستثمار نصر القادسية المجيدة في الارتقاء بالمستوى الجهادي لامة العرب من صيغ التعبير باضعف الايمان الى مستوى الاستشهاد . وتأكيد الاقتدار في قيادة المسيرة النضالية لامة العرب لبناء مشروعها النهضوي الحضاري .

وبذا فقد شهد عام ١٩٨٨ م انبثاق لجنة تعاون وتلسيق أميركي - صهيوني لمواجهة ما سمي حينذاك ببرامج التسليح العربية . وكان للعراق النصيب الاوفر من متابعة هذه اللجنة وعملها . ولعل هذا ما كان يرمي اليه اللواء امنون شاحاك في حديثه لصحيفة يديموت احرونوت ٢١ / ٢ / ١٩٨٩ . « ان جيش العراق الضخم وقدرته القتالية عقب حرب الخليج ، والقدرة الصناعية . والبنية التقنية اللتين بنتهما الدولة في سنوات الحرب بما في ذلك مجال الاسلحة ، كلها عوامل تتطلب من (اسرائيل) ان تتابع جيدا ما يحدث في هذه الدولة » .

ذلك لان الجيش العراقي كما يرى رون بن يشاي في حديثه للجريدة نفسها في ٢٨ / ٧ / ١٩٨٩ قد اكتسب في حرب الخليج تجربة قتالية ولوجستية عظيمة القيمة .

وان هذه التجربة على ما يذكر زئيف شيف في هارتس (٢٤ / ٨ / ١٩٨٩) قد جعلت من العراق : (قوة اقليمية . وان القوة العسكرية والقدرة التي يمتلكها تمثل تهديدا ، علينا ان نحسب في ظلها امكان اشراكها في حرب ضدنا .. على (اسرائيل) ان تضاعف من جهودها لمعرفة

ما يجري في العراق حتى لا نفاجأ) .

وفضلاً على ذلك التنسيق الأميركي - الصهيوني لايذاء العراق ، كان هناك اسهام بعض الاطراف العربية ، وفي المقدمة منها : نظام الخيانة من آل صباح في زعزعة الاقتصاد العراقي . والذي كان نوعاً من الحرب غير المعلنة ، وهذا ما أشار اليه السيد الرئيس القائد صدام حسين في مؤتمر قمة بغداد في ٣٠/٥/١٩٩٠ : « ان الحرب تحصل احياناً بالجند ويحصل الايذاء بالتفجيرات ، وبالقتل ، وبمحاولات الانقلاب ، واحياناً اخرى يحصل بالاقتصاد » .

وبعد الاستغلال البشع لاختلال التوازن الدولي من قبل اميركا ، وتجييش أكثر من ثلاثين دولة في محاولة لاستهداف العراق ومن خلاله أمة العرب ، ونهضتها ، كانت « ام المعارك الخالدة » تمبيراً عن طاقة الأمة الروحية ، وموقفها المبدئي في انجاز مشروعها الحضاري . ناهيك عن تعرية واسقاط أنظمة الخيانة العربية التي حاولت التستر على مقاصدها الدنيئة في النيل من المشروع القومي المستقبلي للأمة بعد ان سخرت ارضها وسماها لتكون منطلقاً للعدوان الثلاثيني الغادر . ومن ثم تمويل أخته الحربية ، واسهامها المباشر في تمديد اطالة امد الحصار الجائر في ما بعد . لقد كشفت المقاصد الحقيقية من وراء فرض الحصار الذي استغل ظروف اختلال التوازن الدولي لاصدار قرارات اميركية - صهيونية تستهدف العراق تحت غطاء دولي . ورغم ادراك هذه الحقيقة (عراقياً) ونياتها الشريرة الا ان الامل في رفع الحصار الجائر . كان وراء التزام العراق في تنفيذ تلك القرارات برغم الجور والظلم الذي انطوت عليه . وتيقنه من ان (اللجنة الخاصة) لا تتسم بالنزاهة والحياد المطلوبين في كل هيئة دولية ، خاصة بعد ان افتضح امر جواسيسها ، ولا سيما أولئك الذين تم ادخالهم في عضوية فرقها لخدمة اغراض تجسسية واستخبارية لصالح الكيان الصهيوني واميركا بعيداً عن (المهمة المهنية) التي كلفت فرق التفتيش بها بموجب قرارات مجلس الامن .

وامام موقف كهذا ، واصرار اميركا على استمرار الحصار بعد ان اوفى العراق بجميع التزاماته القانونية كما نصت عليها الفقرات (٨ - ١٢) من القرار (٦٨٧) . واصبح من حقه المشروع المطالبة بتنفيذ الفقرة (ج) من القرار المذكور ، نرى ان اميركا تعتمد مجدداً . الى محاولة طرح مشروع « المقويات الغبية » بصيغ الالتفاف والمراوغة البائسة التي تؤل في نهاية الامر الى رهن اقتصاد العراق ، وفرض الوصاية عليه ، وابتزاز دول الجوار ، والدول الصديقة التي رأت في استمرار الحصار (مصلحة اميركية - صهيونية) بعيداً عن الشرعية الدولية الزائفة التي تتبرقع اميركا في كنفها .

إن العراق الذي أعلن مواصلة العمل بمذكرة التفاهم ، قد أكد منذ البدء أن هذه (المذكرة) ليست البديل عن الحق الثابت والمشروع في رفع الحصار الجائر بحكم الالتزامات المتقابلة . بعد أن وفى العراق بكل ما يخصه ، وبقي على مجلس الامن أن يفي هو الآخر ، بالتزاماته والسعي لتطبيق الفقرة (١٤) من القرار (٦٨٧) بجعل المنطقة خالية من اسلحة الدمار الشامل ، وفي المقدمة (الكيان الصهيوني) الذي مازال محتفظاً بترسانته ، النووية ، الكيميائية ، البيولوجية . إن العراق إذ يؤكد عدم التزامه بأية تدابير ومفاهيم أو توجهات أنية أو مستقبلية لم تنص عليها مذكرة التفاهم بعد أن أشار القرار (١٣٨٢) في فقرته الثانية الى ما يسهم في تكبيل تجارة العراق الخارجية ، ومصادرة حقه المشروع في التنمية والتقدم ، فإنه ينطلق من حقيقة إراکه : أن القرار المذكور يمثل توجهاً مريباً في الربط التعسفي بين تنفيذ المرحلة الحادية عشرة من مذكرة التفاهم وتسريب مشروع المقويات (الغبية) في المرحلة اللاحقة لاحكام الطوق في فرض الحصار واستمراره ضماناً للمصلحة الاميركية - الصهيونية التي يمثلها هذا الحصار الجائر .

الجهاد في القرآن الكريم

د. محمد عبد المطلب البكاء



الجُهدُ والجُهدُ : الطاقة ، وقيل الجُهد : المشقة ، والجُهد : الطاقة . وقولنا جاهد العدو مُجاهدةً وجهاداً : قاتله وجاهد في سبيل الله . وفي الحديث : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، فالجهاد محاربة الأعداء ، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل ، والمراد بالنية إخلاص العمل لله ، أي أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأنها صارت دار إسلام ، وإنما هو الإخلاص في الجهاد ، وقتال الكفار . والجهاد : المبالغة ، واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطلق من شيء ^(١) . وقد جاءت لفظة (الجهاد) في القرآن الكريم بصيغ متعددة سنعرض لها بشيء من التفصيل مراعين في ذلك مستويات الخطاب القرآني ، وصيغ الاشتقاق ، ودلالاتها .

إِنَّ لَهَا فَوَارِسًا وَفَرَسًا
وَنَفْسَةً خَيٍّ وَمِزْجِي وَسَطًا
يَخْفُوْنَهَا مِنْ أَنْ تُسَامَ الشُّطَطَا

والتَّغْيِيرُ: القوم الذين يتقدمون فيه . والتَّغْيِيرُ الجماعة من الناس كالنَّفَر . والاستنفار: الاستتجاد والاستنصار، أي إذ طلب منكم النصرة فاجيبوا وانفروا خارجين عن الاعانة^(١١) .

يروى أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي (ﷺ) فقال: أَعْلِي أن أنفر، فقال: نعم، حتى أنزل الله عز وجل: ﴿ ليس على الأعمى حَرْجٌ ﴾^(١٢)

فدلالة الآية الكريمة: أن التَّغْيِيرَ مطلق غير مقيد أول الأمر، لذا قال السيوطي معناه: (إنفروا خفافاً وثقالاً) نشاطاً وغير نشاط، وقيل: أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء، وهي منسوخة، بقوله تعالى: ﴿ ليس على الضَّعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرْجٌ إذا نَصَحُوا لَهِ وَرَسُولُهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١٣) وقوله تعالى: ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أنه خيرٌ لكم فلا تتأقلوا^(١٤).

فـ (الواو) عطف أفاد مطلق الجمع، ذلك أن الجهاد يكون بالمال والنفس كما أمر الله سبحانه وتعالى . ثم رفع سبحانه: (الجزج والخرج)^(١٥) الإثم، عن (الضعفاء)، كالشيوخ، والمرضى، والذين لا يجدون ما ينفقون، قال السيوطي: « ليس على الضعفاء ولا على المرضى » كالعمي والزمنى « ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون » في الجهاد (حرج) إثم في التخلف عنه « إذا نصحوا لله ورسوله » في حال قعودهم بعدم الإرجاف، والتثبيط، والطاعة « ما على المحسنين » بذلك « من سبيل » طريق بالمواخذه « والله غفور » لهم « رحيم » بهم في التوسعة

في ذلك^(١٦) . ونقل عن السيوطي قوله: « لا كليل » في قوله تعالى: ﴿ ليس على الضعفاء ... ﴾ رفع الجهاد عن الضعيف والمريض ومن لا يجد نفقة ولا أهبة للجهاد، ولا محملاً^(١٧) . أما « الْمُعْتَذِرُونَ »^(١٨) بتشديد الذال، وتقرأ (الْمُعْتَذِرُونَ) .

فمن قرأ: (الْمُعْتَذِرُونَ) فتأويله الذين أعذروا، أي جاؤوا بمُذَرٍّ، ومن قرأ: (الْمُعْتَذِرُونَ) بتشديد الذال فتأويله (المعتذرون) إلا أن التاء أدغمت في الذال لقرب مخرجهما .

ومعنى المعتذرين الذين يعتذرون، كان لهم عذر أو لم يكن لهم . وهو ههنا أشبه بأن يكون لهم عذر، وانشدوا:

جاءت لفظة (جاهد) في القرآن الكريم مرتين (التوبة ٧٢) (التحريم ٨) وفي كلتا الآيتين، كان الخطاب الإلهي موجهاً للرسول الكريم (ﷺ) قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَنَسِ الْمَصِيرَ ﴾^(١٩)

أمر الله سبحانه نبيه الكريم (ﷺ) بجهاد الكفار والمنافقين، قال الزجاج: والمعنى جاهدكم بالقتل والحجة، فالحجة على المنافقين جهاد لهم^(٢٠) . فجهاد (الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة، وإقامة الحدود (واغلظ عليهم) في ذلك، ولا تحايهم (وماواهم جهنم ونس المصير) مصيرهم^(٢١) . و (الْغُلْظُ) : ضد الزقة في الخلق والطبع، والفعل والمنطق والمبش، ونحو ذلك^(٢٢) وفي قوله تعالى: ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ قال السيوطي: بالانتهاز والمقت^(٢٣) . أما (الْغُلْظَةُ) في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً ﴾ (التوبة ١٢٣) فقال الزجاج فيها ثلاث لغات: غُلْظَةٌ وَغُلْظَةٌ وَغُلْظَةٌ^(٢٤) وهي: الشدة، أي أغلظوا عليهم^(٢٥) .

• جَاهِدُوا

كما أمر سبحانه عباده المؤمنين بالجهاد، بقوله تعالى: (جَاهِدُوا) وقد جاءت هذه اللفظة أربع مرات (المائدة ٣٥) (التوبة ٤ ، ٨٦) (الحج ٧٨) . ففي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاذْكُرُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة ٣٥) . فقوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي خافوا عقابه بأن تطيعوه^(٢٦) . وقوله: ﴿ وَاذْكُرُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ معناه أطلبوا إليه القربة^(٢٧) . ﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ﴾ ، لإعلاء دينه^(٢٨) . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لعلكم تظفروا بعدوكم، والمفلاح الفائز بما فيه غاية صلاح حاله^(٢٩) .

أما قوله تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة ٤١) . فقيل: خفافاً وثقالاً، أي: موسرين ومعسرين، وقيل: خفافاً وثقالاً: خفت عليكم الحركة أو ثقلت، وقيل ركباناً ومُشاة، وقيل أيضاً: شباباً وشيوخاً^(٣٠) .

والتَّنْفَرَةُ والتَّنْفَرُ والتَّغْيِيرُ: القوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال، وكله اسم للجمع، قال:

الى الحول ثم اسم السلام عليكم
وَمَنْ يَنْتَكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ^(٢٢)

المعنى : فقد جاء بعذر ، ويجوز المُعْذِرُونَ - بكسر العين -
لان الاصل المعتذرون ، فاسكنت التاء وأدغمت في الذال ونقلت

حركتها الى العين ، فصار الفتح اولى الاشياء ، ومن كسر العين
حرك لالتقاء الساكنين ، ويجوز المُعْذِرُونَ ، باتباع الضمة التي
قبلها ، وهذان الوجهان - كسر العين وضمها - لم يقرأ بهما^(٢٣) ،
وانما يجوز في النحو ، وهما جهتان يثقل اللفظ بهما ، فالقراءة
بهما مطروحة ، ويجوز ان يكون المُعْذِرُونَ : الذين يَعْذِرُونَ ، يوهمون
أَنْ لَهُمْ عَذَارٌ وَلَا عُذْرَ لَهُمْ^(٢٤)

وقال السيوطي : (وجاء المعتذرون) بادغام التاء في

الاصل في الدال اي (المعتذرون) بمعنى (المعذورين) وقرئ
به ، الى النبي (ﷺ) « لِيُؤْنَنَ لَهُمْ » في القعود لعذرهم فإذا
لهم^(٢٥) . وذلك (إذا نَحَّضُوا) . قال المكبري : العامل فيه معنى
الكلام : أي لا يخرجون حينئذ .

اما قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ ﴾ هو معطوف على
الضعفاء فيدخل في خبر ليس ، وإن شئت عطفته على
المحسنين ، فيكون المبتدأ ﴿ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ، ويجوز أن يكون
المبتدأ محذوفاً : اي ولا على الذين الى تمام الصلة حرج او
سبيل^(٢٦) .

واشتَقَرَّ الإمام الناس لجهاد العدو فنَفَرُوا ينفرون إذا خَهِمَ
على النفير ودعاهم اليه ، ومنه قول النبي (ﷺ) : « وإذا
اِشْتَفَرْتُمْ فَاَنْفَرُوا » (النفير) في قوله (ﷺ) هو : إجابة
النَّصْرَةِ عند الطلب ، والخروج الى الإعانة^(٢٧) . اما من كان ذا عذر
فقد رفع الحرج عنه . ومنه قولهم « فلان لا في العير ولا في
النفير » قال الميداني : قال الاصمعي : يضرب هذا للرجل يَحْطُ
أَمْرُهُ وَيَضْفَرُ قدره^(٢٨) . فالعير ما كان منهم مع ابي سفيان ، والنفير

ما كان منهم مع عُتْبَةَ بن ربيعة قائد المشركين يوم بدر . لان
قبيل لقريش من بين العرب ، وذلك أن النبي (ﷺ) لما هاجر الى
المدينة ، ونهض منها لِيَتَلَقَّى عَيْرَ قريش سمع مشركو قريش بذلك ،
فنهضوا وَلَقَوْهُ ببدر لِيَأْمَنَ عَيْرَهُم المقبل من الشام مع ابي سفيان ،
فكان من أمرهم ما كان ، ولم يكن تَخَلَّفَ عن العير والقتال إِلَّا زَمَنُ
أو من لا خير فيه^(٢٩) .

اما قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ
مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا
رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(٣٠) ف (لولا) للتخصيص ، وهي
داخله على الفعل الماضي فتفيد التوبيخ والتنديد^(٣١) على ترك
الفعل فيما مضى والأمر به في المستقبل . والفرقة والطائفة
بمعنى ، لكن سياق الكلام هنا و (من) التبعيضية يقتضيان ان
المراد بـ (الفرقة) هنا الجماعة الكثيرة ، وأن (الطائفة)
جماعة اقل من الفرقة المرادة هنا . وعن السلف في سبب نزول
الاية روايتان : رواية ابن عباس تجعل (النَّفَرُ) المنهي عنه هو
نفر المؤمنين جميعاً للجهاد ، نهوا عن ذلك لما يترتب عليه من
الاخلال بالتعلم ، فكما ان الجهاد فرض في الدين ، كذلك تلقى
العلم عن الرسول ، وأخذ الاحكام المتجددة عنه فرض من فروض
الدين فلا ينبغي ان يكون في اقامة احد الفرضين اخلال بالآخر ،
ومن الميسور ان نجتمع بين الفرضين ، ونؤدي كلا من الواجبين ،
وطريق ذلك ان تنفر للجهاد طائفة من كل فرقة ، وتبقى طائفة
اخرى تتفقه في الدين ، وتسمع من الرسول (ﷺ) حتى اذا رجع
اليهم اخوانهم من الغزو ، علموهم ما تلقوه من احكام الدين ، وعلى
هذا المعنى لا يكون قوله تعالى : ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا ﴾ متعلقاً بـ (نفر)
لان النفر في الجهاد ليس علة في التفقه . وانما هو متعلق بفعل
مفهوم من الكلام ، اذ المعنى لتنفر من كل فرقة طائفة ، وتبقى
طائفة لِيَتَفَقَّهُوا في الدين ، فضمير يتفقهوا او ينذروا الى الطائفة
الباقية .

ورواية مجاهد تجعل النفر المنهي عنه هو خروجهم جميعاً
لطلب العلم ، والتفقه في الدين نهوا عن ذلك لما فيه من الاخلال
بتماطي اسباب الكسب والابتغاء من فضل الله وخيره بالتجارة
والزراعة ووسائل الكسب فكما ان طلب العلم ومعرفة الحلال
والحرام من فرائض الدين ، كذلك ابتغاء فضل الله بهذه الوسائل
من فرائض الدين فلا ينبغي ان تكون احدى العبادتين سبباً في
الإخلال بالآخرى ، والجمع بينهما ميسور بان تنفر من كل فرقة
طائفة لتتفقه في الدين وتعلم قومها اذا رجعت اليهم ، وهذا
المعنى هو مقتضى ظاهر الآية ، واتساقها فان النفر على هذا
المعنى يكون علة للتفقه في الدين ، والطائفة النافرة هي التي
تتفقه في الدين ، وهي التي تنذر قومها اذا رجعت اليهم . لكن يعكر
على هذا المعنى ان الآية تكون منقطعة عما قبلها ، فإن ما قبلها
وارد في شأن الجهاد والغزو في سبيل الله ونصرة دينه ، الا ان
يقال انه سبحانه وتعالى لما بين وجوب الهجرة والجهاد وكل
منهما سفر للعبادة ناسب ذلك ان يذكر السفر الآخر ، وهو الهجرة
لطلب العلم ، والتفقه في الدين ، والاية على كلا الرأيين تدل على
ان التفقه في الدين من فروض الكفاية^(٣٢) .

وقال الزجاج : المعنى انهم اذا بقيت منهم بحضرة النبي (ﷺ) بقية فسمعوا منه وخياً أعلموا الذين نفروا ما علموا فاستووا في العلم ، ولم يخلوا منه . وجائز - والله اعلم - ان يكون هذا دليلاً على ان فرض الجهاد يجزي الجماعة فيه عن الجماعة (٣٢)

ونقل النحاس عن الاخفش قائلًا : حكني الاخفش (إنفروا) (خِفَافًا وَثِقَالًا) نصبٌ على الحال ، وفيه قولان : احدهما انه منسوخ بقوله : « فلولاً نَفَرُ من كل فرقة منهم طائفة » (٣٣) والآخر انه غير منسوخ لان الجهاد فرضٌ الا ان بعض المسلمين يحملُهُ عن بعض فاذا وقع الاضطراب وجب الجهاد على كل احد (٣٤) اما جزاء من يتأخر عن التَّغِيرِ ، فقد وضحه الله سبحانه وتعالى ، بقوله : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْقِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . (التوبة ٨١)

المعنى : بان قعدوا المخالفة رسول الله - ويقرأ خَلَفَ رسول الله - ويكون ههنا انهم تأخروا عن الجهاد في سبيل الله (٣٥) . وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ، وقال بعضهم لبعض لا تخرجوا الى الجهاد « في الحرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا » من تبوك ، فالاولى ان يتقوها بترك التخلّف (٣٦) . وهذا وعيدٌ في ترك الجهاد (٣٨) ايثاراً للدعة ، والخفض على طاعة الله ، وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج (وقالوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْقِ) اي : قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تنبيهاً (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا) وقد آثرتموها بهذه المخالفة (٣٩) .

رأى المؤمنون بالله واليوم الآخر (التوبة ٤٤) فقال الزجاج : لا يستأذنك هؤلاء في ان يجاهدوا ، فموضع « أن » نصبٌ ، حذف (في) فافضى الفعلُ فَتَنَصَّبَ « أن » قال سيبويه : ويجوز ان يكون موضعها جزأً ، لان حذفها ههنا انما جاز مع ظهور « أن » فلو أظهرت المصدر لم تحذف (في) (لا يستأذنك القوم الجهاد) حتى تقول في الجهاد ، ويجوز : لا يستأذنك القوم ان يجاهدوا (٤٠) .

ونقل ابو جعفر قول الزجاج ، قال : قال ابو اسحاق : التقدير في أن يجاهدوا ، وقال غيره : هذا غلط وانما المعنى ضد هذا ، ولكن التقدير (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) في التخلّف لئلا يجاهدوا ، وحقيقته في العربية كراهة ان لا يجاهدوا كما قال عز وجل : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا ﴾ (٤١) . وذهب البيضاوي الى ان : ليس من دعاة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فإن الخلف منهم يبادرون اليه ، ولا يتوقفون على الإنن فيه فضلاً ان يستأذنوك في التخلّف عنه او

ان يستأذنوك في التخلّف كراهة ان يجاهدوا (٤٢) .

لذا قال الله سبحانه : « ولو أرادوا الخروج لأَعَدُّوا له عُدَّةً » (التوبة ٤٦) فتركهم العُدَّة دليل على إرادتهم التخلّف (٤٣) . وهم (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) فتخصيص الايمان بالله عز وجل واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿ وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يَتَرَدَّدُونَ ﴾ اي يتحيرون (ولو أرادوا الخروج لأَعَدُّوا له) للخروج (عُدَّة) اهبة ، وقريء (عده) بحذف التاء عند الاضافة ، لقوله :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجْنَوُا الْبَيْنَ فَنَاجِرُوا
وَأَخْلَفُوا عَدَا الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا

وعدة (بكسر العين) باضافة وغيرها « ولكن كره الله انبعاثهم » استدراك عن مفهوم قوله : ولو أرادوا الخروج . كانه قال : ما خرجوا ولكن تُبْطُوا لانه تعالى كره انبعاثهم ، اي نهوضهم للخروج (فَتَبَطُّهُمْ) فحبسهم بالجبن والكسل (٤٤) . قال الزجاج : التَّبْطِيطُ رُكُّ الإنسان عن الشيء يفعله ، اي كره الله ان يخرجوا معكم فردهم عن الخروج . ثم اعلم - عز وجل - لم كره ذلك ، فقال : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً » (التوبة ٤٧) والخبال : الفساد ، وذهاب الشيء (٤٥) . قال الشاعر :

أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَا بِيَدِ

إِلَّا يَدَا مَخْبِسُولَةِ الْفُضُولِ (٤٦)

اي فاسدة العضد (٤٧) .

لقد رتب الله سبحانه وتعالى على المتخلفين عن الجهاد من غير عذر (الاية ٩١ من سورة التوبة) احكاماً أبلغ بها رسوله الكريم ، منها :

• منع خروجهم في الجهاد ثانية ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُواكَ لِلْخُرُوجِ ، فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تَقَاتِلُوا مَعِيَ عُنُوًا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعَمُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (التوبة ٨٣)

يخاطب الله نبيه الكريم ، بالقول : فإن ركد الله من تبوك الى من تخلف بالمدينة من المنافقين فاستأذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى . فقل لهم لن تخرجوا معي ابدًا ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم (٤٨) . وهذا كما قال البيضاوي : إخبار في معنى النهي للمبالغة (٤٩) .

• عدم الصلاة عليهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ (التوبة ٨٤) .

معه ﴿ عطف عليه ﴾ جاهدوا باموالهم وأنفسهم ﴿ في موضع الخبر ﴾ .

﴿ فضل الجهاد ﴾

قال الله تعالى ﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ﴾ (العنكبوت ٦) فقله تعالى : ﴿ ومن جاهد ﴾ جهاد حرب او نفس ﴿ فإنما يجاهد لنفسه ﴾ فإن منفعة جهاده له لا لله ﴿ إن الله لغني عن العالمين ﴾ الإنس والجن والملائكة ، وعن عبادتهم^(٥٦)

وقال البيضاوي : « ومن جاهد » نفسه بالصبر على مضى الطاعة والكف عن الشهوات « فإنما يجاهد لنفسه » ، لأن منفعة لها « ان الله لغني عن العالمين » فلا حاجة به الى طاعتهم ، وإنما كلف عباده رحمة عليهم ، ومراعاة لصلاحهم^(٥٧) . والقول الاول اعم ، وهو قول السيوطي ، لأن الجهاد قد يكون جهاد حرب او جهاد نفس . قال رجل لرسول الله (ﷺ) : اي الناس افضل يا رسول الله ؟ قال : مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل معتزل في شعب من الشعب يعبد ربه^(٥٨) .

وقوله تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستؤن عند الله ﴾ (التوبة ١٩) التقدير : اجعلتم اصحاب سقاية الحاج ، وقيل : التقدير كايامن من آمن بالله ، وجعل الاسم موضع المصدر إذ علم معناه^(٥٩) .

واختلف الناس في تفسير هذه الآية ، فقيل : إنه سال المشركون اليهود ، فقالوا نحن سقاة الحاج ، وعمار المسجد الحرام . أفنحن افضل ام محمد واصحابه ؟ فقالت لهم اليهود عناداً للنبى (ﷺ) : انتم افضل .

وقيل : انه تفاخر المسلمون المجاهدون والذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا ، فاعلم الله - جل وعز - ان المجاهدين والمهاجرين اعظم درجة عند الله ، فقال : ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون ﴾^(٦٠) (التوبة ٢٠)

فعلى القول الاول : يكون المعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ، ثم قرر ذلك بقوله : ﴿ لا يستؤن عند الله ﴾ وبين عدم تساويهم بقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعادة الرسول عليه الصلاة والسلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووقفهم للحق والصواب ؟

يروى انها نزلت في عبد الله بن أبي ، وكان رأس المنافقين فلما حضرته الوفاة بعث الى رسول الله (ﷺ) يسأله احد ثوبيه ليكفن به ، فبعث اليه رسول الله باحدهما . فارسل المنافق الى رسول الله اريد الذي كان يلي جلدك من ثيابك ، فوجه اليه رسول الله (ﷺ) بذلك . فقيل له فيه : لم وجهت اليه بقميصك يكفن به وهو كافر ، فقال : ان قميصي لن يغني عنه شيئاً من الله ، وإنني أؤمل من الله ان يدخل في الاسلام خلق كثير بهذا السبب ، فيروى انه اسلم من الخزرج الف لما راوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ، واراد الصلاة عليه .

فنزل الوحي عليه (ﷺ) : ﴿ ولا تضل على أحد منهم ﴾ ويروى انه (ﷺ) صلى عليه . وانما مجاز الصلاة عليه انه كان ظاهره ظاهر الاسلام ، فاعلمه الله - عز وجل - انه اذا علم منه الخفاق فلا صلاة عليه ، ولا تقم على قبره^(٦١) .

وقال البيضاوي : ذهب (ﷺ) ليصلي عليه فنزلت ، وقيل : صلى (ﷺ) ثم نزلت ، وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ، ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم ، ولانه كان مكافاة للإباسة العباس قميصه حين اسر بيدر ، والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له ، وهو ممنوع في حق الكافر ، ولذلك رتب النهي على قوله - مات ابداً - يعني الموت على الكفر ، فإن احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحيى^(٦٢) . وتامم الآية ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ تعليل للنهي او لتأييد الموت^(٦٣) .

ومثلهم « أولو الطول » في الاستئذان ، رضا ان يكونوا مع الخوالم ، بقولهم : ﴿ نرنا نكن مع القاعدين ﴾ (التوبة ٨٦) وأولو الطول ، قيل ، هم : أولو الغنى ، وقيل : أولو الفضل في المعنى والرأي والجاه ، والطول الفضل في القدرة على هذه الاشياء ، وقوله تعالى : ﴿ رضا بان يكونوا مع الخوالم ﴾ اي النساء ، ويجوز ان يكون جمع خالفة في الرجالة ، والخالف الذي هو غير منجذب ، ولم يأت في (فاعل) (فواعل) الا في حرفين (فارس) (فوارس) و (هالك) (هوالك)^(٦٤) .

﴿ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ (التوبة ٨٧) ، ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة ، وما في التخلف من الشقاوة ، (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم ﴾ (التوبة ٨٨) اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ﴿ واولئك لهم الخيرات ﴾ منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا ، والجنة والكرامة في الآخرة ﴿ واولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالمطالب^(٦٥) .

فقله تعالى : ﴿ لكن الرسول ﴾ ابتداء ﴿ والذين آمنوا ﴾

وقيل : المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ﴾ أعلى رتبة ، وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من اهل السقاية والمعامرة .^(١١)

ويمثل هذا التصور وهذه الروح وجه عبد الله بن المبارك (توفي سنة ١٨١ هـ) رسالته من ثغور الروم سنة ١٧٧ هـ الى صاحبه الفضل بن عياض المجاور بمكة المتعبد فيها ، مخاطباً له بصورة مباشرة مبيناً له العبادة الحقة ، ومواظباً بين العبادتين : الجهاد في الثغور ، والصلاة في ظلال الكعبة ، ويبين الفرق الكبير بينهما ، قائلاً :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لوجدت انك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه
فحسورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تلعب
ريح العبير لكم ونحن عبيدنا
وهج السناجب والغبار الاطيب
ولقد اتاننا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في
أنف إمريء وذخسان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهييد بميت لا يكذب^(١٢)

لقد ختم ابن المبارك قصيدته مضمناً اياها الحديث النبوي الشريف « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابد »^(١٣) وقول الله سبحانه : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾ (ال عمران ١٩٦) وقوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ، ولكن لا تشعرون ﴾ (البقرة ١٥٤)

كما وصف الله سبحانه المجاهدين ، بقوله : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، والذين آؤوا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ (الانفال ٧٤) فوصفهم بالمؤمنين حقاً ، وذلك لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد ، وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم ، فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لاتبعة له ، ولا منة فيه ، ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسيمتهم

فقال : ﴿ والذين آمنوا من بغد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم ﴾ (الانفال ٧٥) اي : من جملتكم ايها المهاجرون والانصار .^(١٤)

وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب لقوله تعالى : ﴿ اولئك بعضهم اولياء بعض ﴾ . (الانفال ٧٢) حتى نسخ بقوله تعالى : « وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ﴾ (الانفال ٧٥) اي : بعضهم في الموارث اولى ببعض . قال الزجاج : وهذه الموارث في الولاية بالهجرة منسوخة ، نسخها ما في سورة النساء من الفرائض^(١٥) . وقال السيوطي : « وأولوا الارحام » نوى القربات « بعضهم اولى ببعض » في الإرث من التوارث في الايمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة .^(١٦)

فـ (أولوا الارحام) اصحاب القرابة ، وهو جمع رحم كـ (كنف ، وقفل) ، واصله رحم المرأة ويسمى به في الاقارب لانهم في الغالب من رحم واحد ، وفي اصطلاح علماء الفرائض هم الذين لا يرثون بفرض ولا تعصيب .

والمعنى المتبادر من نص الآية انها في ولاية الرحم والقرابة ، بعد بيان ولاية الايمان والهجرة ، فهو عز وجل يقول : ﴿ وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ﴾ اجدر واحق من المهاجرين والانصار الاجانب بالتناصر والتعاون ، وكذا التوارث في دار الهجرة في عهد وجوب الهجرة ، ثم في كل عهد ، هم اولى بذلك (في كتاب الله) اي في حكمه الذي كتبه على عباده المؤمنين ، ووجب به عليهم صلة الارحام ، والوصية بالوالدين ، وذي القرابة في هذه الآية وغيرها .

وجملة القول : ان اولوية اولي الارحام بعضهم ببعض هو تفضيل لولايتهم على ما هو اهم منها من ولاية الايمان ، وولاية الهجرة في عهدها . فالقريب اولى بقريبه ذي رحمه المؤمن المهاجر والانصاري من المؤمن المهاجر . واما قريبه الكافر فإن كان محارباً للمؤمنين ، فالكفر مع القتال يقطعان له حقوق الرحم . ثم ختم هذه السورة بقوله « ان الله بكل شيء عليم » فهو تذييل لجميع احكام السورة وحكمها مبين انها محكمة لا وجه لنسخها ولا نقضها .

فالمعنى انه شرع لكم هذه الاحكام في الولاية العامة والخاصة والمهود وصلة الارحام عن علم واسع محيط بكل شيء من مصالحكم الدينية والدنيوية .^(١٧)

فإذا كان (الجهاد) بذل الجهد بقدر الوسع والطاقة ومصارعة المشاق ، فإنه اما ان يكون بالاموال ، وهو قسمان : مباشر ، وهو انفاقها في التعاون ، والهجرة ، ثم الدفاع عن دين الله كصرفها للكرار والسلاح ، وعلى المحاويع من المسلمين ، وغير

مباشر، وهو سخاء النفس بترك ما تركوه في وطنهم عند خروجهم منه .

وأما ما كان منه بالنفس، فهو قسمان أيضاً : قتال الأعداء ، وعدم المبالاة بكثرة عددهم وعدتهم ، وما كان كان قبل إيجاب القتال من مغالبة الشدائد والصبر على الاضطهاد ، والهجرة من البلاد^(٧٨) وهو في حاله كليهما له فضل كبير عند الله ، قال تعالى في وصف المجاهدين : ﴿ انهم المؤمنون حقاً ﴾ (الانفال ٧٤) وأولئك هم المهاجرون الأولون اصحاب الهجرة الأولى قبل غزوة بدر . وربما تمتد او يمتد حكمها الى صلح الحديبية سنة ست وهم ﴿ اعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون ﴾ (التوبة ٢٠) .

الثاني : « والذين آووا ونصروا » وهم الانصار ، ووصفهم بأنهم الذين آووا الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ومن هاجر من اصحابه ، ونصروهم ولولا ذلك لم تحصل فائدة الهجرة ، اذ كانوا انصاراً لرسول الله ﴿ ﷺ ﴾ يقاتلون من قاتله ، ويمادون من عاداه ، ولذلك جعل الله حكمهم كحكم المهاجرين واحداً في قوله : ﴿ أولئك بعضهم اولياء بعض ﴾ . (الانفال ٧٢)

أما عموم الجهاد ، فقد قال الله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنُغْنِيَنَّهُمْ سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ (المنكوت ٦٩) اي : في حقنا ، فإطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بأنواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير اليها ، والوصول الى جنابنا ، او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير ، وتوفيقاً لسلوكها ، كقوله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هُدًى ﴾ (محمد ١٧)^(٧٩)

وقوله تعالى : ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ (الحجرات ١٥) وقد جاءت في وصف (المؤمنين) الذين لم يشكوا من ارتاب مطاوع رأيه اذا اوقعه في الشك مع التهمة ، وفيه اشارة الى ما أوجب نفي الايمان عنهم ، و « ثم » للأشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل ، وجاهدوا في طاعة الله ، والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية بأسرها ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ الذين صدقوا في ادعاء الايمان^(٨٠) وقال السيوطي : (الصادقون) في ايمانهم ، لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الاسلام^(٨١) .

ولذلك خاطب سبحانه المؤمنين بقوله : ﴿ يا ايها الذين آمنوا من يَرْتَدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يُحِبُّهُمْ ويحبُّونه أَزَلَّةٌ على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ (المائدة ٥٤) « فسوف يأتي الله بقوم يحبُّهم ويحبُّونه » في موضع النعت « اذلة على

المؤمنين » نعت ، اي يُرَوِّفون بهم ويرحمونهم^(٨٢) ، والمعنى : اي يأتي الله بقوم مؤمنين غير منافقين « اذلة على المؤمنين » اي جانبهم لئلا على المؤمنين ، ليس انهم اذلاء مهانون « اعزة على الكافرين » اي جانبهم غليظ على الكافرين .

وقوله : ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ لان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويظاهرونهم ، ويخافون لومهم ، فاعلم الله - عز وجل - ان الصحيح الايمان لا يخاف في نصره الدين بيده ولا لسانه لومة لائم^(٨٣) . فـ (يجاهدون في سبيل الله) صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في (اعزة) ، (ولا يخافون لومة لائم) عطف على (يجاهدون) بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب او حال بمعنى انهم مجاهدون ، وحالهم خلاف حال المنافقين فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعلمون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم ، واللومة المزة من اللوم وفيها من تنكير (لائم) مبالغة^(٨٤) .

• منزلة المجاهدين

قال الله تعالى : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غَيْرُ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ (النساء ٩٥)

قرئت « غير أولي الضرر » بالرفع و (غير) بالنصب ، فاما الرفع فمن جهتين ، احدهما : ان يكون (غير) صفة للقاعدين ، وان كان اصلها ان تكون صفة للذكورة . المعنى : لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر ، اي لا يستوي القاعدون الاصحاء والمجاهدون ، وان كانوا كلهم مؤمنين ، ويجوز ان يكون (غير) رفعا على جهة الاستثناء . المعنى : لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولو الضرر ، فإنهم يساؤون المجاهدين ، لان الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر ، والضرر ان يكون ضريراً او اعمى او زَمناً او مريضاً^(٨٥) .

فقوله : « لا يستوي القاعدون » عن الحرب « من المؤمنين » في موضع الحال من القاعدين ، وصاحب الحال (القاعدون) والعامل (يستوي) ، ويجوز ان يكون حالاً من الضمير في القاعدين ، فيكون العامل فيه (القاعدون) لان الالف واللام بمعنى الذي^(٨٦) . « غير أولي الضرر » . قرأ أهل الكوفة ، وأبو عمرو (غير أولي الضرر) . قال الاخفش : هو نعت للقاعدين^(٨٧) لانه لم يقصد به قصد قوم باعيانهم ، وقيل هو بدل من القاعدين^(٨٨) واليه ذهب محمد بن يزيد ، قال : « هو بدل لانه ذكره

والاول معرفة «^(٧١)» وقرأ أبو حيو « غير اولي الضرر » جعله نعماً للمؤمنين^(٨٠) او بدلاً منه . ومن زيد بن ثابت : انها نزلت ولم يكن فيها « غير اولي الضرر » فقال ابن مكنوم ، وكيف وانا اعمى ؟ فغشى رسول الله (ﷺ) في مجلسه الوحي ، فوقعت فخذة على فخذتي حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه ، فقال : اكتب « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر »^(٨١) وقرأ بالنصب على الاستثناء من (القاعدين)^(٨٢) او (المؤمنين) او حالاً . (والمجاهدون) معطوف على القاعدين^(٨٣) اي : لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة ، وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعاً لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته^(٨٤) .

وقوله تعالى : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى » (النساء ٩٥) وقد قال بعد هذا (درجات) (الاية ٩٦) فالجواب : ان معنى (درجة) علواً اي اعلاهم ورفعهم بالثناء والمدح والتقريض ، فهذا معنى (درجة) و (درجات) يعني في الجنة . قال ابن محييز سبعين درجة^(٨٥) . وقال البيضاوي : (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لما ذفي الاستواء فيه والقاعدون على التقيد السابق ، و (درجة) منصوب بنزع الخافض اي (بدرجة) او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى نوي درجة^(٨٦) وهذا ما ذهب اليه العكبري من قبل^(٨٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ٩٥) نصب (أجراً) على المصدر لان (فضل) بمعنى (اجر) او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء ، كانه قيل : وأعطاهم زيادة على القاعدين اجرًا عظيمًا^(٨٨) وإن شئت كان مصدرًا^(٨٩) وقوله (درجات) في موضع نصب بدلاً من قوله (اجرًا عظيمًا) وهو مفسر للآخر . المعنى : فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة . وجائز ان يكون منصوباً على التوكيد لاجرًا عظيمًا ، لان الاجر العظيم هو رفع درجات من الله جل وعز - والمغفرة والرحمة . ويجوز الرفع في قوله : (درجات ومغفرة ورحمة) ولو قيل درجات منه ومغفرة ورحمة ، كان جائزاً على إضمار تلك درجات منه ومغفرة^(٩٠) وقال السيوطي : « درجات منه » منازل بعضها فوق بعض من الكرامة « ومغفرة ورحمة » منصوبان بفعلهما المقدّر^(٩١) وقيل (درجات) التقدير : نوي درجات ، وقيل في درجات و (مغفرة) قيل هو معطوف على ما قبله ، وقيل : هو مصدر : اي ، وغفر لهم مغفرة ، و (رحمة) مثله^(٩٢) ويجوز : ان ينتصب (درجات) على المصدر ، كقولك : ضربته سوطاً ، و (اجرًا) على الحال منها

تقدمت عليها لانها نكرة « ومغفرة ورحمة » على المصدر باضمار فعليهما ، كرر تفضيل (المجاهدين) وبألف فيه اجمالاً وتفصيلاً ، تمظيماً للجهاد وترغيباً ، وقيل الاول : ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر ، وجميل الذكر . والثاني : ما جعل لهم في الآخرة . وقيل ، المراد بالدرجة الاولى : ارتفاع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى وبالدرجات : منازلهم في الجنة . وقيل : القاعدون الاول ، هم الاضراء ، والقاعدون الثاني ، هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم ، وقيل المجاهدون الاولون : من جاهد الكفار ، والآخرين من جاهد نفسه . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر »^(٩٣) .

اما قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٢) فـ (أم) هنا منقطعة ، اي : بل احسبتم ، و (ان تدخلوا) ان والفعل يسد مسد المفعولين . وقال الاخفش المفعول الثاني محذوف^(٩٤) (ويعلم الصابرين) قرأها الحسن بالكسر على العطف ، ومن قرأها (وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ) فعلى النصب بالواو ، المعنى ولما يقع العلم بالجهاد ، والعلم بصبر الصابرين ، ولما يعلم الله ذلك واقعاً منهم ، لانه - جل وعز - يعلمه غيباً ، وانما يجازيهم على عملهم^(٩٥) .

وقال العكبري : يقرأ بكسر الميم عطفاً على الاولى^(٩٦) ويضمها على تقدير : وهو يعلم ، والاكثر في القراءة الفتح ، وفيه وجهان : احدهما : انه مجزوم ايضاً لكن الميم لما حركت لالتقاء الساكنين حركت بالفتح اتباعاً للفتحة قبلها ، والوجه الثاني : انه منصوب على إضمار (أن) والواو ههنا بمعنى الجمع كالتي في قولهم : لا تأكل السمك وتشرب اللبن . والتقدير : اظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الله المجاهدين ، وان يعلم الصابرين ، ويقرب عليك هذا المعنى انك لو قدرت الواو بـ (مع) صح المعنى والإعراب^(٩٧) ونسب النحاس القول بالنصب (يعلم) الى الخليل ، قال : وهو عند الخليل منصوب باضمار ان ، وقال الكوفيون : هو منصوب على الصرف ، فيقال لهم ليس يخلو الصرف من ان يكون شيئاً لغير علة او لعل ، فان كان لغير علة جاز ان يقع في كل موضع ، وهم يمنعون هذا ، وان كان لعل فللعللة نصب ، ولا معنى لذكر الصرف^(٩٨) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد ٣١) فالابتلاء في اللغة : الاختبار^(٩٩) . فقيل : المعنى لنشئبن عليكم في التعب ، وذلك الامر بالجهاد ، والنهي عن المعاصي . . يدل على ذلك (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) و (نبلوا اخباركم) اي

ومن خلال ما تقدم ذكره في الايتين السابقتين ، تظهر منزلة الجهاد كاختبار آلهي والصبر على مشاقه ومشاق غيره من التكاليف الشرعية . وما يترتب على هذا الاختبار من إظهار الطاعة او العصيان ، وعليهما يكون الجزاء . الله اجعلنا من ﴿ الذين يستمعون القول فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب ﴿ (الزمر ١٨) .

ما عملتم فيما تمبذتم به (١٠٠) .
ويذا اراد الله سبحانه اختبار عباده : بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقه (ونبلوا اخباركم) ما يخبره عن اعمالكم فيظهر حسناتها وقبحها ، او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها (١٠١) .

الهوامش والتعليقات

- (٢٩) ينظر : اللسان (نفر)
(٣٠) التوبة ١٢٢
(٣١) ينظر : المغني ٣٦١
(٣٢) تفسير ايات الاحكام ٤٨ / ٣ - ٥٠
(٣٣) معاني القرآن واعرابه ٥٢٨ / ٢ . وينظر : تفسير الجلالين ٢٦٣
(٣٤) التوبة ١٢٢
(٣٥) اعراب القرآن ٢ / ٢٠
(٣٦) معاني القرآن واصوبه ٥١٣ / ٢
(٣٧) تفسير الجلالين ٢٥٥
(٣٨) معاني القرآن واعرابه ٥١٣ / ٢
(٣٩) انوار التنزيل واسرار التأويل ٤٢٦ / ١
(٤٠) معاني القرآن واعرابه ٤٩٨ / ٢
(*) النساء (١٧٦)
(٤١) اعراب القرآن ٢ / ٢١
(٤٢) انوار التنزيل واسرار التأويل ٤١٧ / ١
(٤٣) معاني القرآن واعرابه ٤٩٩ / ٢
(٤٤) انوار التنزيل واسرار التأويل ٤١٧ / ١
(٤٥) ينظر : اللسان (خبل)
(٤٦) البيت في اللسان (خبل) أنشد آوس وفيه (لستم)
(٤٧) معاني القرآن واعرابه ٤٩٩ / ٢
(٤٨) تفسير الجلالين ٢٥٥
(٤٩) انوار التنزيل واسرار التأويل ٤٢٦ / ١
(٥٠) معاني القرآن واعرابه ٥١٣ / ٢ ، ٥١٤
(٥١) انوار التنزيل واسرار التأويل ٤٢٧ / ١
(٥٢) السابق
(٥٣) معاني القرآن واعرابه ٥١٥ / ٢ . وينظر : اعراب القرآن ٢ / ٣٤
(٥٤) انوار التنزيل واسرار التأويل ٤٢٧ / ١ . وينظر : تفسير الجلالين ٢٥٦
(٥٥) اعراب القرآن ٢ / ٢٤
(٥٦) تفسير الجلالين ٥٢٠
(٥٧) انوار التنزيل واسرار التأويل ٢ / ٢٠٤
(٥٨) رواه البخاري ومسلم

- (١) ينظر : اللسان (جهد)
(٢) ينظر : سورتي (التوبة ٧٣) و (التحريم ٩)
(٣) معاني القرآن واعرابه ٥١١ / ٢
(٤) انوار التنزيل واسرار التأويل ٤٢٣ / ١ ، ٤٢٤
(٥) اللسان (غلط)
(٦) تفسير الجلالين ٢٥٣
(٧) معاني القرآن واعرابه ٥٢٨ / ٢ . وينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٣
وقال البيضاوي (٤٣٦ / ١) : وقرئ بفتح الغين وضما ، وهما لفتان فيها .
(٨) تفسير الجلالين ٢٦٣
(٩) تفسير الجلالين ١٤٣ .
(١٠) معاني القرآن واعرابه ١٨٧ / ٢
(١١) تفسير الجلالين ١٤٣
(١٢) معاني القرآن واعرابه ١٨٧ / ٢
(١٣) السابق ٤٩٧ / ٢
(١٤) ينظر : اللسان (نفر)
(١٥) الفتح (١٧)
(١٦) التوبة (٩١)
(١٧) ينظر : تفسير الجلالين ٢٤٧
(١٨) ينظر : اللسان (خرج)
(١٩) تفسير الجلالين ٢٥٦
(٢٠) ينظر : السابق ٢٥٧
(٢١) التوبة (٩٠)
(٢٢) ينظر : شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ٢١٤
(٢٣) قال المكبري : قوله تعالى (وجاء المعزون) يقرأ على وجوه كثيرة .
ينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢ / ١٩ ، و ٤ / ٢٠ قوله تعالى (مُزَيِّنِينَ)
(٢٤) معاني القرآن واعرابه ٥١٤ ، ٥١٥
(٢٥) تفسير الجلالين ٢٥٦
(٢٦) إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٠
(٢٧) ينظر : اللسان (نفر)
(٢٨) كتاب الامثال للاصمعي ٢١٨

- (٨٢) وهي قراءة الكسائي ونافع وابن عامر . ينظر : الكشف عن وجوه
القراءات السبع ١ / ٣٦٩
(٨٣) املاء مامن به الرحمن ١ / ١٩١
(٨٤) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٨٥) اعراب القرآن ١ / ٤٤٧
(٨٦) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٨٧) ينظر : املاء مامن به الرحمن ١ / ١٩١ . و اضاف ، وقيل : هو واقع
موقع الظرف ، اي : في درجة ومنزلة
(٨٨) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨ . وينظر : املاء مامن به الرحمن ١ / ١٩٢ ،
واعراب القرآن ١ / ٤٤٨
(٨٩) اعراب القرآن ١ / ٤٤٨
(٩٠) معاني القرآن و اعرابه ١ / ١٠١ . وينظر : اعراب القرآن ١ / ٤٤٨
(٩١) تفسير الجلالين ١١٨
(٩٢) املاء مامن به الرحمن ١ / ١٩٢
(٩٣) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩
(٩٤) املاء ما من به الرحمن ١ / ١٥٠
(٩٥) معاني القرآن و اعرابه ١ / ٤٨٦ .
(٩٦) قراءة الحسن ويحيى بن يعمر . ينظر : اعراب القرآن ١ / ٣٦٨
(٩٧) املاء مامن به الرحمن ١ / ١٥٠ ، ١٥١
(٩٨) اعراب القرآن ١ / ٣٦٧
(٩٩) ينظر : اللسان (بلا)
(١٠٠) اعراب القرآن ٣ / ١٨١
(١٠١) انوار التنزيل ٢ / ٣٩٧ ، وينظر : تفسير الجلالين ٦٧٧ .

- (٥٩) اعراب القرآن ٢ / ٩
(٦٠) معاني القرآن و اعرابه ٢ / ٤٨٥
(٦١) انوار التنزيل و اسرار التأويل ١ / ٤٠٩
(٦٢) التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ٥٩٦
(٦٣) رواه الترمذي
(٦٤) انوار التنزيل و اسرار التأويل ١ / ٤٠٣
(٦٥) معاني القرآن و اعرابه ٢ / ٤٧١
(٦٦) تفسير الجلالين ٧٥
(٦٧) ينظر : تفسير آيات الاحكام ٣ / ١٣ ، ١٤
(٦٨) السابق ٣ / ١٠
(٦٩) انوار التنزيل و اسرار التأويل ٢ / ٢١٥
(٧٠) السابق ٢ / ٤١٢
(٧١) تفسير الجلالين ٦٨٧
(٧٢) اعراب القرآن ١ / ٥٠٤
(٧٣) معاني القرآن و اعرابه ١ / ٢٠١
(٧٤) انوار التنزيل و اسرار التأويل ١ / ٢٨٠
(٧٥) معاني القرآن و اعرابه ٢ / ٩٩ ، ١٠٠
(٧٦) املاء ما من به الرحمن ١ / ١٩١ . وينظر : انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٧٧) اعراب القرآن ١ / ٤٤٧
(٧٨) املاء مامن به الرحمن ١ / ١٩١ . وينظر : انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٧٩) ينظر : اعراب القرآن ١ / ٤٤٧
(٨٠) السابق . وينظر : املاء مامن به الرحمن ١ / ٥٩١
(٨١) انوار التنزيل ١ / ٢٢٨

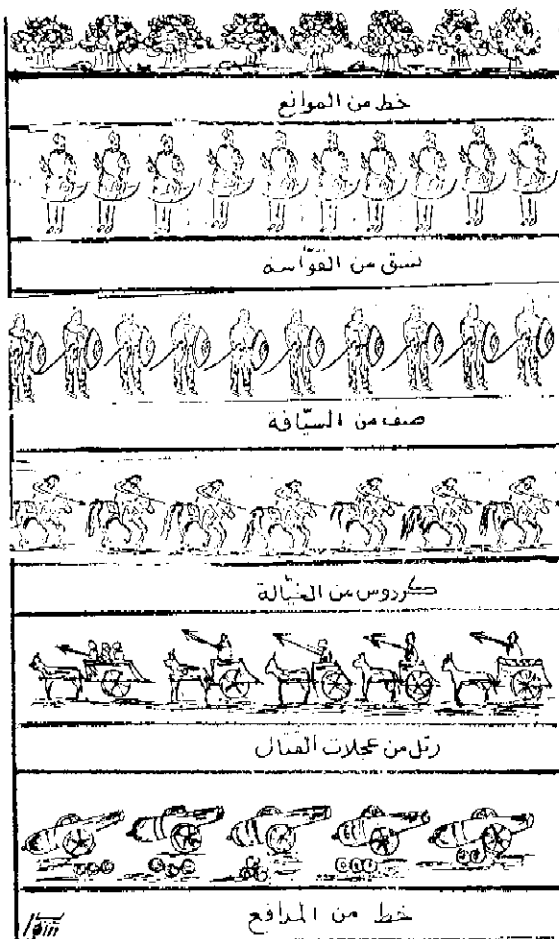
* مصادر البحث ومراجعته

- شرح ديوان لبدي بن ربيعة العامري - تحقيق وتقديم د . احسان عباس ، الكويت ١٩٦٢
- كتاب الامثال للأصمعي - تحقيق د . محمد جبار المعبيد ، دار الشؤون الثقافية بغداد ٢٠٠٠
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق د . محيي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - دمشق مطبعة خالد ابن الوليد ١٩٧٤
- لسان العرب لابن منظور - دار صادر ، بيروت
- معاني القرآن و اعرابه للزجاج - شرح وتحقيق د . عبد الجليل عبده شلبي منشورات المكتبة العصرية - بيروت
- المفني لابن هشام - تحقيق د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - دار الفكر ، بيروت ط ٣ ١٩٧٢

- القرآن الكريم
- اعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - تحقيق د . زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٧
- املاء مامن به الرحمن لأبي البقاء العكبري - تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، البابي الحلبي - مصر ط ٢ ١٩٦٩
- انوار التنزيل و اسرار التأويل - تفسير ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البياضوي - البابي الحلبي - مصر ط ٢ ١٩٦٨
- تفسير آيات الاحكام - اشرف الشيخ محمد علي السائيس ، مطبعة محمد علي صبيح (ب ، ت)
- تفسير الجلالين للسيوطي - قدم له وعلق عليه محمد كريم بن سعيد راجح ، مكتبة النهضة - بغداد مطبعة بابل ١٩٨٤
- التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول - د . مجاهد مصطفى بهجت ، مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت ط ١ ١٩٨٢

الصف القتالي عبر الايام والليالي

✿ عبد القادر التهامي / حميد ركن



✿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَّانُ
مرصوص ✿ الصف / ٤

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ،
نبينا محمد الأمين المبعوث هداية للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين
الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .
أما بعد :

١ . فالغرض من هذا المقال تصوير ما في الذهن والواقع أو تجبير ما في
النظرية والتطبيق على مهاد لوحة متحركة فوق مدرجة الزمن النقال
للتعبير عما لصفوف القتال من هيئات وأحوال . وقد عنونته بسجعة
« الصف القتالي عبر الايام والليالي » تساوقاً مع تراثية الموضوع المنتخب
وتطابقاً مع ما عرف عن العرب بخاصة من تسميتهم المعارك بالايام .
فأيام العرب وقائعها ، وقد خضوا الايام دون الليالي في الوقائع لان حروبهم
كانت تقع نهاراً في الاغلب الاعم . كـ « يوم ذي قار » و « يوم حليمة » .
واذا كانت الوقعة ليلاً قالوا : ليلة كذا . كـ « ليلة أوقد في خزازي » ،
و « ليلة الهرير » .

٢ . ولعل هذا المقال سيتخذ من كتاب « الرسول القائد » لمؤلفه محمود
شيت خطاب ، العقيد الركن ، محوراً لمعالجة الآراء ومتابعة الاجواء ، فهو
منطلق الأحياء .

طلعت علينا طبعة الكتاب الاولى ببغداد سنة ١٩٥٨ م . ثم
تتابعت الطباعات وتوزعت الترجمات على بضع لغات . وكان كتاباً
منوّر السطور مبتكر الأمور ، سباقاً الى كسب المبادرة في الربط بين
التراث والمعاصرة ، وكان الرائد لمن بعده والقائد لمن تلاه ، وما اكثر
من قرطس على غرضه . وأنا منهم . فجزى الله المؤلف ابن
خطاب زلفى وحسن ثواب . ثم اطلت علينا الطبعة الخامسة سنة
١٩٧٤ م فاذا بالنصوص المقتبسة هنا ذات نصوص الاولى .
٣ . من اراد الكتابة عن الصف القتالي أو نظام الصف عليه ان

يناقش ما كتب من جاء بعده لتحديد المعنى المعروف والشكل
المألوف بغية ايقاف ما ينجم من اختلاف يفرضه تباين الرؤية الى
حقيقة لتأويلها اكثر من وجه تتنافر فيها الآراء وتتناحر الاهواء .
✿ محور النقاش

٤ . تكلم مؤلف الرسول القائد على أساليب القتال فقال : « ...
ويبتكر الاسلام القتال بأسلوب الصف الذي لم تكن العرب تعرفه

آنذاك . بل كانت تقاتل بأسلوب الكرّ والغزّ . » ثم عطف بآية الصف . ومن بعض ما قال : « ... دخل المسلمون معركة بدر بأسلوب الصف وهو أسلوب جديد في القتال لم تعرفه العرب من قبل وسيطرة قائد واحد ... أما المشركون فقد مارسوا أسلوب قتال الكر والغز بدون قيادة ولا سيطرة . »

وتحت عنوان « تعبئة جديدة » قال : « ... والقتال بأسلوب الصفوف يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة أو أكثر بحسب عددهم ، وتكون الصفوف الامامية من المسلحين بالرمح لصّد هجمات الفرسان وتكون الصفوف المتعاقبة الاخرى من المسلمين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الاعداء . وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها حتى يفقد زخم المهاجمين بالكر والغز شدته ، عند ذلك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو . » وعن الكلام على « دروس من بدر » قال : « ... استطاع الرسول ﷺ السيطرة على قواته بأسلوب الصف والاحتفاظ باحتياط للطوارئ . لقد كان أسلوب الصف جديداً بينما كان أسلوب الكر والغز بالياً . »^(١)

● مقتبسات متشابهات

٥ . وصلّا بما تقدم وعوداً الى ما كتبت ومن كتبت حول الصف القتالي بعد خطاب — قدر اطلاعي — أثرت أن اقول أن أغلب من كتب اقتبس نصوص خطاب نفسها مبنئ أو كاد أن يلّم بها معنى .

وفي جريدة المظان تبليان باسماء الكتب التي في أكبر الظن أن نصوصها تلامس معاني « الرسول القائد » مع الاشارة الى ارقام صفحات النصوص ذوات العلاقة القريبة^(٢) .

وحيث ان حركة العلم دائبة والنظريات العلمية عرضة للتحوّل والتغيير ، وحيال هذا الملحظ وفي مجال صيرورة الزمن أضيف الى ما تقدم اشارات الى نصوص أخرى ذات علاقة بموضوع الصف كتبت قبل أو بعد صدور كتاب « الرسول القائد » ولم تتأثر به لكنها دارت في فلكه^(٣) .

٦ . ألف العميد الركن سيف الدين سعيد كتاباً خصصه لنقد كتاب « الرسول القائد » نقداً مهيناً وعاماً ، أسماه « الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي ميزان » . ومما جاء فيه : « اما عن ابتكار القتال بأسلوب الصف في غزوة بدر القتال ... والاستشهاد بالآية الرابعة من سورة الصف ، فان في ذلك اكثر من نظر ... ولا يمكن القول أن الرسول ﷺ كان قد تعلم القتال بأسلوب الصف ... أو عمل به استرشاداً بآية سورة الصف لنزولها

بعد غزوة بدر القتال . وأن قول المؤلف الكاتب محمود بأن أسلوب الصف يؤمن العمق والاحتياط ويساعد القائد على معالجة المواقف الطارئة قول غير سديد من وجهة نظر العسكرية الحديثة . إن أسلوب الصف لا يؤمن العمق ولا الاحتياط ولا يساعد القائد على معالجة المواقف الطارئة .

كما ان الترتيب الذي افترضه المؤلف من ان (الرماحة) تكون في الصفوف الامامية وتكون (القواسة) من ورائها لا يمكن ان يكون ترتيباً عملياً في واقع القتال ... ان الخيال لا تفزع من الرماح والسيوف بقدر ما تفزع من السهام ... ان تسديد النبال الى صدور خيل العدو هو اكثر تأثيراً من تسديدها الى العدو نفسه^(٤) .

● الذاكرة التاريخية

٧ . كثرة من النصوص المشار اليها في المتن الانف وفي جريدة المظان هي فقرات بعضها من بعض ، تظهر فيها ألفاظ متراكبة أو متداخلة كالصف والزحف والنظام والأسلوب والمبارزة والكر والغز والطريقة والترتيب وما الى ذلك . ولهذا سنمضي مع الذاكرة التاريخية لغز الصف وموحياته ومتعلقاته عنها وعن صيغها المتداولة ، وجلاء معناه في معركة بدر الكبرى ، بدر القتال ، ونرى هل أن ما ذهب اليه استاذي الشيخ محمود شيت خطاب هو كل الصواب أم أن لكل سيف نبوة ولكل عالم هفوة . وأن كل من أفاد منه أو نقل عنه جدة الصف على صورتها بلا ارتياب ولا احتساب لم يزد على ان سطر ألفاظاً منقولة عن كتاب في كتاب ٩ .

٨ . لما اجتمع الانسان بأخيه الانسان نتجت ضرورات اجتماعية تكفل له الامن والطمأنينة والامان . ومن هذه — على سبيل المثال — ضرورات ثلاث :

● عبادة الرب

الدين في الارض نور في بضائرننا
لو لم نجده يقيناً لابتكرناه

● وعمادة الحب

الحب في الارض بغض من تصوّرنا
لو لم نجده عليها لأخترعناه

● وريادة الحرب

الحرب في الارض طبع في تعامتنا
لو لم نجده كفاحاً لافتجّزناه

وهذه الخاصية الحربية لسنا بمضطرين الى افتجارها فقد

افتجرها إبنا ألم منذ بدء الخليقة . وقد وردت قصتهما في القرآن الكريم على لسان أحدهما قائلاً * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * فجاءت النتيجة في قوله تعالى * فطوَعْتُ له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فاليد من معانيها القوة والسلطان والعضو الجسماني ، وربما تجاوز المعنى هنا إلى ما في اليد من سلاح كالحجر والعصا والعظم .

٩ . من المعلومات الواردة عن أساليب القتال في العراق القديم بين (٤٠٠٠ ق م — ٢٠٠٠ ق م) ما تمثل في المخلقات الفنية مثل (مسلة العقبان) وغيرها . وتشير تلك المنحوتات إلى أسلوب القتال بالصف المتراص أو ما يدعى بنظام الكرايس والتأهب الدائم للطعن بالرمح وربما عززت تلك القوة بحملة القسي (١٠) ومن يتمتع في مسلة العقبان يرى القائد المنتصر قد نظم جيشه على هيئة الصف (Phalanx) زمن حكمه (٢٣٧٨ ق م) وما بعدها ، وقد تسليح جنوده بالرمح الطويلة وتحصنوا بالدروع . وهو نظام الجيش نفسه الذي اشتهر به الاغريق (١١) .

١٠ . وحددتنا التوراة (العهد القديم) في سفر القضاة الذين حكموا بين (١١٢٥ ق م — ١٠٢٥ ق م) أن الصف كان مستخدماً في ذلك العهد وكما يأتي :

○ خرجت رجال إسرائيل لمحاربة بنيامين وأصطف بنو إسرائيل للحرب عند جبع ○ فخرج بنو بنيامين من جبع فأسقطوا من إسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل ○ ثم تشدد الشعب رجال إسرائيل وعادوا وأصطفوا للحرب في الموضع الذي اصطفوا فيه أول يوم ○ (١٢) .

• مطالع التعبئة

١١ . إذا ما تناولنا مظاهر التعبئة عبر الزمن ليتسنى ربط الأواصر بأصولها القديمة بانلذين في البيان جهد المُقل ، وراقبنا نظام الصف القتالي لرجحنا معركة (قاده) سنة ١٢٨٨ ق م . ضمن أوائل المعارك النظامية التي ابتدأ بها تاريخ الحرب بأسلحة الصُدمة كالمُدبة والحرية والسيف ، وبأسلحة القذف كالرمح والسهم والمقلع (المَحْدَفَة) وقعت هذه المعركة بين فرعون مصر ومسييس الثاني والحيثيين . قاتل المصريون بجيش مُكثف مُكثف ذاتياً من جميع الصنوف حتى راكبي العجلات ... وجاء بعدهم بالف عام اليونانيون والفرس (١٣) .

١٢ . وفي العهد الآشوري الحديث (٩١١ ق م — ٦١٢ ق م) كان الجيش يتقدم على جبهة واسعة منتشرة في حرب السهول

حيث يكون القتال داخل صفوف متراصة . ولعل منحوتات سنحاريب (٧٠٤ ق م — ٦٨١ ق م) التي خلفها في قصره في (تل قوينجق) في الموصل توضح لنا توزيع الصنوف والصنوف في الوحدة الآشورية عند قيامها بالهجوم ... ففي أحد المشاهد نميز مجموعة من المشاة في نسق يتألف من أربعة جنود من حملة أتراس الحصار ومن اثنين من الرماة بينهما حامل ترس كبير وبلي ذلك عشرة صفوف في كل منهما جنديان من رماة النبال بون حماية ووراء هؤلاء ثمانية مقلعين فتكون المجموعة مؤلفة من (٣٥) مقاتلاً أو أكثر (١٤) .

وتبعاً لما تقدم الإلماع إليه من مرور السنين اقتبس اليونانيون نظام الجند المصري ونوعوه . وأنشأ (اليونانيون — المقدونيون) تشكيل (الفلانك) يقاتلون بموجبه وهو أن تتراص الجنود صفوفاً متعاقبة (١٥) .

وهذا مكون من ثمانية صفوف من المشاة الثقيل تسنده مجموعة من المشاة الخفيف ، وأول معركة لهم مع الفرس كانت معركة (ماراثون) سنة ٤٩٠ ق م (١٦) .

وللصين في عرض الصفوف نصيب . كتب المفكر الصيني (صن تزو) كتابه (فن الحرب) سنة ٤٩٠ ق م . وقد جاء فيه :

« القادة البارعون في فن الحرب ... يوزعون الجيش ويسيروا في صفوف منفصلة » . « أوغر القائد (تيان) إلى زوجاته بالتطوع في صفوف الجيش » (١٧) . « تحل اللحظة الحرجة عندما تنتظم صفوف العدو » (١٨) « حينما تكون قوات عدوك منتظمة متحدة ، ازرع الفرقة في صفوفها » (١٩) .

وفي سنة ٣١٧ ق م كان القائد اليوناني الطيبي البربري (ايبامينونداس) يقاتل جيش اسبارطة (٢٠) بجيش مؤلف من أربعة آلاف مقاتل مكون من (٤٨) صفاً في معركة (ليوكترا) (٢١) .

وعندما أصبح فيليب المقدوني ملكاً على مقدونيا سنة ٣٥٩ ق م نظم أول جيش في التاريخ القديم يجمع بين صفوفه المشاة والخيالة والعزادون (٢٢) . وجعله مؤثراً ، وأوجد نظام الفلانك المختلف السلاح (الجحفل) المكون من ثمانية صفوف وكتلته زهاء (١٦٠٠٠) ستة عشر ألف مقاتل من المشاة الثقيل ، يتفرع إلى ارتال مفردة ، عدد الرتل ستة عشر مقاتلاً يصطفون الواحد خلف الآخر . وهو أصغر وحدة قتال (حضيرة) (٢٣) .

وعموماً لا عبرة للأرقام الصفاء فإنها تزيد وتُنقص وتتغير بتغير معطيات ومتطلبات فن الحرب عبر الزمن .

١٢ . ودارت الايام والتهمت روائق الشمس غواسق الليالي وأفضى عرش الفرس الى كسرى (أبرويز) فهاجم الروم واستولى على انطاكية ودمشق والقدس سنة ٦١٤ م واجتاح سوريا حتى بلغ مصر سنة ٦١٩ فتصدى له قيصر الروم (هرقل) بعد أن أصلح مجتمعه وسلح جيشه وأعتة للظفر فاسترد الشام سنة ٦٢٥ م وانتصر على الفرس مشتتاً شمل جيشهم قرب نينوى سنة ٦٢٧ م^(١١) . وقد اشار القرآن الكريم الى هذين الحدثين بقوله تعالى * ألم * غُلِبَتِ الرُّومُ * في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلقون * الروم / ١ - ٣ . لقد كان قيصر الروم يقاتل بأسلوب يعتمد نظام الصف أساساً . واستمر على هذا النظام حتى معركة موقعة سنة ٦٢٩ م .

وهنا يطوف على السطح تساؤل مُلح : هل عرف الفرس نظام الصف ؟ . والجواب بالإيجاب حقيقة لا لبس فيها ولا ارتياب . نعم قد عرفوه ورسموه على جدران طاق كسرى مجسمين معركة انطاكية على عهد انوشروان .

وهذا الشاعر البحتري شاهد مُجسّم المعركة فقال :

فإذا ما نظرت صورة أنطا

كئة أرتعت بين روم وفارس

والمنايا موائل وأنوشر

وان يُزجي الصفوف تحت الدرفس

والمعتضد به الثاني معلومة تفيد أنه « لما التقى الفريقان الهياطلة والفرس وتضافوا للقتال ارسل ملك الهياطلة الى ملك فارس ان يبرز بين الصفيين ليكلمه ... »^(١٢) .

١٤ . لنرجع القهقري عائدتين الى ما جرى في الهند بين صفوف قتال الوغنى فنقل هذا الخبر : « إن منشأ الشطرنج كان في الهند ، وهو (شاتورنجا) باللغة السنسكريتية في حدود سنة ٥٠٠ م . ومنها انتقل الى فارس . وربما كان اسمه (جاتورنجا) اي لعبة حرب . قال الزمخشري : إن ملوك الهند كانوا حكماء ، لا يرون القتال وسفك الدماء . فوضعوا الشطرنج وكان اذا تنازع ملكان في كورة اصطف الجيشان وتقدم الملكان فلعبا في موضع الحرب بالشطرنج فالغالب منهما استولى على ما وقع عليه النزاع من غير قتال ولا سفك دماء »^(١٣) .

القتال عند العرب

٢٢ . عوداً الى المسار اللأحب وانطلاقاً مع الزمن العربي المتعاقب وقبل أن تسلسل معطياته ندرج بعض ما كتب عنه وفيه . فقد كتب ابن خلدون حول اساليب الحرب في مقدمته

ما نصه :

« اعلم أن الحروب لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله وهي على نوعين ، نوع بالزحف صفوفاً ونوع بالكز والفز . أما الذي بالكز والفز فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب . وأما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم . وقاتل الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفز وذلك لأن قتال الزحف تُرتَّب فيه الصفوف وتُسَوَّى كما تُسَوَّى القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو قداماً . وفي التنزيل * ان الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كانوا يُنْيان مرصوص * أي يشد بعضه بعضاً بالثبات . وفي الحديث الشريف ، (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) . وأما قتال الكر والفز فليس فيه من الشدة ، والامن من الهزيمة ، ما في قتال الزحف .

ثم أن الدول القديمة الكثيرة الجنود كانوا يقسمون الجنود الى كراديس ويُسَوِّون في كل كرنوس صفوفه ويضمُّون المتعارفين بعضهم الى بعض ويرتَّبونهم قريباً من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ، مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وساقة ورئيسهم في القلب أو قائدهم في القلب ، ويسمون هذا الترتيب (التعبئة) . وصارت الحرب أول الاسلام كلها زحفاً لأن اعداءهم كانوا يقاتلون زحفاً فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم ولأن الزحف هو أقرب للاستماتة ، وراسخ الايمان يستमित لما وعد من نصر أو شهادة . ثم أبطل مروان بن الحكم الصف وصار الى تعبئة الكراديس^(١٤) . وتتلخص طريقة الكز والفز عند العرب - عرب البادية - بان يكز المقاتلة على الخصم بكامل قوتهم ، فان صمد لهم العدو وأحسوا بالضعف فزوا ثم أعادوا تنظيم أنفسهم من جديد وكزوا كزة اخرى ويستمر هذا الوضع من كز وفز حتى يتحقق لهم النصر أو الفشل^(١٥) .

٢٣ . وعرب البادية حروبهم بدائية يخرجون فيها للقتال على غير تعبئة خاضعين في ذلك للنظام الذي يراه شيخ القبيلة . وكانوا في العادة يغيرون بغتة ثم يفرون الى البادية عند مطاردتهم . ولكن عرب المدن عرفوا نُظْم التعبئة وتقسيم الجيش الى مقدمة ، ومؤخرة ، وقلب ، وجناحين . ورأيانهم في جاهليتهم في حرب الفرس يقسمون قواتهم الى كراديس حتى لا تفرقهم سهام الفرس اذا وقفوا صفوفاً او في مكان واحد . وكانت المعركة في العادة تبدأ بطلب المبارزة من أحد الطرفين جرياً على عادتهم ، وذلك بان يخرج بين الطرفين فارس مشهور فيطلب مبارزة فارسى مماثل له من الأعداء . وكان الغرض من تلك المبارزة إظهار المهارة الفردية والقوة البدنية وعرض الفن الحربي امام التفاتة ليخلع المهارز

بفنه قلوب الاعداء ويقوّي به قلوب اصحابه . ثم أنها مما يحدث فيها من قتل متتابع تثير الذخوة والاخذ بالتار فتجيش النفوس للقتال وتتحرق للطمان والنزال . واحياناً يتفق قائدا الجيشين على المباراة الفردية الذاتية لحسم النزاع وحقق الدماء على ان يكسب القضية من يفوز منهما^(٢٤) وقد تعاهد على ذلك الحارث والمنذريوم (عين أباغ) وتفعيل هذه الواقعة ان سار المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في (مَعَي) كلها حتى نزل عين أباغ وهو واد وراء الانبار على طريق الشام وارسل الى الحارث بن جبلة ملك العرب بالشام وقال له : اما أن تعطيني الجزية أو هي الحرب ؟ فسار الحارث بجنوده وتقابل الصفان وارسل اليه من يقول له : انا شيخان ، فلا تهلك جنودك وجنودي ، ولكن يخرج رجل من ولدي ورجل من ولدك فمن قُتل منهما خرج عوضه ولد آخر ، فاذا فني أولادنا خرجت انا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك ، فتعاهدا على ذلك^(٢٥) .

٢٤ . ومنتقل بما في مفصل الدكتور جواد علي عند الكلام على الحروب كما يأتي :

« يُظهر لنا الشعر الجاهلي أنّ الاعراب كانوا يخشون من الالتحام بالجيوش الآشورية والبابلية والرومية لتفوق تلك الجيوش عليهم ، فاذا تعقبتم هربوا الى البادية حيث يجنون لهم عندئذ

الماوى الصالح الامين المناسب لهم للوقوف امام الجيش النظامي ، ويكون وقوفهم امامه على هيئة كروفر وهجوم من جوانب مختلفة ، فان وجدوا جُلداً من ذلك الجيش وقوة ضاربة ، هربوا الى قلب البادية^(٢٦) . اما القبائل فقد كان المحاربون فيها هم الذين يُجهزون انفسهم بالسلاح وفيه العصي وحتى الحجارة^(٢٧) . والغالب على اسلوب القتال عند الجاهليين الكُرّ والفُرّ وذلك بان يهاجم المحاربون عدوهم ثم يتراجعون بسرعة وكانهم فزوا خوفاً منه (حركة استطراد) . ثم يعيدون فيكروا عليه . ويعينون مكاناً يكون مركز ثقلهم فيه والملاجأ لهم ، يلجئون اليه ثم ينطلقون منه للكر على العدو . وقد اتبعوا ايضاً اسلوب القتال صفوفاً ، بان يقف المحاربون صفوفاً يحاربون دون كُرّ ولا فُرّ .^(٢٨) »

٢٥ . ومنتقل مع المفصل عبر صفحات آخر فنسجل : « نحن لا نكاد نعلم شيئاً عن أسس تنظيم الجيش في الحكومات الجاهلية لعدم ورود نصوص واضحة في ذلك . ولصلة ملوك الحيرة بالفرس وصلة ملوك الفساسنة بالروم لا يستبعد تدريب الفرس لجيش الحيرة وتقسيمه واعداه وفق نظم الجيوش الفارسية واساليبها على القتال . وتدريب الروم لجيش الفساسنة وفق انظمتهم وقوانينهم العسكرية . ولا يستبعد ان يكون تاليف الجيش

في اليمن في ايام احتلال الحبش لها على هذا الاساس . وقد ذكر أهل الاخبار أن النعمان بن المنذر ملك خمس كتائب يحارب بها هي الوضائع والشهباء والصنائع والرهائن وبوسر . والكتيبة (الكوهوت) عُشر (الليجيون) عند الرومان ولذلك كان عددها يختلف حسب اختلاف عدد الليجيون ، وعلى الاغلب كانت بين (٤٠٠ — ٦٠٠) جندي . وقد كان عدد الليجيون (٦) ستة آلاف جندي في ايام الانباطورية الرومانية ، وتقسم كل كتيبة الى عشرة أقسام ، ويسير هذا النظام وفقاً للطريقة العشرية في التقسيم . وتورد لفظة كتيبة والجمع كتائب في الشعر الجاهلي تعبيراً عن تنظيم وتكتل في صفوف الجيش^(٢٩) . ويقسم المحاربون قواتهم الى مجنبتين وقلب ، مجنبة اليمنى تهاجم او تحمي الجانب الايمن ومجنبة يسرى تحارب وتدافع عن الجانب الايسر للمحاربين . اما القلب فيكون واجبه الهجوم والدفاع من وسط الجيش . وقد تقوم المجنبتان بالهجوم لتطويق العدو وحصره في دائرة ضيقة .

وفي يوم نخلة من ايام حرب الفجار كان حرب بن أمية في القلب وعبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة في المجنبتين . وتبدأ المعركة غالباً بالمبارزة بان يخرج من كل جانب محارب او اكثر من محارب يتبخثرون تباهاً بانفسهم وقد يتحلقون ويتعطرون وينشدون شعراً يفاخرون فيه بانفسهم وأهلهم وقبائلهم وأنسابهم وأحسابهم . وقد يسال المبارز مبارزه فاذا وجده غير كفاء له انتقصه ورفض مبارزته . وتستمر المبارزة بين مُحاربين كفؤين او اكثر حتى تنتهي بالتحام قد يؤدي الى هزيمة أحد الطرفين وتراجعهم الى مكانه فتنتهي بذلك تلك الحرب^(٣٠) . وقد يكون القتال صفوفاً بان يتقدم المحاربون فيحاربون صفاً صفاً وذلك اذا كان المحاربون كثيرين والى هذا النظام أشار القرآن الكريم • ان الله يحب الذين يُقاتلون في سبيله كأنهم بنيان مرصوص • وقد كانت الخيل من جملة وسائل كسب الحروب وذلك لسرعتها ولما تحدثه تحركات المحارب على ظهرها من أثر في صفوف العدو تُشتتُ صولات وجولات الفرسان شمل الصفوف ويُمرّقون الجمع ويمهدون لمن وراءهم من المشاة فرصة للانقضاض على الفارين المنهزمين . وكان الفرسان يستحبون فحول الخيل في الصفوف^(٣١) .

وما اروع وابعد وانصع ما وصف القرآن المبين به سرعة عدو الخيل وشدته ، وتطايير الشر من احتكاك حوافرها بالحجارة الصلدة كتطاييره عند قدح الزناد ، وقد أغارت على العدو مع الصباح فاثارت الغبار في وجهه وتقدمت حتى احتلت وسط قلب خميسة .

قال تعالى • والعاديات ضبحاً • فالمُوريات قدحاً • فالمُغيرات ضبحاً • فأتزرن به نعماً • فوسطن به جمعاً • سورة العاديات .

ذخيرة مكتنزة

٢٦ . مما تقدم وسلفت الإشارة إليه أن (الصف القتالي) كان معروفاً عند الأمم غير العربية كاليونان والرومان والصينيين والهنديين والروم البيزنطيين والحباش وان المناذرة والفساسنة وعرب اليمن كانوا على احتكاك حضاري مع الفرس والروم والحباش فاقتبسوا منهم نظام الصف في الغالب ونشروه بين سائر عرب الجاهلية . والأدلة على انتشار الصف القتالي في أيام العرب ما سنسترسل بذكره من مقتطفاتٍ منتزعة من بطون كتب التراث لتأييد ما ذهبنا إليه غير متجاوزين حد البسط فما جاوز حده جاورضه فلعل أن يتأملها ويتأملها بعين الرضى من صفقت له آفاق التأمل ففيها ازاهير تسر الناظر وتعطر الفكر الفاتر وتجمل حب التراث عادة ودأباً .

٢٧ . نحن نعلم ، وبهذا قال المستشرق (كليمان هوت) والشاعر الألماني (جوته) والكاتب الروماني (كونستانس جورجيو) أن الطبيعة منحت العرب أشياء لا تكاد تفارقها في جاهليتها دعونها سباعية الأعراب وهي : عمامة تُدار ، وسيف بتار ، وخيمة أسفار ، وفرس مغوار ، وجمل هذار ، وترنيمه اشعار ، وعشق ذات اسوار . أما حديثنا فيختص بالسلاح واستعماله لا سيما السيف الذي هو سلاح الاشتباك القريب وهو المُدَّة عند الشدة لا يفارقه العربي إلا بالموت وأحياناً يدفن معه ميتاً ، قال المتنبي :

يُسابقُ سيفي منايا العباد
إليهم كأنهما في رهانٍ
ساجلُهُ حكماً في النفوس
ولو ناب عنه لساني كفاني

وفي البيت الثاني نكتة شاعر متفاخر لا حكمة عاقل متعافر فالحكمة توجب استخدام اللسان قبل السنان ، وفي مثلها صرح معاوية بن أبي سفيان بمقولته الشهيرة : « إنني لأغمد سيفي ما ناب عنه سوطي ، وأبعد سوطي ما ناب عنه لساني بنصح فتحذير ، وذلك بعض شاني . »

وحديثاً قيل : لا تُهَيء مطرقة آلية لقتل بموضة . ومرادنا هنا البيت الأول أصلاً المختص بالسيف المصاحب :

أما السيف الضجيج فقال فيه أبو العلاء الممرى :
وضجيج طفلهم الحسام فأن توى
منهم فتى فمع المهند يُقبز

وأثن أبو العلاء فارساً بطلاً كان لا يفارق سيفه رمز الجلال والباس والجهاد فقال :

هَلَا دَفَنْتُمْ سيفه في قبره
معه ، فذاك له خليلٌ وافي
وللمرح قدر من التأثير المادي والنفسي وفيه قال حجل بن نُضلة القيسي عندما وصف بطلاً اسمه (شقيق) أحد بني عمرو ابن عبد قيس بن معن كان يجعل رمحه وهو راكب على فخذه بحيث يكون عرض الرمح جهة العدو إلاماً بشجاعته واستخفافاً بمن يقاتلهم وثقة برمحه اللدن (٢٢) .

جاء شقيق عارضاً رُمحه
إن بني غمك فيهم رماح
والعرب تقول لمن معه سيفٌ سائف وسيفٌ ولمن معه دُبُلٌ
نابل ونبال ولمن معه رماح ولمن قرن نوعين من السلاح قارن ،
فاذا كان ذا قلب شجاع شمله قول الشنفرى في لامية العرب :

وإني كفاني فقد من ليس جازياً
بحسنى ولا في قربه مُتمللاً
ثلاثة أصحابٍ فؤاد مُشيع
وأبيضُ إصليث وصفرأ غيطلُ

أي قلب شجاع وسيف قطاع وقوس مطواع قرنتهما معاً
فاغنونني عن التماس من لا خير فيه .

ويجمع أبو العلاء الممرى الأسلحة الفردية كاملة في لزومياته فيقول .

إذا أصحاب دين أحكموه
أذلوا ما سواه وعيوبة
فمن سيف ومن رماح وسهم
ونصل أرهفوه وذربوه
حسبتم يا بني حواء شيئاً
فجاءكم الذي لم تحسبوه

ذاك مما قيل في السلاح . وقد الغنى السلاح البعيد المدى بالمُدَى فصارت ثرائاً غير المُدَى .

٢٨ . ذاك مما قيل في السلاح . أما الفرد المسلح بكامل الاداة والعدة والآلة من السلاح ولوازم الحماية الجسدية فيسمونه (المؤدي) أو (المُدْجِج) أو (الشاك في السلاح) . وقد خرج

٣٠ . وفوق ذا صورة منصفة رسمها الشاعر الجاهلي عبد الشارق
ابن عبد العزى الجهني فقال (٣٦) .

فلما أن تواقفتا قليلاً
أنخنا للكلال فارتمينا
فلما لم نذع قوساً وسهماً
مشينا نحوهم ومشوا إلينا
فأبوا بالرمح مكسرات
وأبنا بالسيوف قد أنحنينا

فربما كانت هذه الموافقة للمناداة على الإبطال وطلبهم
للمبارزة واعتراضهم بين الصفيين قبل كل شيء وقبل مشي الصفيين
المتقابلين كل نحو خصمه . وفي هذا المبنى الجميل معنى جليل
ينصف به عدو قومه مع ذكر تميز شجاعة قومه على عدوهم ، فقد
قال : تقابلنا فانخنا ما ركبنا فتراشقنا بالسهام حتى تقطعت
أوتار القسي ونفذت السهام بعد أن نفذت في أجسام أهل الخصام
فوجب علينا وعليهم أن تتزاحف فتزاحفنا وكانت الملحمة التي كنا
فيها أكثر شجاعة من خصمنا ، فقد طعنونا بالرمح حتى تكسرت
في أيديهم ، ولكننا ضربناهم بسيوفنا حتى انحنى في أيدينا ،
وشتان بين ضاربين وطعان فنحن أسرع اليهم في المعجمان ، وتلك
ميزة لنا نحن اشجع الشجعان .
كذلك أنصف الحصين المربي عدو قومه ببيت شعر
وجيز (٣٧) .

نطاردهم نستودع البيض هامهم
ويستودعون الشمهري المقوما
بيت شعر وجيز فائق ذو معنى رائع يدل على تقدمهم وتأخر
خصومهم في الاشتباك .

الصف القتالي قبيل الاسلام

٣١ . نتحول بعدما عرضنا من صور قتالية جليلة متنوعة الى
الصف القتالي العربي في إرخاصه وتتاليه ونفيض من حيث أفاض
الأقدمون حتى نصل الى عهد الرسول ﷺ لا سيما الصف
القتالي في معركة بدر فتعرف على جدته من قدمه استناداً الى
معطيات تراثية تحقق التطبيقات الوافية لانه اذا اختل المبنى
اعتل المعنى ومرادنا المافية من غلط في السطور أو شطط في
المنظور .

جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة (صف) :
الصف : السطر المستوي من كل شيء ، جمعه صفوف وهو
معروف .

الرسول ﷺ الى غزوة أحد بكامل الاداة حتى قالوا فيه :
« وليس الرسول ﷺ لامتة ودرعيه وأعتم وتقلد سيفه وألقى
الترس على ظهره وركب فرسه وتكعب قوسه ومسك قناته
(رمحه) بيده فجمع سائر الاسلحة الفردية وبدا لاهل المدينة
محارباً كامل القعدة مقبلاً على المعركة بثبات وصلق عزيزة (٣٨) .
وأما الفرد الذي يأخذ ما قرب منه من السلاح والاداة لعجلة
موجبة دون أن يستكمل العدة فيسمونه (المستعير) .

٢٩ . وارتجاعاً بالذاكرة الى مهابة مشاهد في حقبة الجاهلية
وعرضه في المخيلة مع مشابهاة اسلامية نختار منهما ما جاء
عن اسلوب القتال الفردي ثم القتال بنظام الصف في تلك
الاحيان .

فهذا الجون النمرى قد أسر حارثة بن عمرو بن ابي ربيعة بن
نهل بن شيبان . فغلب الملك المنذر على الجون وأخذ منه حارثة
فقتله . وادعت بنو شيبان أن الجون قتله فقال الجون يصف حال
النزاع ومراحله بتتابع دقيق حسب تسلسل التطبيق (٣٩) .

من	مبلغ	شيبان	أد
سي	يكن	أمري	خفياً
راميته	حتى	إذا	
ما كان	تبلانا	نفياً	
طاعنته	حتى	إذا	
ما كان	رمحانا	شظيئا	
ضاربتة	حتى	إذا	
ما كان	سيفانا	خنيئا	
أنخنه	غلباً	وكا	
ن	ممتعاً	قدماً	أبنا
أعطيتة	زحلي	ورا	
جلتي	وكوراً	حميرياً	

وهذا زهير بن أبي سلمى يختصر كل ما فصله الجون في
بيت واحد فقط (٤٠) .

يطعنهم ما أرتموا حتى إذا أطمعوا
ضارب حتى إذا ما ضاربوا أعتنقا

ان هذا المقاتل الكمي يستقل وقت تراشق قومه والاعداء
بالنبل فيندفع الى الاعداء ليطعنهم فاذا انتهى وقت التراشق
وتحولوا الى الطعان بالرمح سبقهم الى أمام مضارباً بالسيف .
فاذا ما ضاربوا بالسيوف كان هو معانقاً خصمه وطارحه أرضاً فاما
أسراً إن استأسر وإما القتل .

وصففتُ القوم فأصطفوا :

إذا أقمتهُم في الحرب صفّاً .
وصفّ الجيش يصفه صفّاً وصافّةً فهو مُصافٌّ إذا رُتب
صفوفه في مقابل صفوف العدو .

والصافّ : بفتح الميم والصاد وتشديد الفاء ، جمع مصفّ ،
وهو موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف .

وجاء تحت مادة (نل) : إستنل من الصف إذا تقدم
أصحابه واستعد لقتال خصمه . وفي حديث أبي بكر الصديق
(رضي الله عنه) أنّ ابنه عبد الرحمن برز يوم بدر مع المشركين
فتركه الناس لكرامة أبيه . فنل أبو بكر ومعه سيفه : أي تقدم
إليه . ويقال لمقدمة الجُند النائل .

٢٢ . وجاء في المخصص لابن سيده (٢٨) .

يقال : تقوضت الصفوف إذا انهزمت . وزعموا أنّ أعرابية
قالت لولدها : إذا رأت العينَ العينَ فدغراً ولا صفّاً . تقول إذا رأيتم
عدوكم فادغروا عليهم — أي احملوا — ولا تصفّوا صفّاً ، وهي
الدغرى أي الاقتحام ، فلا سعة في الوقت كما أنّ الصف يكشف
المباغته ويبددها . إنّ هذه النصيحة القيمة تتضمن معنى تفويت
الفرصة على العدو ومع كسب الوقت واستغلال المفاجأة بالاقتحام
الفوري ومباغته الخصم لأنّ المباغته تشل أكبر العقول وعياً عن
أن يُبدع وتنفضُ الخلدُ ممّا أستودع وربّ سائل يسأل : هل
للمرأة شأن في دقائق أمور الحرب ؟ نقول : نعم .

وهذه امرأة أخرى ، قال لها ولدها : أمأه إنّ سيفي قصير .
فتجيبه : أضف إليه خطوة !

وينظم هذا الجواب الأخنس بن شهاب التغلبي الجاهلي
شعراً وينشد (٢٩) :

وإن قصرتُ أسيافنا كان وصلها

خطانا إلى القوم الذين نضاربُ

وتبعه كثير من شعراء الحماسة والفخر يلونون هذه الصورة
بالوان رائعة . فالفارس ربّما أفاد عن قصر سيفه ليخبر عن فضل
نجدته ، وربّما زاد في طول رمحه ليخبر عن فضل قوته قال حاتم
الطائي (٣٠) :

واسمّر خطيّاً كأنّ كُمونهُ

نوى القسب قد أربى ذراعاً على الفشر

ومن الطريف الملاح نذكر أنّ المتوكل أمر مرةً صاحب خزانة
السلاح أن يبتاع ألف رمح طول كلّ رمح أربعة عشر ذراعاً .
فاستفسر صاحب الخزانة بقوله : هذا الطول فكيف يكون العرض ؟

فضحك الناس ولم يفتن لما غلط فيه (٣١) .

٢٢ . يشرح المهلب بن أبي صفرة ، شيخ العراق والقائد الفنان ،
في محاوره بينه وبين أحد الفتيان من بني قومه الأزد ، غاب عني
مصدرها فاكتبها من حفظي والألفاظ تزيد وتنقص عن كمال
النص .

قال الفتى الأزدي للمهلب : كيف ترى سيفي هذا يا عم ؟
أجاب المهلب : جيد ، إلّا أنّه قصير . قال الفتى : لا ضير ...
أصلهُ بخطوة .

تبسم المهلب شجاع القلب وقال : يا ابن أخي .. السير على
أنياب السنين من جبل حميرين إلى أقاصي الصين أسهل من تلك
الخطوة الضنين لأنها خطوة الصناديد فحسب ... ولم يقل المهلب
جملته تلك عن زهّب وإنما أراد توجيه الصورة عن كُثب .

وفي حرب البسوس التي دامت زهاء أربعين سنة (٤٩٠ م —
٥٢٥ م) وفي آخر أيامها المسمى بيوم (تحلاق اللّم) ما أنّ
اشتجرت الاسنة ونفذت السيوف واعتنقت الأبطال بعضها بعضاً
وكادت قبيلة (تغلب) تغلب حتى خسرت فتاتان بكريتان
خماريهما ونفذتا بين صفوف قومهما تذكيان نار الحفيظة بأشعار
الحماسة . واقتبلت من ورائهما كرمة بنت ضلع أم مالك بن زيد
فارس بكر وواحدها فانشدت الرجز المشطور المتداول إنشاده في
أكثر أيام العرب وترنّمت :

● نحنُ بناتُ طارق ● نمشي على الثماريق ● والمِسكُ في
المفاريق ● نمشي القطا التواتيق ● إن تُقبلوا ثمانق ● ونقرشُ
الثماريق ● أو تدبروا ثماريق ● فراق غير واميق ● عرس المولي
طالِق ● والعارُ منه لاجق ●

فلم يلبث القوم أن تدافعوا وراءهنّ على اعدائهم واقتحموا
صفوفه واستباحوا معاقلهن وياتت تغلب بين نحير ويسير وانتصفت
بكر منها (٣٢) .

وذكر الألويسي أنّ من مذاهب العرب وأعاجيبها أنهم كانوا في
الحرب ربما أخرجوا النساء قبلن بين الصفين ، يرون أنّ ذلك
يطمئئ ناه الحرب ويقودهم إلى السلم (٣٣) . قال بعضهم :

لَقُونَا بِأَبْوَالِ النِّسَاءِ جِهَالَةً

وَنَحْنُ نُؤَلِّقُهُمْ بِبَيْضِ قِوَاظِبِ

وقال آخر :

جَعَلُوا السِّیُوفَ الْمَشْرِقِيَّةَ مِنْهُمْ

بِؤْلِ النِّسَاءِ وَقُلْ ذَاكَ غَنَاءُ

والذي أراه في تعليل ثانٍ عقلاني أنهم يوحون إلى اعدائهم

بانهم أهون عليهم من نفاية مائة ، لا وزن لهم ولا مقدار فتتخفف
بهذا معنويات الأعداء وتترفع معنويات الطرف الآخر .
وربما في تعليل ثالث يريدون أن يُعلموا اعداءهم — وهم عرب من
سنخ واحد — أن الحرب قذرة كقذارة البول وتركها أفضل للطرفين
وأسلم فالجرب مائة تقتل الرجال وتترك النساء بلا أولياء . ولعل
تعليلاً آخر أراه أوفر حظاً ، أميل اليه وأرتضيه لنفسه ويسرنى أن
يؤيدني فيه القارئ المُسامر . يعتمد التعليل على أن من معاني
البول كما انكتب في لسان العرب معنى الولد ، فهم ياتون
بالجبال ليصفن أولادهن بين الصفين لعرض صورة انسانية
واقعية تفيد أن الحرب زبون طحون ومن الحكمة أن يستعطف الطرف
المقابل وكانهم يقولون : أنعموا يا أبناء عمومتنا ، واجنحوا للسلم
يا أقرىبن ، أترضون أن تدفع للموت ما تد الوالدات ؟ أترضون أن
يشقن اللدات والاباء والأمهات وتضطرب الحياة

٣٤ . وإذا ما اقتربنا مزيد اقتراب من مطلع القرن السابع
الميلادي ، وكانت البعثة النبوية المحمدية سجل التاريخ اخبار
يوم (ذي قار) وهو يوم لبكر على المعجم . وقد روي عن النبي
ﷺ أنه قال : « اليوم اول يوم انتصفت فيه العرب من المعجم
وبي نُصروا . » وعندما أقبلت الاعاجم نحو بكر يسيرون على تعبئة
وصاففوا بني شيان ، وكان ربيعة بن غزالة السكوني نازلاً هو
وقومه في بني شيان فصح لهم وقال : يا بني شيان ...
لا تستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلككم بنشابها ، ولكن تكدسوا
كراديس فاذا أقبلوا على كربوس شد الآخر .

فقالوا : قد رأيت رأياً^(١١) وما أن عزم العرب على خوض
المعركة حتى ضرب حنظلة بن ثعلبة قبة على نفسه في بطحاء
ذي قار وآلى ألا يفرأ وتفرأ القبة . وقامت النساء بتحميم
المقاتلين فانشدت ابنة القرن الشيبانية :^(١٢)

ايها بني شيان صفاً بعد صف
إن تُهَرِّمُوا يُصَنَّفُوا فينا التلّف
وانشدت صفية بنت ثعلبة الشيبانية :

ايها بني شيان صفاً بعد صف
من يُرد الغلياء لم يخش التلّف
إن الشجاع باسل فيه الصلّف
اليوم يوم المرّ موصوف الشرف
وهي أرجوزة تنوف على عشرة مقاطع .^(١٣) وانشدت هند بنت
طارق بن بياضة تحمس قومها قبيلة اياد :

● نحن بنات طارق ● نمشي على

● النمارق

وهي الأرجوزة التي ذكرناها من قبل بانشاد كرمه بنت ضلع
في حرب البسوس ، ثم ممن انشدها لاحقاً هند بنت عتبة زوج أبي
سفيان في معركة أحد تحرض الكفار على قتال المسلمين .
وضلت ممارسة القتال بترتيب الصف قائمة بعد الاسلام زمناً
بعيداً ، ونستشهد لها بشعر أبي الشيص الخزاعي في مطلع
الدولة العباسية يرثي بطلاً من الأبطال .^(١٤)

خَلَّتْهُ الفنونُ بَعْدَ أَخْتِيَالِ
بين صفين من قنأ ونصال
في رداء من الصفيح صقيل
وقميص من الحديد مُذَال

صور فنية شتى

٣٥ . يبهجني ضمن هذا الأفق الرحب ، وقبل الانتقال الى مناقشة
صفوف غزوة بدر القتال ، أن أعرض صوراً فنية شتى فيها ما يوفر
منظوراً ميدانياً أصيلاً لتسليح المقاتلين وفنون قتالهم وشكل
تعبيتهم ، كل اولئك معطوفاً على حكمة وحكمة قادتهم الذي
يتجنبون الحر إلا اضطراراً ويتحاشون الظلم أدفةً وأقتداراً .
لنستمع ونتأمل مع البيت الشعري الذي أطلقه زهير بن ابي
سلمى بين ابيات معلقته الحافلة بالحكمة والفياضة بالتجربة
والعلنية نصحاً وارشاداً ، وتقولى شرحه :

ومن يعص أطراف الزجاج فائده
يطيغ القوالي زكبت كل لهم

أجاد الشاعر برسم صورة تتجلى روعتها بالتعرف على بعض
معاني مفردات البيت الرفيع .

الرمح : سلاح يستعمل لطعن العدو ، وربما زاد طوله على
عشرة أذرع . وتعلب الرمح ما دخل منه في السنان . وتحت الثعلب
العامل وهو ما تحت السنان الى مقدار ذراعين . ثم العالية وهي
الى قدر نصف الرمح ، وتجمع على عوالٍ . وما تحت ذلك الى الزج
يسمى السافلة . والزج هو الحديد التي في اسفل الرمح ، وتجمع
على زجاج (بكسر الزاي) . واللهم هو السنان القاطع أو
النصل . وفي البيت الشعري تمثيل يفيد أن من لا يقبل الامر
الصغير يضطر الى أن يقبل الامر الكبير ، والخطر يكمن في
مُستصفر الشر ان لم يتداركه الحكماء بحسن النظر ودقة
المعالجة . واللوحه الفنية التي تحتجها المخيلة للمسامات الفنية
لهذا البيت تتداعى عن قبيلتين أو أدنى ، أو فئتين تنازعتا على

قضية عويصة تحتاج الى حل حاسم ، فتفرغ كل فئة الى اسلحتها الكاملة ويتدجج افرادها بما يستطيعون من مظاهر القوة لعرضها قبالة انظار الفئة الاخرى . ويصطفون صفوفاً متراصة متقابلة وبينهما فسحة وقد وجَّهوا زجاج رماحهم تجاه خصومهم علامة للسلام وايداناً بتحبيذه وتفضيلاً للمُحاجزة قبل المناجزة مع ادامة حوار هادف وجدال بالتي هي احسن وتقليباً للحكمة التي ديدنها إنجاح عملية التفاوض . ويقف بين صفوف هؤلاء وصفوف اولئك الشيوخ واهل الرأي الحكماء والرؤساء ، وتطرح بينهم حيثيات القضية العويصة . فان توصل الطرفان الى حلٍ مقنع لكليهما عاد من حيث أتوا.

وان كانت الاخرى قلبوا الرماح فارتدت السوافل والزجاج الى خلف وبرزت العوالي واللّهائم الى امام علامة نشوب الحرب والاحتكام الى القوة . وهذا ما تاباه الحكمة وتنشر خلاصة رأيها بجملة تنفع أن ترفع شعاراً ● مَنْ لم يقنع بالآء الصلح يخضع لأسواء الرُمح ● وأعجبت هذه الصورة الفنية كثير عزة الخزاعي فآلم بها ونسج على متوالها حين قال بعد قرن ونصف تقريباً (٤٨)

وَمُلْتَمَسٍ مِنِّي الشَّكِيَّةُ غُرَّةُ
لَيْسَانٍ حَوَاشِي شِمِيمَتِي وَخِمَالُهَا
زَمِيْتُ بِأَطْرَافِ السَّرْجَاجِ فَلَمْ يُفَقِّ
عَنِ الْجَهْلِ حَتَّى خَلَمْتُهُ بِصَالِهَا

٣٦ . حان الآن طي الأيام والقفز الى صدر الاسلام لنقرأ ما كتب التاريخ عن فقرة من مخاطبة الرسول الامين ﴿ ﷺ ﴾ لوفد بني الحارث بن كعب حين سألهم : بما كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ .. ويرسم صورة سؤال النبي الاكرم والجواب المحكم لسائر الشاعر المعاصر احمد مُحَرَّم (٤٩)

بِمَ كُنْتُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَسْتَقِمُّ
.. لِمَ لَوْنٌ حِينَ يَحْمِي الضَّرَامُ ؟
فَاجَابُوهُ ذَلِكَ أَنَّنَا كُنَّا
.. جَمِيعاً تَضُمُّنَا الْأَرْحَامُ
صَادِقِي الْبَاسِ لِلْقُلُوبِ أَتَحَادُ
حِينَ نَمُضِي وَلِلصُّفُوفِ أَلْتَتَّامُ
ثُمَّ كُنَّا لَا نَبْدَأُ النَّاسَ بِالظُّلْمِ
.. سَمِ ، نَعَاثُ الَّذِي يَفَافُ الْكِرَامُ
نَكْرَةُ الشُّرِّ قَادِرِينَ وَنَابَا
هُ ، وَلِلشُّرِّ فِي النُّفُوسِ أَضْطِرَامُ

ذلك مما حكاه لنا التاريخ عن حال الجاهلية عند القتال . فماذا حكى لنا عن صفوف القتال بعد الجاهلية ؟ ليكن لنا رديف من الصور التي نحيل نصوصها المخصوصة الى مصادر موثوق بها لعل في الاطلاع عليها متعة وفائدة لاسيما لمن فاتته شيء منها ، ومن بعدُ ننقل الى ذكر صفوف غزوة بدر التي من أجلها كان هذا المقال ، وسنفردها مجالاً مبسوط المهاد لايضاح ملايسات الاصطلاح .

أن الطعن بالرمح والضرب بالسيف يحصلان في المدى القصير ولا يحتاجان الى فضل بيان . أمّا النبل فالرمي به يكون الى مديات بعيدة بمئات الأذرع وهو السلاح الذي يرهب الخيل كما يرهب الخيال ويخيف الحاسر والدارع والمعطل لأن أكثر رماة النبل مهرة مقتدرون على اصابة الاهداف النقطوية لتوالي الممارسات . وقد اشتهر بعض هؤلاء بصفة (رَمَاةُ الْخَنْقِ) أي الذين لا يخطئون إصابة خَنْقِ العيون (٥٠) ويبرز سؤال في هذه الحال : أيهما أفضل رمي النبل على الفارس أم على الفرس ؟ ولعل الجواب أن توخي الاجناد أفضل من توخي الواد غير أن الصواب هو أن لكل حال معالجة مختصة بها ولكل موقف حساب . أوصى الرسول ﴿ ﷺ ﴾ عبد الله بن جبير قائد رماة مرتفع عيدين الخمسين في غزوة أخذ بقوله : « إنضج الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا » (٥١) ولنضج الى شاعر نبال ماهر يثني على مهارته وحذقه في انفاذ أسهمه عبر خَلْقِ الدروع (٥٢)

سَلُّوا خَلْقَ الْمَازِي عَنْ خَدِّ أُسْهَمِي
فَقَدْ تَلَمَّحْتُ خَدَّ الْقَنَا وَالْقَوَاضِي
تُخْبِرُكُمْ إِنِّي إِذَا الْخَيْلُ أَوْجَفَتْ
شَرِيكَ الْمَنَايَا فِي نَفُوسِ الْكَتَائِبِ

وقال آخر :
الْوَيْلُ مِنَ النَّبْلِ الْوَيْلُ
مَا يَفْتَأُ عَقَارَ الْخَيْلِ
وقال المتنبّي :

رَمِي نَوَاصِي الْخَيْلِ بِأَسْبِكَ فِي الْوُغَى
بِأَنْفَقٍ مِنْ نَشَابِنَا وَمِنَ النَّبْلِ (٥٣)

قيل النبل سهام العرب والنشاب سهام العجم . والأرجح أن النشاب عربي مأخوذ من : نَشَبَ في الشيء : غلق به . وفي لزوميات أبي العلاء المعري وصفٌ للطرف (الفرس الكريم) وقد صار شيهماً (قنفذاً) من كثافة النبل .

أَتَنْكِرُ يَا طِرْفُ الوَغَى وَرَكُومَهَا
وقد صرّت من نبل كانك شبيهم
إذا أشـرعت فيك الأسنة زدها
لصوبك تجفاف عن الطعن مبيهم
إذا ما ثدأوا بالضراب صفائحهم
وإن يتناووا فالرُسائل أسهم

وبعد كل ما ذكرنا عن الحرب والقتال في العصر الجاهلي فإن الادعاء بعدم معرفة العرب الصف القتالي قبل الاسلام وهم لا يثبت عند نظرة فاحصة محققة في التاريخ والممارسات في الجاهلية ولعل في هذا الحكم ظلًا من الخطأ الطفيف على الرغم من استناده الى نصوص عدّة وارتكاه على شواهد سليمة من آفة الرّيب والميل والتنعّج . كما أنّ التّجملّ بالحق المطبوع أركن من التعلل بالرفق المصنوع .

الصف والزحف في صدر الاسلام

٢٧ . لا خلاف في أنّ الصف والزحف معروفان في العصر الاسلامي بدءاً وتتابعاً ومن الامثلة ما يؤنه الثعالبي في كتابه (المتشابه) من نصوص اسلامية المهد حيث كتب : « ... وأمر بتسوية الصفوف التي لا خلل لها ، وزحف اليهم زحفاً ملا قلوبهم رجفاً » (٢١) واراد بالخلل جمع خلّة وهي جفن السيف المُفطى بالأم .

واعتقدت أئمة بذت الحارث بن كلفة ، زوج عتبة بن غزوان عند مهاجمة مدينة الفرات لواء من خمارها ، واتخذت النساء المسامات رايات من خمورهن ومضين وهي امامهن تنشد : (٢٢)
ياناصري الاسلام صفّاً بعد صف ● ان يهزموك

وقال ابو دجاجة الانصاري في غزوة أحد سنة ٣ هـ يذكر الكيول الذي هو آخر صف من صفوف المعركة (٢٣)

أنا الذي غاهدني خليلي
ونحن في الشّفح لدى التّخيل
ألا أقوم الضّمز في الكيول
أضرب بسيف الله والرّسول
ضرب غلام ماجد يهلول .

ومدح أبو العتاهية القائد المُتمرس يزيد بن يزيد الشيباني بقوله (٢٤)

كأنك عند الكُر في الحرب إنّما
تقر من الصف الذي من ورائكما
فما آفة الأبطال غيرك في الوغى
وما آفة الاموال غير جبانكما

كان ما سلف آنفاً اختياراً اثبتناه من بعض الامالي دعماً للصف القتالي عبر الايام والليالي يوعزه ما نريد بسطه حول غزوة بدر بغية الاحاطة وليتسنى لنا الاجابة عن سؤالين اساسيين .
الاول : أحقاً أن المسلمين ابتكروا الصف القتالي في غزوة بدر ؟ والثاني : أكانت قريش تجهل نظام الصف وانها يوغتت به فعلاً في غزوة بدر نفسها ؟

نبدأ البسط بقوله تعالى * ان أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ... *

ان حدثت المعركة بقضاء الله . ثبتت التوقيت وحدد الميدان وقدر ان تغلت قافلة أبي سفيان . فظهرت لنا ثلاث فئات ، المسلمون في جانب من الميدان ، والمشركون في الجانب المقابل ، والركب (القافلة التجارية) في الطريق الساحلي مُتملّصةً باتجاه مكة بامان . واليوم هو الجمعة (١٧) رمضان من السنة الثانية الهجرية على صاحبها ﴿ ﷺ ﴾ أزكى السلام وأرق التحية ، الموافق (١٤) آذار من سنة ٦٢٤ ميلادية .
٢٨ . كانت غاية المسلمين الظاهرة لما فصلوا من المدينة نُقل العير وليس مقاتلة النفير لذا تخلف قوم من أهل نيات وبصائر لو ظنوا أنه يكون قتال ما تخلّفوا لكنهم زهدا في النفل ، فبات عدد المقاتلين ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً فيهم المؤدّي والقارن والمستمير . ومعه فرسان اثنتان لأن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ندبهم لنقل القافلة المحروسة باربعين رجلاً ، والسرعة في الخروج حيوية لئلا تغلت القافلة فخرج بمن كان مستعداً من فوره فقط .

وكان المشركون على تمام الأهبة دفاعاً عن المال وللمصيبة الجاهلية والحفاظ على المراكز العلية وعدد مقاتليهم سبع مئة أو يزيدون بعد انفصال ثلاث عنهم في الطريق وهم بنو زهرة وكان مع المشركين سبعون فرساً في أقلّ تقدير ، أي أنهم زهاء ثلاثة أضعاف رجالة المسلمين عدا التفوق الساحق بالخيالة . ولدينا من المصادر ما يفيد أنّ المشركين يعرفون الصف القتالي ولا يجهلونهم وقد صافقوا المسلمين متقابلين ودونكم البيان :

روى الامام احمد بن حنبل في مسنده ما يخص صفّي بدر نقلاً عن الامام علي ﴿ كرم الله وجهه ﴾ أنه قال :

والله شديد العقاب • الانفال / ٤٨ .

صَافَاتٌ وَصَافُونَ

٤٠ . وردت كلمة الصف في القرآن الكريم في تسع آيات ضمن ثمان سور ، وردت مفردة وجمعاً . ففي الآية (٤٨) من سورة الكهف • وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ... • أي مصطفين كل أمة صف . فلنفتشوركم هي كتلة هذا الصف . وفي الآية (٦٤) من سورة طه • فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ تَمَّ الْقَوَاصِفَ ... • حَتَّىٰ سَخَرَهُ فِرْعَوْنُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا عَلَى الْإِنْتِظَامِ وَالتَّعَاوُدِ وَالتَّجَمُّعِ . وفي الآية (٤١) من سورة النور • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٌ ... • بِأَسْطَاتٍ اجْنَحَتْهَا فِي الْهَوَاءِ عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَاحِدَةٍ مَخُونَةٍ مِنَ الصَّفِّ وَهُوَ جَعَلَ الشَّيْءَ عَلَى خُطِّ مَسْتَقِيمٍ . وفي الآية الأولى من سورة الصَّافَّاتِ • وَالصَّافَّاتِ صَفًّا • يُقَسِّمُ الْيَارِي عَزًّا وَجَلًّا بِكُلِّ مَنْ يَصْطَفِ لَاسْتِمَاعٍ مَا يَوْمُرُ بِهِ ، كَالْمَلَانِكَةِ ، أَوْ مَنْ يَصْطَفِ لِلْجِهَادِ وَالصَّلَاةِ مِنَ الْإِنْسَانِي أَوْ سَائِرٍ مَنْ يَصْطَفِ لِلتَّسْبِيحِ وَالْعِبَادَةِ . وفي الآية (١٦٥) من سورة الصَّافَّاتِ أَيْضًا • وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ • الْمَلَانِكَةُ فِي صُفُوفِهِمْ لِلصَّلَاةِ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ • « أَمْرُ الصَّحَابَةِ أَنْ يَصْفُوا كَمَا تَصَفَّى الْمَلَانِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَقِيمُونَ الصُّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاوَعُونَ فِي الصَّفِّ » . وفي الآية (٤) من سورة الصف • إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ • أَيُّ أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ وَيُكْرِمُ وَيُؤَيِّدُ الْمُقَاتِلِينَ صَافِّينَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْقِتَالِ صُفُوفًا مُتَرَاوِعَةً كَانَهُمْ فِي التَّحَامُكِ وَتَمَاسُكِهِمْ وَاتِّحَادِهِمْ بُنْيَانٌ مُلْتَزِقٌ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ لَا فَرْجَةَ فِيهِ وَلَا خَلَلَ . وَهَذَا شَأْنُ الصَّادِقِينَ فِي الْجِهَادِ .^(١٤) وفي الآية (١٩) من سورة الملك • أَوَلَمْ يَزَالِ إِلَى الْطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٌ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسَّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ • أَيُّ بِأَسْطَاتٍ اجْنَحَتْهُنَّ فِي الْهَوَاءِ عِنْدَ الطَّيْرِ وَإِضْمَعْنَهَا إِذَا ضَرَبْنَ بِهَا جَنُوبَهُنَّ حِينَئِذٍ فَحِينَئِذٍ لِلْإِسْتِظْهَارِ عَلَى التَّحَرُّكِ . وفي الآية (٢٨) من سورة النبا • يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَانِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرُّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا • فَالروح جبريل أو جند الله أو أرواح بني آدم ، ومعه الملائكة في حال اصطفاة لا يتكلمون بغير الصواب وبعد أن يأذن الله لهم بالكلام . وفي الآية (٢٢) من سورة العجر • وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا • أَيُّ جَاءَ أَمْرُكَ وَالْمَلَانِكَةُ مُنْكَتِلِينَ فِي صُفُوفٍ كَثِيرَةٍ .

٤١ . لو نظرنا إلى الطير في الجو — والطير اسم للجمع والواحد ايضاً — لوجدنا الطائر الفرد يُفَرِّدُ جناحيه جناح يمين

«صَلَّىٰ بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» الفجر وحُضِرَ على القتال ثم قال : أَنْ جَمَعَ قَرِيشٌ تَحْتَ هَذِهِ الضِّلَعِ الْحَمْرَاءِ . مِنَ الْجَبَلِ ... فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ ... وَهُوَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَنْهِي عَنِ الْقِتَالِ • وَجَاءَ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ لَابِنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ • قَالَ : « رَبُّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفِّينِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ » .^(١٥) وَنَصَّ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ ، بَعْدَ قَتْلِ الْحَوْضِ الْأَسْوَدِ الْمَخْزُومِي ، خَرَجَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ رَبِيعَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عَتَبَةَ حَتَّى إِذَا فَضَّلَ مِنَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْمِبَارَازَةِ^(١٦) وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى غَزْوَةِ بَدْرِ الْحَادِثَةِ الْآتِيَةِ :

وَكَانَ عَلِيٌّ • كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ • يَقُولُ : « إِنِّي يَوْمَئِذٍ بَعْدَ أَنْ ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَنَحْنُ وَالْمُشْرِكِينَ قَدْ اخْتَلَطْتُ صُفُوفَنَا وَصُفُوفَهُمْ ، خَرَجْتُ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنْهُمْ ... »^(١٧) . وَرَوَى زَيْنِي دَحْلَانَ حَادِثَةً أُخْرَى قَالَ : قَالَ الرَّسُولُ ﷺ • مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِنُوفَلِ بْنِ خُوَيْلِدٍ ؟ قَالَ عَلِيٌّ • كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ • : أَنَا قَتَلْتُهُ . فَكَبَّرَ الرَّسُولُ ﷺ • وَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجَابَ دَعْوَتِي فِيهِ » . فَاتَّهَ لَمَّا التَّقَى الصُّفَّانُ نَادَى نُوفَلٌ بِصَوْتٍ رَفِيعٍ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشِ الْيَوْمَ يَوْمَ الرِّفْعَةِ وَالْعُلَى ! فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ • : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي نُوفَلَ بْنَ خُوَيْلِدٍ » .^(١٨)

٣٩ . وَهَذَا مَوْقِفُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمِ الْكِنَانِيِّ أَحَدِ شَيْطَانِي الْإِنْسِ . طَمَأَنَ قَرِيشًا حِينَ خَرَجَ مَعَهَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَدْرٍ أَنْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبِيلَةِ كِنَانَةَ وَتَرَاوَعَتِ الْفَلَتَانِ وَالتَّقَى جَمْعُ الْكُفْرِ وَجَمْعُ الْإِيمَانِ ، وَوَضَعَ سُرَاقَةُ يَدَهُ بِيَدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَلِسَانَهُ يُلْهَجُ بِقُدْرَةِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّصْرِ وَالْقَلْبَةَ ، بِيَدِ أَنْ الْأَحْدَاثِ سَارَتْ عَلَى غَيْرِ مَا تَشْتَهِي الْفَتْنَةُ الْكَافِرَةُ وَتَحَقَّقَ لَهُ عَيْنُ الْيَقِينِ أَنَّ النَّصْرَ صَائِرٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَزَنَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِ الْحَارِثِ وَنَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ وَتَبَعَهُ تَوَمَهُ — أَوْ جَنَدَهُ الشَّيْطَانِي عَلَى رَأْيِ آخَرٍ — فَتَدَاوَى الْحَارِثُ : يَا سُرَاقَةَ أَتَزْعُمُ أَنَّكَ جَائِلُنَا ؟ قَالَ سُرَاقَةُ :

يَا بَرِيءُ مِثْمَ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ . قَالَ الْحَارِثُ : إِنَّكَ بِفِعْلِكَ هَذِهِ خَرَقْتَ الصَّفَّ وَأَوْقَعْتَ بِنَا الْهَزِيمَةَ ... »^(١٩) . وَيَمْلُقُ الشَّاعِرُ الرَّصَافِيُّ عَلَى هَذِهِ الْحَادِثَةِ بِقَوْلِهِ : إِنَّ الرِّوَاةَ يَقُولُونَ إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ شَيْطَانُ الْجِنِّ إِبْلِيسَ ، وَإِنَّا لَا نَدْرِي لِمَاذَا يَخْذُلُ إِبْلِيسُ الْكُفَّارَ لِيُغْلِبَ الْمُسْلِمُونَ^(٢٠) ٩١ . أَيُّ بِمَعْنَى أَكْثَرُ وَضُوحًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يُخْزِبُ عَشَةً وَلَا يُقَرِّبُ نَعْشَةً . قَالَ تَعَالَى فِي التَّزْوِينِ وَالْإِسْمَاءِ وَالنَّكُوصِ • وَإِذَا زَفَّ لِلَّهِ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ، فَلَمَّا تَرَاوَعَتِ الْفَلَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ وَقَالَ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ أَنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

البدن وجناح يساره ، في كل جناح صفوف من الريش المتلاصقة المتناسقة المتباينة في اداء الواجب ، يعين بعضها بعضاً . قال بشار بن برد :

ولا تجعل الشورى عليك غَضاضَةً

فَرِيشُ الخوافي قُوَّةٌ للَقَوَامِ

وقوام الطير مقادير ريشه وهي عشرة في كل جناح غالباً ، والواحدة قائمة ، وهي كبار الريش والخوافي صفاره وهي تحت القوام . وما اكثر ما استعارت الجندية لنفسها من تصريف الفاظ هذه الكلمة . فمن رفوف الطير في السماء أستمدت صفوف الجند عند اللقاء . فالقائمة هي الجيش في أحد معانيها . والمقدمة والمقدمة : طائفة متقدمة للجيش . والاقدام : الشجاعة والمقدام والقنوم والمقدمة : الرجل الكثير الاقدام على العدو . وتاء المقدمة للمبالغة والجفج مقادير . والورد : القطيع من الطير . والورد : الجيش على التشبيه بقطيع الطير (١٦) . قال ودك بن ثميل المازني (١٧) .

مَقَادِيرُ وَمَالُونَ فِي الزُّوجِ خَطْوَهُمْ

بِكُلِّ زَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ

إِذَا اسْتَجْدَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ نَعَاهُمْ

لَا يَلِيَّةَ خَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ

وما أشبه القوام والخوافي في الجناحين المفتحين بميمنة الجيش وميسرته وقد تكتلت صفوفهما ، وما أشبه بدن الطائر بقلب الجيش ، وإذا تملينا الصورة بعمق اكثر شبهنا رأس الطائر بالمقدمة وذيله بالساقة وهذه هي تعبئة (الخميس) الجيش الجزار ، ويتعبير آخر فان كتلة الجناح الايمن (الميمنة) والبدن (القلب) وكتلة الجناح الايسر (الميسرة) تدعى بالصف المستقيم وهو أحد أساليب تعبئة الصفوف . أما اذا غدنا كلمة (الطير) اسم جفع فاغلبنا قد رأى — لا سيما في الربيع والخريف — الطير المهاجر وقد سارت زرافات مصطفة مرة بصف مستقيم واخرى بصف هلاكي وثالثة بصف كمثلث متساوي الساقين . وربما شكلوا دائرة حول عمود عاصفة نؤامة عند هبوب العواصف أو احياناً يتجنبونها بصف معطوف أمين . وتلك الصفوف كلها أوحى الى البشر بصفوف القتال نظاماً وتعبية (١٧) .

التنظير والتدبير

٤٢ . التنظير والتدبير مصطلح يتفنى به المعنويون كل حسب اختصاصه العلمي أو الفني . وهو يفيد التوليف الجامع بين النظرية والتطبيق . ومن منسنياته ما في الذهن والخارج ، أو ما في

الذهن والواقع ، أو ما يحصل بالقوة وبالفعل ، أو ما في الفكرة والتنفيذ ، أو بين الرأي والتدبير ، أو بين التصميم على الورق والتجسيم على الطبيعة . وكلها متقاربة المعنى في مناحيها العامة . تعددت الاسماء والقصد واحد .

مُرَبَّنَا أَنْفَا أَنَّ الرَسُولَ ﴿ ٢٠٠ ﴾ نَظَّمَ الصفوفَ وَغَبَّاهَا ثَلَاثِيَةَ التَّرْتِيبِ تَكْتَلَّتْ فِي مِيمَنَةٍ وَقَلْبٍ وَمِيسِرَةٍ كَطَائِرٍ يَفْرُدُ جَنَاحِيهِ . ثم عمد الى افهام المقاتلين كيفية استخدام الاسلحة : بطريقة جماعية مؤثرة بإراءاتهم مظهرة تطبيقية ابتدأت بسؤال طرحه الرسول ﴿ ٢٠٠ ﴾ ليلة معركة بدر على جنده المؤمن بقوله : « كيف تقاتلون ؟ » .

فقام عاصم بن ثابت فاخذ القوس والذبل وقال : اذا كان القوم قريباً من (٢٠٠) مئتي ذراع كان الرمي بالقسي ، واذا دنوا حتى تنالنا أو تنالهم الرماح كانت المداعسة بالرماح حتى تنقص فاذا نقصت وضعناها وأخذنا السيوف فكانت المجادلة . قال النبي ﴿ ٢٠٠ ﴾ : بهذا انزلت الخرب من يقاتل فليقاتل قتال عاصم (١٨) .

وعلى هذه الشاكلة قاتلت الجيوش في صفحة الدفاع في القرن العشرين حيث يبدأ الفريق المدافع برمي الصواريخ البعيدة المدى على تجمعات الفريق المهاجم ، فالقصف الجوي بالطائرات لتدمير الجهد البعيد خلال اقترابه ، فاذا طالت المدفعية بدأ القصف المدفعي البعيد فالمتوسط فالقريب ، حتى اذا صار قريباً من الحافة الامامية للموضع الدفاعي ضرب عليه المدافع حتم سائر نيرانه المتيسرة لتبديد ما تبقى من قدرته المتفوقة . وعند التوقف يشن عليه المدافع هجوماً مقابلاً عزمياً من أجل كسب المعركة وتمام الغلبة . كان هذا في الحرب العالمية الثانية وما تلاها .

واليوم — ونحن عند اصيل القرن العشرين ونهدف الى مطلع الألفية الثالثة — تفكر أسلوب الاداء جنرياً بعد تجنيد الفضاء وعسكرته والافادة من التلقاة الليزرية واحتمال استغلال فتحة الاوزون الحرارية واستغلال الظواهر الطبيعية الاخرى ، فلم تكف الخرب خرب صفوف و صفوف ، بل حرب علم ولحن مدعمرين ، ثبتي على المادة والحجر وتقتضي على جنس البشر ، ووصفت بواحدة من ثلاث : خطأ ، أو مرض ، أو ضرورة نسبية ، واذا ما أثارها الطغاة الكبار فان تلك الاثارة بسبب عجزهم عن حل مشاكلهم بانفسهم . واذا ما أثارها المولمة (Globalization) حولتها الى حصار أو افكار أو ضرب نار وربما جمعتها معاً ، وربما ابتكرت من الوسائل ما هو اكثر قذارة وشروراً .

٤٣ . أن جملة « بهذا أنزلت الحرب » هنا ، لها أكثر من إحياء .
 فربما أراد الرسول ﷺ أن أسلوب القتال تقرر أن يكون متوالياً
 بحسب خواص الأسلحة واختلاف مدياتها ومقدار تأثيرها
 وبموجبه تخاض الحرب فتكسب ويفرح المؤمنون بالنصر الذي هو
 من عند الله عز شأنه . أو أراد الرسول ﷺ أن يقول إن الله
 قد غلب في نهضة هذا الأسلوب الذي مثله عاصم وأمره أن يقاتل
 المسلمون بموجبه وكان هذا القدح انزالاً بأحدى طرق تبليغ
 المعلومات الإلهية إلى الرسل والنفوس البشرية ، والطرق كثيرة
 ومنها :

- أ . التكليم * ... وكلم الله موسى تكليماً * النساء / ١٦٤ .
- ب . الوحي * إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من
 بعده * النساء / ١٦٣ .
- ج . التفهيم * ففهمناها سليمان * الانبياء / ٧٩ .
- د . الإلهام * فأنزلها فجورها وتقواها * الشمس / ٨ .
- هـ . الإسماع * ... إن الله يسمع من يشاء ... * فاطر / ٢٢ .
- والتحديث * ... ومن أحسن من الله حديثاً * النساء / ٨٧ .
- ز . الرؤيا * لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد
 الحرام إن شاء الله * الفتح / ٢٧ .
- ح . الرؤية * ... لأرئي من آياتنا الكبرى * الاسراء / ١ .
- ط . الإرادة * ... لتحكم بين الناس بما أراك الله * غافر / ١٠٥ .
- ي . التعليم * وعلمناه صنعة لبوس لكم ... * الانبياء / ٨٠ .
- ك . التنزيل * ... وقرآننا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه
 تنزيلاً * (٦٩)
- ل . الانزال * ... فإذا أنزلت سورة محكمة ... * محمد / ٢٠ .
- م . الانباء * ... قال نبياني العليم الخبير ... * التحريم / ٣ .
- ن . الاظهار * ... وأظهره الله عليه ... * التحريم / ٣ .
- س . النفث * من قول الرسول ﷺ : إن روح القدس نفث في
 روعي أن النفس الخبيثة لا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من
 أحسن إليها .
- ٤٤ . أرفد الرسول ﷺ أمره إلى المقاتلين أن يقاتلوا كما
 مثل لهم عاصم بأمر آخر بمطابقة توجيهه في لفاتحة النزال وتتابعه
 بهو : « إذا اكتنفكم القوم فأنضحوهم بالذبل ، وأستبقوا بآلكم عن
 بُعد فإن الرمي مع البعد غالباً ما يخطيء . ولا تسلبوا السيوف

حتى يفشوكم . ولا تحملوا حتى تؤذنوا . » (٧٠) .
 أي أن تحديد توقيتات المراحل فيما يختص بتطور الموقف
 وخواص الأسلحة كان من ضمن الاقتصاد بالقوة والجهد وهو مبدأ
 من مبادئ الحرب الحديثة . فلكلماته التوجيهية لغرض التنفيذ
 المتعاقب كانت :

احذقوا / انضحوا ... اطعنوا بالرمح ... سلوا السيوف
 وجالدوا ... ثم احملوا وشبوا . أي ازحفوا بإضافة الخطى إلى
 السيوف والسيوف إلى صدور المشركين الزحف . لقد صدر أمر
 الشد بعد أن توقف مد زحف العدو المدفع وتخلل سراقه وفراره
 وقومه ، فحبطت هجمات قريش وصنت واستقرت الرفعة
 للمسلمين وكانت تبشير النصر المبين ملء سمع وبصر المؤمنين .
 واستيفاء للغرض واستبانة للمراد تعدد باختصار مراحل

التقابل :

- أ . تصاففت الفئتان * فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة
 يرونهم متليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ... وانتظم
 المسلمون بتشكيل الصف المستوي ذي الجناحين وتكثف
 المشركون صفوفاً ، رجالاً وحِيَالاً ، بانتظار الزحف بعد المبارزات
 الفردية والجماعية فهم — حسب تصورهم — الفئة المتفوقة الأكثر
 نفيراً ونفراً ، الوافرة الغدة الكاثرة العدة .
- ب . استطلاع متبادل ، كل فئة تريد كشف تفاصيل إمكانات
 وقابليات الفئة الأخرى .

جـ . مبارزة فردية بين المتحمس الأسود بن عبد الأسد الذي
 اندفع من بين الصفوف المشتركة متحدياً المسلمين زاحفاً نحو
 الحوض ليشرب الماء مُتَبَرّاً يمينه فتصدى له حمزة بن
 عبد المطلب منطلقاً من صفوف المسلمين فاعترضه فقتله عند
 الحوض . ومبارزة أخرى بين عامر بن الحضرمي ومهجع مولى عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه الذي استشهد فيها .

د . مبارزة ثلاثية تعاونية بين حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي
 طالب والحارث بن المطلب رضي الله عنهم من جهة وبين
 شيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة من جهة معاكسة وكلهم
 أبناء عبد المطلب .

هـ . استهلاها علي بقتل الوليد ثم قتل حمزة عتبة ، وضرب شيبة
 ساق عبيدة فقطعها ، فكَرَّ حمزة وعلي على شيبة فقتلاه متعاونين
 ثم أحتملا عبيدة فحاذاه إلى الصف (٧١) . وفيهم نزلت آية * هذان
 خصمان اختصموا في رههم فالذين كفروا قطعتم لهم نيباً من نار
 يُصَّبُ من فوق رؤوسهم الخميم ... * .

و . ثم شد الكفر كله زاحفاً على الإيمان كله في حملة فائقة

الصولة (هجوم عام) مستغلين قابلية حركة الخيالة اجود استقلال ، والتحموا بصقوف المسلمين المنضبطين بوصايا رسولهم وهم صائمون . واحتدم القتال ولمعت السيوف مُقَرَّبة الاجال ، وثبت المؤمنون الابطال ثبات الجبال . ثم أوعز الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اليهم بامرهم : شُؤوا . فحمل جند الله على جند اللات حملة صادقة يضربون فوق الاعناق ويضربون كل بنان ، والله يؤيدهم بملائكته مدداً ويشري لطمانة القلوب بالفوز .

و . ثم فرَّ سراقا وقومه فانخرق الصف وانهارت المعنويات وياشر المشركون بالهزيمة تبعاً .

ز . واستقرت الحال بهزيمة الكفار الاشرار مطموني الادبار زانفي الابصار ترهقهم ذلك المار ويَجْلَلُهم الخسار ، وفي هزيمتهم قال الواحد القهار ﴿ ﷻ ﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿ ﷻ ﴾ وقد فسرهما ابن عباس ان المقصود هو القتل يوم بدر (٧٣) .

إنَّ فَقْدَ كَرْ الْكُفَّارِ كَرٌّْ وَاحِدَةٌ وَفَرَا وَاحِدَةٌ وَلَمْ يَسْتَخْدِمُوا اسْلُوبَ الْكَرِّْ الَّذِي قَدْ يَكُونُ فَرْدِيًّا أَوْ جَمَاعِيًّا عَلَى التَّتَابُعِ أَوْ بِالْقُدَمَةِ ، وَالْفَرُّ الَّذِي قَدْ يَكُونُ فَرًّا اسْتَطْرَادًا أَوْ فَرًّا اسْتِعْدَادًا أَوْ فَرًّا ابْتِمَادًا أَوْ فَرًّا إِمْدَادًا أَوْ فَرًّا ارْتِدَادًا مَضْمُونًا أَوْ انسحاباً مسيطراً عليه . وتلك اصطلاحات اصطنعها أهل العلوم المختلفة للدلالة على معانيهم بالفاظ نقلوها من معانيها المعروفة ، وصاروا يطلقونها على ما استنبطوه من معاني وما وقفوا عليه من حقائق . والمصطلح كلمة لها معنى لغوي يفهمه الناس عامة ومعنى آخر يفهمه أهل ذلك العلم فحسب ، الذي استعملت فيه الكلمة (٧٣) .

الفدكة

٤٥ . نخلص من تدبر جماع التتوينات حسب ما توفر منها من معلومات ، وللكاتب اعتزاز ببضاعة متواضعة يحتجتها من حب التراث العربي الاسلامي ، والتخصص بالعلم العسكري وفن الحرب مع الشغف الاثير بالفن الحربي في القرآن المنير مقارناً بالمعطيات المعاصرة ذات العلاقة الصميمة ، من كل أولئك نخلص الى الموجز الآتي الذي نرجحه ونميل اليه في ما جريات هذا الموضوع :

أ . الصف القتالي معروف عند امم الارض عبر التاريخ كما هو معروف عند عرب الجاهلية ولم يبتكره الرسول ﴿ ﷺ ﴾ في غزوة بدر الكبرى . ان قريشاً نفسها صاففت المسلمين في هذه الغزوة . وعليه فان من تابع اللواء الركن محمود شيت في إقرار ابتكار الصف في بدر ممن جاء بعده من المؤثرين قد اخطأ في الاخذ عنه قرار الابتكار . أما استاذي الشيخ اللواء الركن محمود شيت

نفسه ، الذي قُتِلَ لكتابه (الرسول القائد) بانه وضعه بعد أن قرأ كثيراً من المؤلفات العسكرية الباحثة في تاريخ حرب القادة العظام ، فضلاً عن تأليفه كتاب (الحيل الحربية) وكتاب (الروم في ارض الشام وليبيا ومصر) وكتاب (الهند قبل الفتح الاسلامي) وكتاب (المصطلحات العسكرية في الادب الجاهلي) ، وغيرها كثير فلا يخفى عليه ذلك . واكبر الظن أن استاذي الفاضل اراد أن اسلوب قتال المسلمين الذين انتظموا صفوفاً متراسة وقاتلوا بالطريقة التي شرحها عاصم بن ثابت ، أي باستغلال خواص الاسلحة ومدياتها وحسن معالجة الاهداف هي الطريقة المبتكرة التي باغتوا بها المشركين لعدم ممارستهم لها في القتال الجمعي والزحف من طرف واحد وثبات الطرف الثاني لامتنعاص الهجمة الشرسة . ولعل ذلك كان النهج الذي وعاه والغرض الذي رماه ومقصده الذي نحاه ممّا خفي فحواه على بعض من تابعه من الكتّاب والله اعلم بالصواب . ولا ضرر من كلف القمّر ، وشوّد الخيلان أطاريق خدود الجسان . اما المبارزة الفردية واستخدام اسلحة البطل المودي المدجج فمعروفة لديهم كما قرأناها في قصيدة الشاعر الجون النمري ومثّل لها عاصم على انفراد .

ب . كتب اغلب من أخذ شيئاً من نصوصه المتقدم ذكرها عن كتاب (الرسول القائد) أن اصطفاة المسلمين في بدر كان استناداً الى آية الصف ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٍ مَرْصُوصِينَ ﴾ وهذا جَنَفٌ في الاسناد وسَلَخٌ للدُّبِّ قبل الاصطياد لأن سورة الصف بكاملها نزلت بعد غزوة بدر بمدة ليست بالقصيرة . إن هذه الآية تُوجِّه الصورة لما حدث في بدر وما بعد بدر أي انها شاملة لها ولغيرها ولكن لم تنزل بسببها أو لمناسبتها لانها بيان وتبيان لما يرضي الله في أي زمان ومكان ، وامثلتها كثيرة في القرآن حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصية السبب ولا بتحديد المناسبة . فمثلاً آية الهجرة ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنُوا فِي الْقَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْفَائِزِينَ ﴾ نزلت بعد الهجرة بتسع سنين استرجاعاً لعبر لا تمحوها الايام وليس وصفاً آنياً للهجرة (٧٤) وكذلك هي سورة قريش ﴿ لَيْلًا قُرَيْشٍ ﴾ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ الذي أطعمهم من جُوع وأمنهم من خُوف ﴿ نَزَلَتْ لِأَظْهَارِ الْعِبَرَةِ وَالْدَّرْسِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ أَنَّ الْاِقْتِصَادَ الْمَتِينِ (مُبِيدُ الْجُوعِ) وَالْأَمْنُ الْقَوْمِي (مُبِيدُ الْخَوْفِ وَالْجُزُوعِ) هُمَا مِيدَانُ أُسَاسِيَانِ مِنَ الْمَبَادِيءِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلأمة الكريمة العزيزة الحرص عليهما حاضراً ومستقبلاً كما أنعم الله

بهما على قریش في الماضي . ومن هذا القبيل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ﴾ أي في حال زحفهم باتجاهكم ، وغالباً لا يزحفون إلا وهم أكثر نفيراً . نزلت هذه الآية في سياقها مع أخريات في سورة الأنفال بعد تحقق النصر في بدر وعند توزيع الغنائم والأنفال ، ولكنها سارية المفعول للتطبيق أبداً .

إن استاذي الشيخ اللواء الركن خطاب لم يقل أن آية الصف نزلت في بدر زماناً ومكاناً ، بل ذكرها تحت عنوان عام — تعميماً لا تخصيصاً — هو (تنظيم القتال في الاسلام) . وقد غابت هذه الملحوظة عن خاطر من جعل القتال في غزوة بدر استناداً إليها . ج . كذلك غامت الصورة في أعين من خصص حديث الرسول ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص » بما جريات الحرب وكفى . فالحديث ذكره البخاري في صحيحه مرتين . مرةً في كتاب الصلاة وأخرى في كتاب الأدب في باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره . قال أبو موسى قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » ثم شبك بين أصابعه ، وكان النبي ﷺ جالساً ... (٧٠) فالظرف عام يتسع لغيره ، والحرب فيه ولا خصوصية لها به .

د . كان أبو سفيان صخر بن حرب صاحب لواء الحرب في قریش . فلما تغيب مع القافلة التجارية ودعت الضرورة الى القتال في اثناء غيابه ، تسلم القيادة أبوجهل (٧١) فكان ترس الآلة ولولب الحركة ومحور الفطرسه وصاحب القرار المطاع في وجوب القتال وحضور المصاع . أما القادة الأدنون فللاستشارة والسمع ولا رأي لمن لا يطاع . إن السيطرة لم تخرج من يد أبي جهل عمرو بن هشام حتى قُتل وفر المشركون الى مكة عزين متفرقين فرادى وثنى وثبات .

هـ . وتأسيساً للنتائج على المقدمات لم يظهر في غزوة بدر مفهوم العمق والاحتياط كما هو عليه في الحرب المعاصرة وكما ذكره خطاب في غرضون الكتاب في الصفحة الثلاثين ، وأرجح هذه الحقيقة التي جاءت ضمن نقذات العميد الركن سيف الدين سعيد ، ولكن يمكن القول أنه كان هناك تعاون يجمل المسلم أخاً للمسلم لا يخذله ولا يسلمه ، ويكون احتياطاً له ومعيناً في الموقف الحرج . وقد لمسنا هذا عندما تعاون حمزة وعلي رضي الله عنهما على قتل شيبه انقاذاً لثالثهما عبيدة بن الحارث . وحادثة أخرى في المعركة ذاتها عند قتل أبي جهل زعيم الطغاة الشداد ورأس الشرك وحيّة بطن الوادي ، فقد حمل معاذ بن عمرو بن الجموح على أبي جهل فاطار قدمه الى نصف ساقه ، فضرب

عكرمة بن أبي جهل معاذاً على عاتقه فطرح يده . ثم تولى معوذ بن عفراء أبا جهل وهو عقير ، فضربه حتى أثبتته وتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قُتل . فتلّت عبد الله بن مسعود واحتز رأس أبي جهل (٧٢) . ولعل هذا احد أوجه المصطلح المعروف في عصرنا بـ (روح التعاون Espritdecorps) .

و . أفاد العميد عبد الرزاق محمد اسود والعميد الركن سيف الدين سعيد في ما قدمنا من نصوص كتابيهما ، وهما من ضباط صنف خيالة الجيش العراقي في مطلع الأربعينيات ويثويان في الحكم الى معرفة ميدانية واقية ، أن الخيل تخشى الذبل أكثر من خشيتها من الرماح . وكذا زسم أبو العلاء صورة الطرف الذي صار كالقنفذ ممّا علق به من ذبل . وكذا رسم المتنبّي رمي ممدوحه نواصي الخيل بالنشاب والذبل .

وعليه فالرأي القائل بوجود (الرماحة) في الصف الامامي من صفوف المسلمين في بدر رأي مرجوح لا راجح لأن وضع رماة الذبل (القواس) خلف الرماحة يعيقهم ويحدد عدد الاسهم التي بالامكان رميها على مئة أو سبعين خيلاً متقدماً اليهم ضمن مسافة زهاؤها (٢٠٠) متني ذراع ، علماً أن عدد القواس قليل نسبياً لأن المسلمين خرجوا من المدينة على عجلة من أمرهم . كما بات من المعلوم أن الرماحة في أحد جمفهم الرسول ﷺ على مرتفع (عيين) لحاكمية المكان (٧٣) واكبر الظن أن الذين قالوا بوضع الرماحة امام القواس أخذوه بداية عن الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ) من قوله في صفة ترتيب الجيش عند اللقاء في الاندلس : « أحسن ترتيب رأينا في بلادنا أن نُقدم الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ورماحهم خلف ظهورهم وهم جاثمون في الأرض وقد ألقموا ركب أرجلهم اليسرى وخلفهم رماة السهام المختارون . والخيل خلف الرماة ... » (٧٤) . إن هذا ترتيب أملت طبيعة أرض الاندلس وهو جائز وما كل جائز حسن في الصحراء .

ز . للعلاقة الوثيقة بين الصف والزحف بات لزاماً بيان شيء عن الزحف أسوة بما بينا عن الصف لئلا نهدر معاني الالفاظ ونهزم مباني الكلام ونخلط خصائص المفردات ونجعلها مترادفات وهي ليست كذلك .

جاء في لسان العرب . مادة (زحف) :

زَحَفَ : مَشَى • زَحَفَ الدُّبْنُ : مَضَى قُدْماً .

الزحف : مَشَى الفَتَتَيْنِ تَلْتَقِيَانِ لِلْقِتَالِ فَيَمْشِي كُلُّ فِيهِ مَشْيًا رويداً الى الفتة الأخرى قبل التبدائي للضراب والزحف — أيضاً — : الجماعة يزحفون الى العدو بمِرَّةٍ .

والزُحاف في الشعر، سقوط حرف بين حرفين فيزحف أحدهما على الآخر، وسُمي زحافاً لثقله .

ولعل الزحف المُتمهل الذي شُبِّهه (صن تزو) بعظمة الغابة على هذا الأساس من الثقل .

والكتيبة التي لا تقدر على السير إلا رويداً من كثرتها تسمى الكتيبة الجزارة فاز اجتمعت سُميت بالكتيبة المُلملمة والملمومة^(٨٠) وهذه التسمية بسبب ثقل الحركة ويطاعة السير ورويد الزحف .

والنكتيب والنكتب من ممارسات الجاهلية . قال مالك بن نويرة^(٨١) :

فقال الرئيس الخوفزان نكتبوا

بني الحصن قد شارفتم ثم جزبوا

فما فتتوا حتى رأونا كأثنا

من الصبح أدنى من البحر مُزبد

بلمومة شهباء يبرق خالها

ترى الشمس فيها حين دارت ثوقد

ويذكر بشار بن برد الزحف فيحسن الوصف :

وجيش كسجنح الليل يزحف بالخصى

وبالشوك والخطي حُمراً ثقالبة

فالجيش الموصوف بالخصى يصعبُ غلُّه ويترقبُ خدُّه لكثرتِه . وبالشوك لوفرة أسلحته ذات الشوك وتتنوعها . وافرد الرماح الخطية لجوبتها . واراد بالثعالب الحمر نهايات الأسلحة الدامية لغزارة دماء الاعداء التي أريقَتْ عليها . وهذا الجيش اسود سواد الليل من كثرة الحديد الذي يحمله المقاتل أو يلبسه . وخُصَّ جنح الليل رمزاً للتناسق والتلاحك والكثافة كقوائم الطير وخوافيه .

ح . كلُّ ذلك يقودنا الى التمييز بين الصف والزحف في الوصف ونوع الرُصف . وهذه محاولة هادفة لعرض معنييهما على نحو يُبرهنهما من تشوه الصورة ويُمهّد ما يحفّ بهما من وعورة .

فالصف إنتظام وترتيب . والزحف إنضمام وديبب . فالانضمام والديبب يشملان التكتل والتجحفل والقُدْمة مع الحركة المُنسقة قُدْماً . أمّا الانتظام والترتيب فيشملان الصف والرتل والنسق والمسطر والخط والكربوس . وللكربوس معنى يختص بالقطعة العظيمة من الخيل ، ويغْمُ غيرها من الكتاب المتجمعة للحرب ، ومن المحتمل أن يكون مُعرّناً عن (Cohors / Cohortes)^(٨٢) وقد جاءت لفظة كرايس في شعر

الاعشى الكبير الجاهلي :

متى أدع منهم ناصري يات منهم

كراديس مامون علي خذولها

أي ان دعوتهم يوماً لنصري أتتني منهم الكتاب والخيل مامونة الخنول فلا خذلان أبداً وقال ابو تمام الطائي :

حرب يكون الجيش بعض ضبوها

ويكون فضل غبوقها الكربوسا

غرم أمريء من روجه فيها إذا

نو السلم أغرم قطعاً ولبوسا

كم بين قوم ، إنما نفقاتهم

مال ، وقوم يُنفقون نفوسا

ط . وللمعاصرين اتفاق وافتراق وانفراج وامتزاج في توجيه بعض معاني الكلمات الخاصة بموضوع البحث توجيهاً نسمعه صراحاً أو اصطلاحاً ، وكلها تنور في فلك واحد في أحد مقاصدها .

فمن المقاصد المنتزعة من لسان العرب لابن منظور في النسق أن النسق من كل شيء ما كان على طريقه نظام واحد ● ونُقِرَ نسقٌ : اذا كانت اسنانه متساوية ● والتنسيق : التنظيم ● والنسق : كواكب مصطنعة خلف الثريا ● ويقال : رأيت نسقاً من الرجال ، أي بعضها الى جذب بعض . ومن مقاصده في الرتل أن الرتل حين تناسق الشيء . ونُقِرَ رتلٌ : حَسُنَ تنسيق الأسنان . وقد استحدثوا معنى آخر للرتل — وقد سَكَنُوا التاء فيه — ذكره المعجم الوسيط وهو : جماعة من الخيل أو السيارات أو الجند يتبع بعضه بعضاً .

٤٦ . قد كان للترجمة شان مماثل فيما نهيينا اليه من توجيه المعاني . فمن مقاصد كلمة (line) الانكليزية كما حدده المعجم العسكري المُوحّد ، والمورد للبلعبيكي ، هو الصف والنسق والخط والنظام والاسلوب . وكلمة (Row) تفيد الصف والنسق والخط أيضاً . ومن مقاصد كلمة (rank) هو الصف والنسق والنظام والرتبة والترتيب . وتعني كلمة (File) الصف والرتل والطابور . ومن معاني كلمة (queue) الصف والرتل والطابور أيضاً . ومن مقاصد كلمة (Column) الرتل والطابور و « القول » . ونكرر ما تفيد الكلمة اليونانية (koortis) من شمول الكتلة والكربوس والكتيبة والقطعة العسكرية المنتظمة والطائفة من الخيل .

والكلمات التركية نوات الصلة بالموضوع هي (alay) تفيد الحشد واللواء « والطاقم » والكتيبة والجمع الغفير . وتعني كلمة (bölük) الكتيبة والسرية والزمرة . وتفيد كلمة (Orta)

« أروطة » الفوج والكتيبة . وإن كلمة (Ordu) تعني الجيش الميداني ، كالغليق والفرقة (٨٢) والفرق بين أغلب هذه الأسماء — لا سيما الصف والخط والنسق والرتل — فرق بسيط مضمّر لا يتعدى الشكل والتعداد وتنطبق عليها قاعدة : « إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا » ولنضرب لها مثلاً اليوم والليلة فإذا قلنا : مكثنا ثلاث ليالٍ ، فالليلة (٢٤) ساعة بليلها ونهارها . وإذا قلنا : مكثنا ثلاثة أيام فالיום (٢٤) بليله ونهاره . أما إذا قلنا : مكثنا ثلاث ليالٍ وأربعة أيام فالليلة (١٢) ساعة واليوم (١٢) ساعة .

قال تعالى • سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ... • فعندما افترق اليوم أو الليلة عن بعضهما اجتمع المعنى (٢٤) ساعة وعندما اجتمعا معاً افترق المعنى فصار (١٢) ساعة لكل منهما .

وكذا إذا ذكرنا الصف لذاته تَضُمَّنَ الكردوس والعكس صحيح ملموس ، وإذا اجتمع الصف والكردوس تخصص كل منهما بشكله وعدده . وهكذا الرتل والنسق . والفوج والكتيبة والجيش والخميس .

القتال وواقع الحال

٤٧ . تطرح ثمالة المقال شرحاً مقتضباً ذا صلة بموضوع القتال والمعاصرة ويستمد منهجيته من حديث الرسول ﷺ : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . أي أن شؤون الدنيا تتبع اجتهاد البشر مؤمنهم وكافرهم . وأن الأنبياء لم يُبعثوا ليعلموا الناس الجرف وفنون الصناعات والزراعة والهندسة والطب . إن صميم رسالتهم هو شرح العقائد والعبادات والأخلاق وتركيز النفس والمجتمع وبت التعاليم التي تحكم الصلات بين الناس وريثهم ، وبينهم وبين بعضهم ، وتُعدهم للموبة الى الله اتقياء بررة . فالجهاد مثلاً واجب ، لكن ألوات الجهاد واسالييه ليس لها قالب مُعَيَّن تُصَبُّ فيه . فإذا تغيّرت الوسائل من السيف والرمح الى المدفع والصاروخ ، تغيّرت معها الأحكام القديمة وتحول رباط الخيل الى انشاء المطارات والحصون الحديثة والى انشاء معاهد العلوم الذرية والكيميائية والاحيائية وتجنيّد الفضاء وتقانة الليزر وثورية المعلومات .. الخ .

قديمًا كان المقاتل يشتري سلاحه من ماله الخاص ويتمهد صيانتَه ويتدرب عليه تباغاً . فإذا سمع نداءً أو هيمَةً خرج راجلاً أو مع فرسه الذي ارتبطه في سبيل الله . فإذا استشهد خَلَفَ أيّامن ويتأمن . وإذا جرح تحسّل مداواة نفسه ونظام الفئائم — هنا — لا بدّ منه بل هو العدالة المفروضة .

أما اليوم فقد تغيّرت الحال فالدولة تجنّد الأفراد وتعدّهم

وكامل احتياجاتهم للقتال ... الخ (٨٤) .

إنّ تعبئة الرسول ﷺ جيشه في معاركه هي سُنّة استهدفت المصلحة التي هي النصر . فإذا اقتضت المصلحة التغيير اليوم أو غداً غَيَّرْنَا فيها لأنها سُنّة غير تشريعية وتتعلّق بالمتغيّرات الدنيوية ... الخ (٨٥) والامور الدنيوية المحض التي لا تنظّم العلاقة بين الخالق والمخلوق ولا تنظّم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان ، بل تنظّم اصول الزراعة والجرف والمهن والتجارة وفن الحرب وما أشبه ذلك لا يلتزم بها المسلمون لا وجوباً ولا ندباً ، وما أشرق هدى الله لمثل هذا . بل هذا وامثاله متروك لما يخططه العقل البشري الذي زَيّن الله به الانسان وميّزه به عن الكائنات الحية أجمع (٨٦) .

نكث الكِنَانَة

٤٨ . يقيناً ، لم أقصد التصدّي للصف القتالي البدرى المنوّن في كتاب (الرسول القائد) . لكنّ قراءتي نصوصاً نُقلت عنه بتصرف وتحرف عفوي الجأنتي الى كتابة هذا المقال . ويندث النقول كخال جميل على خبز أسيل .

والله اسأل ينفعنا بما كتب استاذي محمود شيت خطاب العالم الجليل وما كتب من تطرقنا الى نتاجهم المعرفي الاصيل . وأقول :

نَضَرَ الله أَخاً أَصْفَى لِقَوْلِي
وَوَعَاهُ وَعِي إِنْسَانٍ نَبِيَّةٍ
وَأَتَانِي حَيْثُ أَخْطَأْتُ بِنُصْحٍ
وَقَسَدَانِي لِمَكَانِ اللَّيْسِ فِيهِ
وَجَزَاهُ اللهُ غِيَّ كُلِّ خَيْرٍ
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ مِرَآةُ أَخِيهِ

والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنام وعلى آله واصحابه واتباعه الكرام .

جريدة المظان والتبيان

(•) تهبّر المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم ، والمرشد اليها ، وتهبّر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف ، وما هو مطبوع من نواوين الشعراء ، سهّل للقاريء الباحث الرجوع الى ما يريد من أي القرآن والاحاديث الصحاح والاشعار الواردة في متن المقال . فباتت الاشارة الى ذلك في المظان غير ملزمة الا ما أوجبتها خصوصية نادرة . كما أن الاشارة الى المصادر والمراجع المعتمد عليها تأتي تفصيلية عند ذكرها للمرة الاولى .

١ . محمود شيت خطاب ، اللواء الركن . الرسول القائد . ط ١ بغداد ١٩٥٨

١٣ م. ن. ترجمة فاخر عبد الرزاق. مجلة الثقافة الاجنبية العدد الاول السنة ٧ بغداد ١٩٨٧ ص ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٩.

١٤ م. ن. ترجمة كنعان خورشيد العميد الركن، ضمن كتاب جنود السوق ط ١ بغداد ١٩٨٧ ص ٢٤.

١٥ جورج كاستلان. تاريخ الجيوش ط ١ مصر ١٩٥٦ مترجم. ص ٢٢.

١٦ قصة التعمية ص ٢٥.

١٧ م. ن. ص ٢٦. المزالون هم زماة المزايدات. والمزايدة (Catapulta) آلة أصغر من المنجنيق لقذف الحجارة.

١٨ م. ن. ص ٢٧.

١٩ اميل لرمنم. حياة محمد. ترجمة عادل زعيتر ط ٢ مصر ١٩٤٩ ص ١٢٧. ثم ه. ج. ويلز موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز جاويد ط مصر ١٩٥٨ ص ١٩٥.

٢٠ محمد كرد علي. رسائل البلاء ط ٣ مصر ١٩٤٦ ص ٢٧٦.

٢١ زهير احمد القيسي. موقع الشطرنج في التراث الشعري العربي. مجلة العربي العدد ٢٢١ نيسان ١٩٧٧ ص ٩٧.

٢٢ ابن خلدون. المقدمة. ط مصر ص ٢٧١ - ٢٧٣.

٢٣ الجيش والقتال في صدر الاسلام. ص ٢٣٤ التعمية في القتال.

٢٤ الفن الحربي في صدر الاسلام. ص ٥٣.

٢٥ ابو الفضل ابراهيم وآخرون. ايام العرب في الجاهلية ط مصر لا تاريخ ص ٥١.

٢٦ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ٣٠٠.

٢٧ م. ن. ص ٤١٩.

٢٨ م. ن. ص ٤٢١.

٢٩ م. ن. ص ٤٠٠، ٤٤٢، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٦.

٣٠ م. ن. ص ٤٤١، ص ٤٤٠.

٣١ م. ن. ص ٤٤٢، ٣٩٤، ٤٤٦.

٣٢ علي الجارم وآخرون. البلاغة الواضحة. ط مصر لا تاريخ ص ١٦٢.

٣٣ الواقدي. المغازي. ط بيروت لا تاريخ. محققة ج ١ ص ٢١٤. ثم محمد لطفي جمعة. ثورة الاسلام وبطل الانبياء. ط مصر ١٩٥٩ ص ٩٤٣.

٣٤ المظفر الملوحي. نضرة الاغريض ط دمشق ١٩٧٦ ص ١٨٧.

٣٥ م. ن. ص ١١٣.

٣٦ عبد المعين الملوحي. المنصفات. ط دمشق ١٩٦٧ ص ٤٤.

٣٧ نضرة الاغريض. ص ١٣٨.

٣٨ ابن سيدة. المخصص. ط بيروت لا تاريخ. السفر الصائم، ابواب القتال ص ٨١، ص ٨٣.

٣٩ ابن قتبية. الشمر والشعراء ط ٣ مصر ١٩٧٧ ج ١ ص ٣٢٧.

٤٠ الجاحظ. البيان والتبيين. ط ٢ مصر ١٩٦٠ ج ٣ ص ٢٥.

٤١ ابن الجوزي. اخبار الحمقى والمغفلين ط بغداد ١٩٦٦ ص ٢٣٢.

٤٢ توفيق الفكيكي. ادب الفتوة والدعاية العسكرية عند العرب ط النجف

ص ٨، ٣٠، ٧٣، ٧٨، ٨٤.

٢. الكتب نوات الاقتباس واسماء مؤلفيها.

١. محمد احمد باشميل. غزوة بدر الكبرى. ط ٣ بيروت ١٩٦٦ ص ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ٢٦٨.

ب. عبد الرؤوف عون. الفن الحربي في صدر الاسلام. ط مصر ١٩٦١ ص ٢٢٨.

ج. احسان هندي. الحياة العسكرية عند العرب. ط دمشق ١٩٦٤ ص ٢٤٩.

د. محمد خالد. العميد الركن. قصة التعمية. ط ١ بغداد ١٩٦٩ ص ٤٧.

هـ. ياسين سويد، المقدم، معارك خالد بن الوليد ط بيروت ١٩٧٣ ص ٩٩.

و. عماد الدين خليل، الدكتور، دراسة في المسيرة ط دار الدفانس ١٩٧٤ ص ١٨٥.

ز. عبد الجبار الصامرائي، الرائد. نظم التعمية عند العرب. مجلة المورد العراقية، العدد الرابع ١٩٨٣ ص ٨.

ح. محمود احمد عواد. الجيش والقتال في صدر الاسلام. ط ١ الارن ١٩٨٧ ص ٢٢٥، ص ٢٣٠.

ط. نهاد الجبوري، الرائد. العمليات التعميرية والدفاعية عند المسلمين. ط ١ بغداد ١٩٨٧ ص ٤٤.

ي. وزارة الاعلام العراقية. الجيش والسلاح. ط بغداد ١٩٨٧ ج ٢ ص ٨.

ك. اكرم العمري، الدكتور. السيرة النبوية الصحيحة ط ٤ المدينة المنورة ١٩٩٣ ص ٣٦١.

٣. الكتب المُلَمَّة بالموضوع واسماء مؤلفيها.

١. نعمان ثابت، الرئيس الركن. الجندية في الدولة العباسية ط ٢ بغداد ١٩٥٦ ص ٢٣٣، ص ٢٣٤.

ب. محمد جمال الدين محفوظ، المقدم الركن. معارك الاسلام الاولى. ط مصر لا تاريخ ص ٣٥، ص ٦٥.

ج. عبد الرزاق محمد أسود، العميد. حياة الرسول المصطفى. ط ١ بيروت ١٩٨١ ج ٢ ص ٤٢٣.

د. كونستانس جورجيو. نظرة جديدة في سيرة رسول الله. مترجم. ط ١ بيروت ١٩٨٣ ص ٢١٩، ص ٢٤٣.

٤. سيف الدين سعيد، العميد الركن. الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي ميزان. ط ١ بيروت ١٩٨٣ ص ٧٢، ٧٣، ١٦٤، ١٦٥.

٥. وزارة الثقافة والاعلام. الجيش والسلاح. ج ١ ص ٣١٦، ج ٢ ص ١٩.

٦. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. ط ١ بغداد ١٩٧٣ ج ١ ص ٣١٦، ص ٢٤٩.

٧. الكتاب المقدس، العهد العتيق ط بيروت ١٩٨٨ سفر القضاة، فصل ٢٠ فقرات ١٩ - ٢٣.

٨. قصة التعمية ص ٢١.

٩. يوسف خلف عبد الله. الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث. ط ١ بغداد ١٩٧٧ ص ١٠٤، ١٨٢، ١٨٣.

١٠. جرجي زيدان. تاريخ التمدن الاسلامي ط مصر لا تاريخ ج ١ ص ١٥٨.

١١. قصة التعمية ص ٢٣.

١٢. صن تزو. فن الحرب. ترجمة حداد ط ١ بيروت ١٩٧٥ ص ٩٩، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٠.

٦٦. الاصفهاني، محمد بن داود. الزهرة. ط. بغداد ١٩٧٥. محقق ج ٢ ص ٢٢٥.
٦٧. للمقارنة والتوسع ينظر كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي ط. مصر ١٩٦٤. محقق. الباب ١٧. ص ٢٤. ثم كتاب تاريخ فن الحرب للجفرال ستراكوف ط. ١ دمشق ١٩٦٨. مترجم. ج ١ ص ١١٧.
٦٨. ابن هذيل الاندلسي. عين الانب والسياسة وزين الحسب والرياسة ط. بيروت ١٩٨١ ص ٣٠١ عن الحسن بن السائب. ثم ديوان مجد الاسلام هاشم ص ١٨٦.
٦٩. نكر الراغب الاصبهاني في كتابه (مفردات غريب القرآن) مادة (نزل) أن التذليل يختص بالموضع الذي يشير اليه انزاله مُفَرَّقاً ومرة بعد اخرى، والانزال عام، ونكر ابن منظور في مادة (نزل) مثل هذا و اضاف رأياً لابي الحسن مفاده ألا فرق بينهما في مهلة أو جملة.
٧٠. ابن هشام. السيرة النبوية. ق ١ ص ٦٢٦. ثم صحيح البخاري، مفاري / ٩٩. ثم مفاري الواقدي ج ١ ص ٦٧. ثم الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الطبري ط. ٢ مصر ١٩٦٨ ج ٢ ص ٤٤٦ ثم السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٠.
٧١. مفاري الواقدي. ج ١ ص ٦٨، ص ٦٩.
٧٢. السيوطي. تفسير الجلائين. الطبرسي. مجمع البيان.
٧٣. جميل سعيد، الدكتور. بروس في البلاغة وتطورها نقلاً عن مجلة المورد العدد (٢) سنة ١٩٩٧ ص ٧٨.
٧٤. محمد الفزالي. علل والدية. ط. ٢ دمشق ١٩٦٦ ص ١٦٨.
٧٥. صحيح البخاري. صلاة / ٨٨، أنب / ٢٦.
٧٦. مفاري الواقدي. ج ١ ص ٣٩ ثم حلان. السيرة النبوية ج ١ ص ٣٦٨.
٧٧. ابن هشام. السيرة النبوية. ق ١ ص ٦٣٥.
٧٨. مفاري الواقدي ج ١ ص ٢١٩.
٧٩. الطرطوشي. سراج الملوك. ط. ١ مصر ١٩٣٥ ص ٣٣٧.
٨٠. الثعالبي. فقه اللغة. ط. بيروت ١٨٨٥ ص ٢٢٠.
٨١. ابن عبد ربه الاندلسي. العقد الفريد. ط. مصر ١٩٦٥ ج ٥ ص ١٩٩.
٨٢. عبد الرحمن زكي، العقيد. السلاح في الاسلام. ط. كصر ١٩٥١ حرف الكاف.
٨٣. ابراهيم الداوودي، الدكتور، وآخرون. المصمب التركي العربي ط. بغداد ١٩٨١ صفحات شتى.
٨٤. محمد الفزالي، السيرة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث ط. ٤ ١٩٨٩ ص ١٣٢.
٨٥. محمد عمارة، الدكتور. الاسلام وحقوق الانسان ط. عالم المعرفة الكويت ١٩٨٥ ص ١١٩.
٨٦. خالد رشيد الجميلي، الدكتور المدخل في دراسة الشريعة الاسلامية القانون ط. بغداد ١٩٨٩ ص ١٢٧.

- ١٩٤١ ص ٣١.
٤٢. محمود شكري الالكوسي. بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب. ط. ٣ مصر ١٣٤٢ ج ٣ ص ٤، ص ٥.
٤٤. أيام العرب في الجاهلية. ص ٣٠.
٤٥. ابو عبيدة معمر بن المثنى. النقائض، نقائض جرير والفريز ط. لبنان ١٩٠٧ ج ٢ ص ٦٤٣. باختلاف يسير. ٤٦. عبد الجبار السامرائي، العميد. الاسهامات الجهادية للمرأة العربية - مجلة المورد المراقبة العدد الاول سنة ١٩٩٩ ص ٤٣.
٤٧. ابن قتيبة. عيون الاخبار. ط. مصر ١٩٦٤ كتاب الحرب المجلد الاول ص ١٣١.
٤٨. ابن ماتي. الفاشوش في حكم قراقوش. ط. مصر لا تاريخ ص ١٧٠.
٤٩. احمد محرم. ديوان مجد الاسلام. ط. مصر ١٢٨٢ هـ ص ٣٦٦.
٥٠. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. ج ٥ ص ٤٢٧.
٥١. ابن هشام. السيرة النبوية. محققة. ط. ٢ مصر ١٩٥٥ ق ٢ ص ٦٦.
- ثم ابن القيم. زاد المعاد ط. مصر ١٩٧٠ ج ٢ ص ١٠٣.
٥٢. الحياة العسكرية عند العرب. ص ٣٠٥.
٥٣. علي بن عدلان الموصل. التبيان شرح الديوان. ط. مصر ١٩٥٦ ج ٣ ص ٢٩٣. الشرح منسوب غلطاً لابي البقاء العكبري.
٥٤. الثعالبي. المتشابه. مجلة كلية الاداب المراقبة العدد الماشر سنة ١٩٦٧ ص ١٦، ص ٢٦.
٥٥. احمد عبيد الكبيسي، الدكتور. المرأة والسياسة في صدر الاسلام. ط. ١ ابو ظبي ١٩٨٠. ثم ياقوت الحموي. معجم البلدان. ط. بيروت ١٩٥٧ ج ٤ ص ٢٤٢.
٥٦. ابن منظور. لسان العرب. مادة (كهل). ثم أسامة بن منقذ. لباب الاداب. ط. مصر ١٩٣٥. محققة. ص ١٧٧. وقد شكَّن الباء في (أَضْرَبَ) المفتوحة الهمزة لتوالي الحركات.
٥٧. البلاغة الواضحة. ص ٢٢٣.
٥٨. ابن حنبل. مسند الامام احمد. ط. بيروت لا تاريخ ج ١ ص ١١١، ص ٣٩٧.
٥٩. ابن هشام. السيرة النبوية. ق ١ ص ٦٢٥.
٦٠. مفاري الواقدي. ج ١ ص ٩٢.
٦١. احمد زيني حلان. السيرة النبوية ط. ١ بيروت ج ١ ص ٣٩١. مطبوعة على حاشية السيرة الحلبية.
٦٢. الحلبي علي بن برهان الدين. السيرة الحلبية ط. بيروت لا تاريخ ج ٢ ص ١٦٤.
٦٣. الرصافي، معروف. الشخصية المحمدية. مخطوط ج، ص ٤٠٠.
٦٤. للتوسع تراجع زينة التفاسير، وصفوة البهائم لمعاني القرآن، وتفسير الجلائين، وغيرها.
٦٥. لسان العرب. مادة (قدم) و (يود).

المبرد والقراءات القرآنية

د. علي ناصر الخالجي
جامعة بغداد / كلية التربية

بذل النحويون الأوائل جهداً كبيراً في أثناء وضعهم قواعد النحو العربي . فقد شرعوا في استقراء اللغة من مصادرها الأولى ؛ القرآن الكريم وقراءاته والشعر وكلام العرب الفصحاء والأمثال . وهم في استقراءهم كانوا يرومون الدقة والشمول لذلك — فالشاهد النحوي الذي يمتصونه ما برحوا يتخفونه سنداً لاية قاعدة نحوية يستنبطونها وكلما كثرت الشواهد التي تسند هذه القاعدة أو تلك أضحت أكثر اطراداً لكونها شائعة ومألوفة في الاستعمال . والقراءات القرآنية تعد مصدراً مهماً من مصادر النحويين وفي الوقت نفسه عدت خير معبر عن الواقع اللهجي السائد في الجزيرة العربية آنذاك ، فقد وردت طائفة من القراءات وفيها مظاهر لهجية تمثل لهجات قبائل تميم وقيس وأسد وهذيل وغيرها لذلك عني بها دارسو اللهجات واتخذوها مصدراً من مصادرها . وقد رافقت القراءات القرآنية النحو العربي منذ نشأته فكان للنحويين القدماء أمثال عبد الله بن أبي اسحق الحضري وعيسى بن عمر وغيرهما اختيار خاص بالقراءة فضلاً عن أن أبا عمرو بن العلاء يعد أحد القراء السبعة وبعد أن تهيئت دعائم النحو العربي على يد الخليل وسيبويه كانت القراءات مصدراً مهماً من مصادر النحويين .

بعض الدارسين الذين تعرضوا لموقف البصريين .

فقد ذهب محمد عبد الخالق عضية الى : ((أن الحملة على القراء برز قراءاتهم وتلحينهم استفتح بابها وحمل لواءها زعماء البصرة المتقدمون ثم تطاير شررها الى من بعدهم فشاركوا فيها))^(١) .

ونحا الدكتور عبد المال سالم مكرم الى أن البصريين : ((كانوا لا يحتجون بالقراءات الا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم))^(٢) .

ونكر ايضاً إن البصريين قد استبعدوا من منهجهم الاستشهاد بالقراءات إلا اذا كان هناك شعر يسندها أو كلام عريق يؤيدها أو قياس يدعمها^(٣) .

ووازن الدكتور مهدي المخزومي بين موقف البصريين وموقف الكوفيين ونكر ان — الكوفيين قبلوا القراءات واحتجوا بها واتخذوها شاهداً للكثير من أصولهم وأحكامهم وذلك يفاير موقف البصريين تماماً^(٤) .

ونكرت الدكتورة خديجة الحديثي ان الخليل وسيبويه قد غلبا بالقراءات ولم يخطئا قراءة بل نظرا الى القراءات نظرة احترام وتقديس لان القراءة سنة وينبغي الا تخالف^(٥) .

ومن يتتبع نشأة النحو العربي يتبين أن معظم النحويين

وقد تضاربت الآراء في موقف النحويين سواء أكانوا من البصريين أم الكوفيين من القراءات فمنهم من أنحى باللائمة على البصريين لكونهم طعنوا في القراءات ووصموا عدداً من القراء باللعن ومنهم من أثنى على الكوفيين لانهم لم يستبعدوا من منهجهم الاستشهاد بالقراءات وذلك ما سنتبينه من خلال البحث .

ومن اجل الدقة في البحث ولكونه لا يتسع ليشمل موقف النحاة جميعهم من القراءات ارتأيت ان اتخذ علماً بارزاً من أعلام مدرسة البصرة في النحو الا وهو ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ) لكي اسبر موقفه من القراءات لذا عدت الى كتابيه المقتضب والكمال في اللغة والأدب وجمعت القراءات التي وردت فيها وما ذكره المبرد من تعليقات تشير الى موقفه من القراءات على اني لم اكتف بذلك بل عدت الى بعض المصادر التي ذكرت ان للمبرد موقفاً من هذه القراءة او تلك مما لم يرد في كتابيه اللذين عدت اليهما وكانا مصدرى هذه الدراسة .

هذا ومن الله التوفيق ..

• التمهيد •

قبل الخوض في موقف المبرد من القراءات لابد من ذكر آراء

١ - قبول القراءات :

وهو الاتجاه الغالب على موقف المبرد فهو يستشهد بالقراءة من غير ترجيح أو تغليب ويذكر أكثر من وجه في القراءة الواحدة ويعطى تفسيراً لكل وجه بما ينسجم وطبيعة تفكيره النحوي وسأعرض طائفة من القراءات تبين موقفه هذا من ذلك مثلاً :

١ - قال المبرد : ((فاما القراءة فعلى ضريين : قرأ قوم (وقالت اليهود عزيز ابن الله) ﴿ التوبة / ٣١ ﴾ لانه ابتداء وخبر فلا يكون في (عزيز) الا التنوين ومن قرأ : - (عزيز ابن الله) فانما أراد خبر ابتداء كانهم قالوا : هو عزيز ابن الله))^(١١) .

وقراءة التنوين هي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وقرأ الباقون بغير تنوين لكونه لا ينصرف للمعجمة والتعريف أولاً لالتقاء الساكنين^(١٢) . وقد رجح الفراء قراءة التنوين^(١٣) .

على حين ان المبرد يذكر القراءتين ويفسرهما على حد سواء ويعرض أوجه الاعراب التي تآثرت باختلاف القراءة .

٢ - وقال أيضاً : ((وهذه الآية تقرأ على الأوجه الثلاثة وذلك قوله : (في الظلمات والظلمات والظلمات)^(١٤) ﴿ الانعام / ٢٩ ، ١٣٢ والانباء / ٨٧)

ونسبة تسكين العين في (ظلمات) في جميع القرآن قرأ بها الحسن البصري ويحيى بن وثاب وكذلك قراءة فتح العين^(١٥) .

فالمبرد يذكر أوجه القراءة كلها على الرغم من شذوذ بعضها .

٣ - وجاء في المقتضب : ((وقال : (يا أهل يثرب لا مقام لنا) ﴿ الاحزاب / ١٣ ﴾ لانها من قمت موضع قيام ومن قرأ : (لا مقام) إنما يريد لا إقامة))^(١٦) . فهو يقبل القراءتين من غير ترجيح والقراءتان سبعتان فقراءة الضم لحفص أما الباقون فقرأوا - بالفتح^(١٧) . أما الفراء من الكوفيين فقد رجح قراءة (مقام) بفتح الميم وقال : ((والمقام بفتح الميم أجود في العربية))^(١٨) .

٤ - وقال : « وقرأ بعضهم (بالغدوة والعشي) فادخل الالف واللام على (غدوة) من الآية : (يدعون ربهم بالغداة والعشي) (الكهف / ٣٨ الانعام / ٥٢) فذكر القراءة^(١٩) من غير اعتراض عليها . لكن الفراء انكر هذه القراءة لان العرب لا تدخل الالف واللام على غدوة وأن العرب استعملوها نكرة^(٢٠) .

وزعم الفراء أن قراءة (بالغدوة) هي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي لكنها قراءة ابن عامر أيضاً^(٢١) . ويظهر أن هذه القراءة هي أثر لهجي تماثل فيه الالف نحو الواو .

٥ - وقال أيضاً : « فاما قراءة الحسن (صابٍ والقرآن)

الأوائل كان لهم اهتمام خاص بالقراءات وكانوا يرجحون قراءة على أخرى الى ان نصل الى أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة فضلاً عن انه كان يرجح قراءة أو يفضلها على غيرها فقد لحن عدداً من القراءات على الرغم من ان بعضها كان لقراء معروفة مكانتهم كابن عامر مقرئ الشام ونافع بن أبي نعيم مقرئ المدينة^(٢٢) . وهما من القراء السبعة .

وقبل البحث في موقف المبرد من القراءات ينبغي ان نطرح الاسئلة الآتية :

كيف يمكن تبرير رفض بعض البصريين لعدد من القراءات ؟ وهل قبل الكوفيون القراءات كلها ؟ ألم يشتركوا مع البصريين في رمي عدد من القراء بالوهم وعدم معرفة العربية ؟ ألا يمكن تفسير منهج البصريين بأنه منهج يميل الى الحفاظ على اطوار القاعدة وطرح الشاذ حفاظاً على تقريب العربية لدارسها من العرب وغيرهم ؟

وقبل الشروع في الجواب عن ذلك ينبغي أن نعرض موقف المبرد من القراءات لنتمكن من خلال ذلك من معرفة حقيقة موقف النحاة من القراءات بشكل واضح ودقيق^(٢٣) .

• المبرد والقراءات •

عني المبرد بالقراءات القرآنية واتخذ منها شاهداً للكثير من القواعد النحوية لكنه لم يكن معنياً بعزو القراءات . فكثيراً ما يستعمل تعبيرات تدل على عنايته بالقراءة أكثر من عنايته بالقارئ الذي قرأها من ذلك قوله : ((وقد قرأ بعض القراء)) و ((فاما القراءة فعلى ضريين)) و ((على هذا قراءة من قرأ)) و ((وقراءة بعض الناس)) ...

لكنه عزا بعض القراءات لأصحابها فعزا قراءة للرسول ﴿ ﴿^(٢٤) والخليل^(٢٥) والحسن البصري^(٢٦) وأبي عمرو بن العلاء^(٢٧) وحمزة الزيات^(٢٨) ونافع بن أبي نعيم^(٢٩) ويعقوب بن اسحق الحضرمي^(٣٠) وعيسى بن عمر^(٣١) وعبد الله بن عباس^(٣٢) وأبي رجاء المطاردي^(٣٣) ومحمد بن مروان^(٣٤) . وأغلب الظن أن المبرد كان يعنى بالقراءة وبخاصة تلك التي تخص الجانب النحوي ولم يكن راوياً للقراءات لذلك أغفل العديد من القراءات . ولم ينسبها لأصحابها وهي معظم ما ورد في كتابيه من قراءات . أما موقفه من القراءات فيمكن ان نصنفه في ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الاول : قبول القراءات

الاتجاه الثاني : ترجيح قراءة على أخرى

الاتجاه الثالث : رد القراءات والطعن فيها

(ص / ١) فإنه لم يجعلها حرفاً ولكنه فعل إنما أراد : صاد بالقرآن عملك وهذا تفسير الحسن أي عارض بالقرآن عملك من قولك صاديث الرجل أي عارضته^(٢٠) . وتُنسب هذه القراءة لابن أبي اسحاق وأبي بن كمب ونصر بن عاصم^(٢١) وعلى الرغم من أن هذه القراءة شاذة لكن المبرد يقبلها ويفسرها من غير أن يعترض عليها .

٦ — وقال أيضاً : « والآية تقرأ على وجهين : (قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب) ﴿ سبا / ٤٨ ﴾ بالنصب والرفع^(٢٢) وقراءة الرفع هي قراءة جمهور القراء أما قراءة النصب فهي قراءة عيسى بن عمرو ابن أبي اسحق وزيد بن علي وهي من القراءات الشاذة^(٢٣) وعلى الرغم من أن في القراءة اختلافاً نحوياً لكن المبرد لا يعترض أولاً يرجح قراءة على أخرى ويذكر وجهي القراءة من غير تعليق .

وهناك نماذج عدة تبين ان المبرد يستشهد بالقراءة بأوجهها المختلفة معطياً تفسيره لكل وجه من غير تفصيل او طعن^(٢٤) وذكر طائفة من القراءات التي تمثل بعض اللهجات العربية القديمة منها لهجة تميم وقيس وأسد وكلها تدخل في اتجاه قبول القراءة وتفسيرها لصالح القاعدة النحوية أو لتأييد استعمال لغوي^(٢٥) .

٢ — الترجيح :

— رجح المبرد عدداً من القراءات لأنها أقرب الى القياس او الى الاستعمال الفصح او لأنها لقيت قبولا من سابقه ونجد ذلك جلياً في موقفه من قراءة أبي عمرو بن العلاء (فقد جا أشرطها) (محمد / ١٨) فكان أبو عمرو يخفف الهمزة الاولى اذا اجتمعت همزتان في كلمتين ويحقق الهمزة الثانية أما اذا ابتدأ بهمزتين متجاورتين في كلمة والهمزة الاولى للاستفهام فكان يحقق الهمزة الاولى ويخفف الهمزة الثانية وعلى نهجه هذا جاءت قراءته (ألد وأنا عجوز) (هود / ٧٢) لكن الخليل بن أحمد كان يرى ان تخفف الهمزة الثانية على كل حال ذلك لان اللفظ يبتدىء بالهمزة الاولى وينبغي أن تحقق لذلك وقد رجح المبرد رأي الخليل وقال : « وقول الخليل اقيس واكثر الذويين عليه »^(٢٦) .

— وتعرض المبرد لقراءة أبي عمرو بن العلاء في مجال الابدغام إذ مال الى ابدغام لام (هل) و (بل) فيما بعدهما وقرأ : (بئشون) في قوله تعالى : (بل تؤثرون) (الاعلى / ١٦) وقرأ أبو عمرو : (هتوب الكفار) في قوله تعالى : (هل تؤب الكفار) (المطفون / ٣٦) وعزيت قراءة الابدغام لحمزة

الزيات والكسائي^(٢٧) . فساوى المبرد أول الامر بين الابدغام والاطهار ومال الى الإظهار فقال : « وهو عندي احسن لتراخي المخرجين »^(٢٨) .

— وفي مجال الابدغام أيضاً رجح قراءة إظهار النون مع أصوات الحلق وذلك في أجود القراءتين على رأيه : (الا يعلم من خلق) ﴿ الملك / ١٤ ﴾ لأنها تظهر النون عند مجاورتها للخاء وقد قرأوا بابدغام النون مع الخاء والغين في جميع القرآن^(٢٩) ولذلك قال المبرد : « وهذا عندي لا يجوز ولا يكون ابداً مع حروف الحلق الا الاظهار »^(٣٠) وقال قبل ذلك : « إنما قلت أجود القراءتين لان قوماً يجيزون اخفاءها مع الخاء والغين خاصة لانهما اقرب حروف الحلق الى الغم »^(٣١) . فهو يتردد في موقفه من هذه القراءة بين الترجيح والرفض .

— وفي باب الجزء ذكر المبرد ان المعطوف على فعل الشرط ينبغي ان يكون مجزوماً وأجاز فيه الرفع على سبيل القطع وأجاز فيه النصب وإن كان قبيحاً^(٣٢) . واستشهد لذلك بقراءة : (يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) ﴿ البقرة / ٢٨٤ ﴾ وذكر انها قرئت على ثلاثة اضرب بالجزم والرفع والنصب . وعزيت قراءة الرفع في (فيغفر) الى ابن عامر وعاصم من السبعة أما باقي السبعة فقرأوا بالجزم وعزيت قراءة النصب الى ابن عباس والاعرج^(٣٣) . فالمبرد يذكر أوجه القراءة المختلفة في الآية ثم يرجح اقربها الى القياس وأجودها في الاستعمال فقد قرأه الجزم أجودها ثم قراءة الرفع بالنصب^(٣٤) .

— وذهب الى ان ياء المتكلم حينما تقع مضافاً اليها ينبغي ان تحذف في النداء ويجوز ان تثبت واستشهد لاثباتها بقراءة : (يا عبادي فأتقون) ﴿ الزمر / ١٦ ﴾ وهي قراءة رويس^(٣٥) وعزا سيويوه هذه القراءة الى أبي عمرو بن العلاء وذكر أن : « بقيان الياء لغة في النداء في الوقف والوصل »^(٣٦) . والمبرد لم يخطيء القراءة الثانية لكنه رجح القراءة بحذف الياء عليها^(٣٧) .

— وعقب على ما جاء في مصحف ابن سمود : (وتبوا لو تدهن فيدهنوا) ﴿ القلم / ٩ ﴾ — بقوله : « والقراءة : (فيدهنون) على المطف وفي الكلام : و لو تاتي فتحدث فهو يرجح قراءة المطف على قراءة النصب مستعيناً بمثل من كلام العرب لكنه يمود ليجيز القراءة بالنصب فيقول : « وان شئت نصبت الثاني »^(٣٨) .

٣ — رد القراءات والطنع فيها :

— رد المبرد قراءة سعيد بن جبير (وأنه تعالى جذاً ربنا) ﴿ الجن / ٣ ﴾ وذلك لكونها خالفت الرسم القرآني إذ ورد

في القرآن : (وانه تعالى جدُّ رينا) فقال المبرد :
« قرأ قارئاً (جداً رينا) على معنى (جدُّ رينا) لم
يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سميد مخالفة الخط »^(٩٩) .
— وقرأ جمهور القراء برفع (آيات) من قوله تعالى :
(واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزقٍ
فاحيا به الأرض بعد موتها ويث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح آياتٌ لقوم يعقلون) (الجاثية / ٤) .
وقد قرأ الاعمش والجحدري وحمزة ويعقوب
بالنصب^(١٠٠) . وعقب المبرد على قراءة النصب بقوله : « وقد
قرأ بعض القراء وليس بجائز عندنا (واختلاف آيات)
فجعل (آيات) في موضع نصب وخفضها لتاء الجمع
فحملها على (إن) وعطفها بالواو وعطف (اختلافاً) على
(في) ولا ارى ذا في القرآن جائزاً لانه ليس بموضع
ضرورة »^(١٠١) .

وسبب رفض المبرد قراءة النصب هو عدم جواز العطف
على معمولي عاملين ذلك لأن قراءة النصب تؤول على النحو
الآتي : (وان في تصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) فقد
عطف على معمولي عاملين هما (ان) وحرف الجر (في)
وذلك مما يرفضه المبرد^(١٠٢) .

— ومما وصمه باللحن من القراءات متأثراً بأراء سابقيه
قراءة : (هؤلاء بناتي هنَّ أطهر لكم) (هود / ٨٧)
بنصب (أطهر) فقال فيها : « أما قراءة اهل المدينة
فهو لحن فاحش وانما هي قراءة ابن مروان ولم يكن له علم
بالعربية »^(١٠٣) ولم تكن هذه قراءة محمد بن مروان فحسب
لكنها قراءة الحسن البصري وزيد بن علي وعيسى بن عمر
وسعيد بن جبير^(١٠٤) . ونقل أبو حيان ما رواه يونس بن حبيب
عن أبي عمرو بن العلاء قوله : « احتبى ابن مروان في هذه
في اللحن » وعزا أبو حيان تلحين القراءة الى سيبويه لكن
الثابت ان سيبويه لم يلحن القراءة في كتابه^(١٠٥) .

وفضّل المبرد قراءة الرفع في (أطهر) لانها خبر
للمبتدأ (هنَّ) ولا يصح عنده ان تكون (هنَّ) ضمير فعل
وتنصب (أطهر) على سبيل الحال وهو في ذلك يحذو حذو
الخليل وسيبويه والآخر^(١٠٦) .

— وورد المبرد قراءة اتفق عليها القراء السبعة وهي (أو جاء وكم
حصرت صدورهم) (النساء / ٨٩) وقال يفسر هذه القراءة أول
الامر : « وليس الأمر عندنا كما قالوا ولكن مخرجها — والله اعلم
اذا قرئت كذا — الدعاء كما تقول : لعنوا قطعت ايديهم . وهو من

الله ايجاب عليهم فاما القراءة الصحيحة فانما هي : (أو جاء
وكم حصرة صدورهم »^(١٠٧) وعزيت هذه القراءة ليعقوب من القراء
العشرة^(١٠٨) . وتخرج المبرد للقراءة الاولى ثم عده القراءة الثانية
هي الصحيحة جرأة منه للطنن في قراءة اتفق عليها .

— وورد المبرد قراءة أبي عمرو واهل المدينة : (وانه اهلك عاداً
لؤلى (النجم / ٥٠) موصولة مدغمة وقال في ذلك : « ما علمت
ان ابا عمرو لحن في صميم العربية في شيء من القرآن الا في :
(يُكَلِّمُ اليك) (آل عمران / ٧٥) وفي (وانه اهلك عاداً
الاولى)^(١٠٩) ، على حين قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة
والكسائي (عاداً الاولى) مخففة^(١١٠) . وسبب رفض المبرد لهذه
القراءة يعود الى عدم جواز ادغام التثنية في اللام لان التثنية
ساكن واللام ساكنة فكانه جمع بين ساكنين^(١١١) . وقد قبل الزجاج
هذه القراءة وعدها لهجة^(١١٢) وكذا — فعل الفراء^(١١٣) .

— وطمعن المبرد في قراءة أبي عمرو في اختلاس الحركة لكونه كان
يميل الى التخفيف والسرعة في النطق فروى عن أبي عمرو
(يشعركم) و (يعلمهم) و (يامرهم)^(١١٤) .

وفسر الفراء هذا المنهج في القراءة تفسيراً صوتياً يهدف
الى التخفيف من الحركات اذا توالى^(١١٥) .

وقد عرف هذا النهج في النطق في قبائل تميم وأسد^(١١٦)
بوصفه ظاهرة لهجية وفسرها سيبويه انها إسراع في اللفظ^(١١٧) .
لكن المبرد يطمعن في هذه القراءة ويقول : « انه لا يجوز في
كلام ولا شعر لانها حرف اعراب »^(١١٨) .

— ورد المبرد قراءة همز (معائش) من قوله تعالى : (ولقد
مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش) (الاعراف / ٩)
فقال « فاما قراءة من قرأ (معائش) فهمز فاته غلط وانما هذه
القراءة منسوبة الى نافع بن أبي نعيم ولم يكن له علم بالعربية
وله في القرآن حروف قد وقف عليها »^(١١٩) .

ويظهر ان المبرد كان متأثراً بشيخه المازني فقال في
تصريفه : « فاما قراءة من قرأ من اهل المدينة (معائش) بالهمز
فهي خطأ فلا يلتفت اليها وانما أخذت عن نافع بن أبي نعيم ولم
يكن يدري العربية وله احرف يقرأها لحناً نحواً من هذا وقد قالت
العرب : مصائب فهمزوا وهو غلط »^(١٢٠) ورفض المبرد قراءة نافع
لانه همز الياء وهي ليست زائدة فمتى ما كلفت الياء زائدة صغ ان
تهمز كما في صحائف ومدائن ذلك لان جمع معيشة : معايش وهي
قراءة السبعة عدا نافع بن ابي نعيم^(١٢١) .

وقد سبقهما الفراء في اعتراضه على همز (معايش)
فقال : « لا تهمز لانها — يعني الواحدة — مفعلة الياء من الفعل

فلذلك لم تهمز انما من هذا ما كانت الياء فيه زائدة مثل مدينة ومداين وقبيلة وقبائل» (٧٢).

وعد همز معايش ونحوه مما توهمت فيه العرب لشبهها بالوزن في اللفظ وعدة الحروف .

وقال ايضاً : « وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام » (٧٣) ولعل هذه القراءة تدخل في مجال همز ما لم يهمز . وهي ظاهرة لهجية معروفة في قبائل تميم وقيس وغيرها ويرى بروكلمان ان هذه الظاهرة عرفت في اللغة السامية الام وبقيت آثارها في العربية القديمة ولهجاتها (٧٤) . — ورد المبرد قراءة حمزة : (واتقوا الله الذي تسالون به والارحام) في النساء / ١ « وذلك لكونه عطف (الارحام) وهو اسم ظاهر على الضمير (الهاء) المجرور وقال المبرد : « وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه الشاعر » وذكر قول الشاعر (٧٥)

فاليوم قرئت تهجوننا وتشتمنا

فانهب فما بك والايام من عجب

والقراءة بخفض الارحام هي قراءة عبد الله بن عباس قتادة وابراهيم النخعي والاعمش والحسن البصري ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وقرأ الباقر بنصب (الارحام) عطفاً على لفظ الجلالة (٧٦)

والذي كان يهتف اليه المبرد من اعتراضه على هذه القراءة هو السعي لان تطرد القاعدة النحوية ، فالشائع في الاستعمال هو عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر أما عطف الاسم الظاهر على الضمير فذلك قليل وشاذ لا يصح جوازه ولا النسج على منواله لكونه يمثل منحنى غير فصيح . فلأجل ألا تضطرب القاعدة وقف المبرد وغيره هذا الموقف الذي يسمى الى تشذيب اللغة مما هو شاذ غريب في الاستعمال .

— وعذ المبرد قراءة : (ثم ليقطع فليُنظر) في الحج / ١٥ « لحنأ وقال : « فان الاسكان في لام (فليُنظر) (الحج / ١٥) لحنأ وقال : « فان الاسكان في لام (فليُنظر) جيد وفي لام (ليقطع) لحن لأن (ثم) منفصلة من الكلمة وقد قرأ بذلك يعقوب بن اسحق الحضرمي » (٧٧) .

وعزيت هذه القراءة للقراء السبعة ما عدا أبا عمرو بن العلاء وابن عامر فضلاً عن يعقوب بن اسحق الحضرمي من القراء العشرة (٧٨) ويعود رفض المبرد الى ان المطرود في الاستعمال تسكين لام الامر — اذا سبقت بالواو أو الفاء أما اذا سبقت بـ (ثم) فلا يصح ان تسكن بل تحرك بالكسر ذلك لان (ثم)

كلمة مستقلة عن لام الامر غير ملتصقة بها وهو في هذه القراءة كدأبه مع القراءات الاخرى التي رأى فيها خروجاً على الشائع في الاستعمال وشذوذاً لا ينسجم مع القياس .

— ورفض المبرد قراءة أخرى فقال : « وقد قرأ بعض القراء بالاضافة فقال : (ثلاثمائة سنين) في الكهف / ٢٥ « وهذا خطأ في الكلام غير جائز وانما يجوز مثله في الشعر للضرورة وجوازه في الشعر أنا نحمله على المعنى لانه في المعنى جماعة وقد جاز في الشعر أن تفرد وأنت تريد الجماعة اذا كان في الكلام دليل على الجمع » (٧٩) . وعزيت هذه القراءة الى حمزة والكسائي وخلف والحسن البصري وطلحة والاعمش وآخرين (٨٠)

وقد ذكر أبو حيان ان هذه القراءة انحنى عليها ابو حاتم السجستاني « ولا يجوز له ذلك » (٨١) .

ويتبين لنا أن المبرد يحنو حنو أبي حاتم في رفض هذه القراءة ذلك لان التمييز المضاف اليه ينبغي أن يكون بصورة المفرد مع العدد ثلاثمائة وذلك هو المطرود في قاعدة العدد أما أن يكون بصورة الجمع فهو مخالف لها .

وعلى الرغم من نهج المبرد المتشدد ازاء هذه القراءات لكنه كان حريصاً على أن تحتفظ العربية بقواعد ثابتة لا يكتنفها الاضطراب والخلل فما شاع في الفصحى في مصادرها كلها سواء في القرآن أم في الشعر أم في كلام العرب فهو الاصل الذي يعتمد عليه في القياس وما سوى ذلك فهو من قبيل الاستعمال النادر الذي لا يصح القياس عليه .

* الخاتمة *

وبعد عرض موقف المبرد من القراءات يمكن القول أنه لم يعترض على القراءات جميعها لكنه قبل طائفة منها واستشهد بها بوصفها مصدراً من مصادره . أما اعتراضه على عدد من القراءات فقليل بالموازنة مع قبله منها فذلك لا يشكل سمة من سمات منهجه بقدر ما يبين اجتهاده وموقفه الخاص به سواء أكان متأثراً بشيوخه أم بمنهجه الثابت في وضع قواعد شاملة تصلح لكل زمان ومكان بغية تيسير هذه اللغة لا للعرب فحسب بل لغير العرب من الموالي ومن الاقوام التي دخلت الاسلام .

واذا ما عد بعض الدارسين تشدد البصريين من القراءات سمة تعكس طبيعة مدرسة البصرة فان هذه السمة موجودة عند بعض الكوفيين وبخاصة الفراء فقد خطا بعض القراءات ورمى أصحابها باللحن تارة وباليهوم تارة أخرى لذا ومن أجل ألا يقتل الخلاف بين النحويين من البصريين والكوفيين ينبغي عدم موقف النحويين من القراءات موقفاً شخصياً يعتمد على اجتهاد هذا

النحوي أو ذاك في مسائل اللغة والنحو وحجب هذه المسألة عن ميدان الخلاف يرمي التقليل من شأن حدة الخلافات بين البصريين والكوفيين .

وبعد فقد أكون مغالياً فيما عرضت أو مقصراً هنا أو هناك فذلك ما يوجب الاعتذار سلفاً .

والله الموفق وبه نستعين .

الهوامش

- (١) أبو المباس المبرد وأثره في علوم العربية : ٤٣ .
- (٢) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية : ٥٧ .
- (٣) القرآن وأثره في الدراسات النحوية : ٩٧ .
- (٤) مدرسة الكوفة : ٣٤١ .
- (٥) دراسات في كتاب سيبويه : ٣٦ .
- (٦) أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو . الدكتور زهير زاهد ١٢٥ - ١٢٩ .
- (٧) ينظر البحث الموسوم : « موقف الفراء من القراءات القرآنية » مجلة المورد مج ١٧ ع ٤ ص ١٥ وما بعدها . وفيه تم الوقوف على موقف الفراء من القراءات بوصفه عالماً بارزاً من أعلام مدرسة الكوفة في النحو .
- (٨) المقتضب : ١٨٧ / ٢ .
- (٩) نفسه : ٣٦٤ / ٢ .
- (١٠) نفسه : ٢٨٣ / ١ .
- (١١) نفسه : ١٥٨ / ١ ، ٢١٤ ، ١٠٧ / ١ ، ٣٧٢ .
- (١٢) الكامل : ٣٩ / ٣ .
- (١٣) المقتضب : ١٢٣ / ١ .
- (١٤) نفسه : ١٣٤ / ٢ .
- (١٥ - ١٧) الكامل : ١١٢ / ١ ، ٣٩ / ٣ ، ٨٥ ، ٣٢٩ / ١ .
- (١٨) المقتضب : ١٠٥ / ٤ .
- (١٩) المقتضب : ٣١٦ / ٢ .
- (٢٠) ينظر في القراءة اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للشمياطي : ٢٤١ .
- (٢١) معاني القرآن : ٣٠٠ / ٢ .
- (٢٢) المقتضب : ١٨٩ / ٢ .
- (٢٣) ينظر في القراءة البحر المحيط لأبي حيان الأنلسي : ٨٠ / ١ وشوان ابن خالويه : ٣٦ / ٢ .
- (٢٤) المقتضب : ١٢٠ / ٢ .
- (٢٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ٣٤٨ / ٢ .
- (٢٦) معاني القرآن : ٤٤ / ٣ .
- (٢٧) المقتضب : ٣٥٤ / ٤ .

- (٢٨) معاني القرآن : ١٣٩ / ٢ .
- (٢٩) النشر : ٢٥٨ / ٢ ، والبحر : ١٣٦ / ٤ والاتحاف : ٢٨٩ .
- (٣٠) المقتضب : ٢٨٣ / ١ - ٢٨٤ .
- (٣١) ينظر في القراءة البحر : ٣٨٣ / ٧ وشوان ابن خالويه : ١٢٩ .
- (٣٢) المقتضب : ١١٤ / ٤ .
- (٣٣) البحر المحيط : ٢٩٢ / ٧ وشوان ابن خالويه : ١٢٢ .
- (٣٤) ينظر في ذلك مثلاً المقتضب : ١٥٩ / ١ ، ١٨١ ، ٣٤ / ٢ ، ٤٣ ، ١٠٥ / ٤ ، ٢٦٣ ، ٢٩٠ ، والكامل : ١٤٠ / ٢ ومواضع أخرى .
- (٣٥) ينظر في القراءات التي تمثل اللهجات : المقتضب : ١٨٩ / ٢ و ١٠٥ / ٤ ، ٤١٣ . والكامل : ٣٣٩ / ١ و ١٤٠ / ٢ .
- (٣٦) المقتضب : ١٥٨ / ١ - ١٥٩ وينظر الكتاب : ٥٤٨ / ٣ - ٥٤٩ . وينظر في القراءة السبعة في القراءات : ١٣٤ - ١٣٥ . ينظر مفصل قراءة أبي عمرو في « أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو » : ٦٣ - ٦٤ .
- (٣٧) النشر : ٦ / ٢ - ٧ والاتحاف : ٤٣١ / ١ .
- (٣٨) المقتضب : ٢١٤ / ١ .
- (٣٩) النشر : ٢٣ / ٢ .
- (٤٠) المقتضب : ٢١٦ / ١ .
- (٤١) المقتضب : ٢١٦ / ١ .
- (٤٢) المقتضب : ٢٢ / ٢ .
- (٤٣) البحر المحيط : ٣٦٠ / ٢ والنشر : ٢٣٧ / ٢ .
- (٤٤) المقتضب : ٦٧ / ٢ .
- (٤٥) النشر : ١٨٠ / ٢ .
- (٤٦) الكتاب : ٢٠٩ / ٢ - ٢١٠ .
- (٤٧) المقتضب : ٢٤٧ / ٤ .
- (٤٨) الكامل : ٣٤٩ / ٣ . وهناك أمثلة أخرى تبين موقف الترجيح ينظر في ذلك : الكامل : ٢٦٦ / ٢ والمقتضب : ٣١٤ ، ١٨٥ / ٢ .
- (٤٩) الكامل : ١٣٦ / ٣ .
- (٥٠) البحر : ٤٢ / ٨ والنشر : ٣٧١ / ٢ .
- (٥١) الكامل : ٢٨٧ / ١ ونكر هذه الموقف في المقتضب : ١٩٥ / ٤ .
- (٥٢) ينظر تفسير ابن هشام لذلك في المغني : ٤٨٦ / ٢ .
- (٥٣) المقتضب : ١٠٥ / ٤ .
- (٥٤) ينظر في القراءة البحر المحيط : ٢٤٧ / ٥ وفيه : ورويت هذه القراءة عن مروان بن الحكم .
- (٥٥) البحر المحيط : ٢٤٧ / ٥ وينظر الكتاب : ٣٩٦ / ٢ - ٣٩٧ وجاء في الكتاب : أنه بدلاً من هذه .
- واعراب للقرآن : ١٠٤ / ٢ .
- (٥٦) اعراب القرآن : ١٠٤ / ٢ .

— اثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، الدكتور عبد العال سالم مكرم . مطب المصرية — ط ١ — الثانية ، الكويت ١٩٧٨ .

— أعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ، تح: الدكتور زهير غازي زاهد . مطب العاني — ط ١ — الأولى — بغداد ١٩٧٩ .
— البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي ، ط ١ — الثانية — دار الفكر — بيروت ١٩٧٨ .

— التصريف للمازني شرح ابن جني . تح: ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين . ط ١ — الأولى . مطب مصطفى البابي الحلبي — مصر ١٩٥٤ .

— دراسات في كتاب سيبويه ، الدكتور خديجة الحديشي . وكالة المطبوعات — الكويت — ١٩٨٠ .

— السبعة في القراءات لابن مجاهد تح: الدكتور شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

— شرح المفصل لابن يعيش ط ١ — مصورة ، عالم الكتب ، بيروت .
— فقه اللغات السامية . كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب . جامعة الرياض ١٩٧٧ .

— القرآن وأثره في الدراسات النحوية ، الدكتور عبد العال سالم مكرم . دار المعارف بمصر — القاهرة — ١٩٦٥ .

— الكامل في اللغة والادب لأبي العباس المبرد ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم . مطب دار النهضة مصر — القاهرة .

— الكتاب لسيبويه تح: عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ط ١ — الأولى — القاهرة ١٩٧١ .

— لهجة قبيلة أسد ، علي ناصر غالب ، دار الشؤون الثقافية العامة . ط ١ — الأولى ، بغداد ١٩٨٩ .

— مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه شرح: بولغشتاسر ط ١ — دار الهجرة .

— مدرسة الكوفة ، الدكتور مهدي المخزومي ط ١ — الثانية مطب البابي الحلبي — مصر — ١٩٥٨ .

— معاني القرآن للفراء . تح: أحمد يوسف لجاتي ومحمد علي النجار ط ١ — الثانية — بيروت ١٩٨٠ .

— مغني اللبيب لابن هشام . تح: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . دار الفكر . ط ١ — الخامسة — بيروت ١٩٧٨ .

— المقتضب لأبي العباس المبرد . تح: محمد عبد الخالق عزيمة ط ١ — الأولى — القاهرة — ١٣٨٥ — ١٣٨٨ هـ .

— النشر في القراءات العشر لابن الجزري . مطب الدار — دمشق ١٣٤٥ هـ .

(٥٧) المقتضب : ١٢٤/٤ — ١٢٥ .

(٥٨) النشر : ٢٥١/٢ .

(٥٩) اعراب القرآن : ٢٧٦/٣ — ٢٧٧ .

(٦٠) ينظر في القراءة السبعة : ٦١٥ .

(٦١) اعراب القرآن : ٢٧٧/٣ .

(٦٢) نفسه والصفحة نفسها .

(٦٣) معاني القرآن للفراء : ١٠٢/٣ .

(٦٤) النشر : ٢١٣/٢ والسبعة : ١٥٥ — ١٥٦ .

(٦٥) معاني القرآن : ١٢/٢ .

(٦٦) النشر : ٢١٣/٢ وينظر لهجة قبيلة أسد : ولهجة تميم :

(٦٧) الكتاب : ٢٠٢/٤ .

(٦٨) اعراب القرآن : ١٥٦/١ و ٧٠٣/٢ .

(٦٩) المقتضب : ١٢٣/١ .

(٧٠) التصريف : ٣٠٧/١ وينظر في القراءة شواذ ابن خالويه/٤٢ .

(٧١) الاتحاف : ٢٢٢ .

(٧٢) معاني القرآن : ٢٧٣/٢ .

(٧٣) الكتاب : ١٧٩/٤ .

(٧٤) فقه اللغات السامية : ٤١ .

(٧٥) الكامل : ٣ / ٢٩ و اعراب القرآن : ١ / ٣٩٠ و شرح المفصل : ٧٨/٣ .

(٧٦) ينظر في القراءة السبعة في القراءات : ٢٢٦ و اعراب القرآن : ٢٩/١ والاتحاف : ١٨٥ .

(٧٧) المقتضب : ١٣٤/٢ .

(٧٨) ينظر في القراءة النشر : ٣٢٦/٢ والاتحاف : ٣١٤ .

(٧٩) المقتضب : ١٧١/٢ .

(٨٠) ينظر القراءة النشر : ٣١٠/٢ والبحر المحيط : ١١٧/٦ . والاتحاف : ٢٨٩ .

(٨١) البحر : ١١٧/٦ .

* المصادر والمراجع *

— ابو العباس المبرد وأثره في علوم العربية ، محمد عبد الخالق عزيمة مكتبة الرشيد — ط ١ — الأولى — الرياض ١٤٠٥ هـ .

— أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو ، الدكتور زهير غازي زاهد . مركز دراسات الخليج العربي — جامعة البصرة — مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٧ .

— اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر لاحمد بن محمد الدمياطي . دار الندوة الجديدة — بيروت — لبنان . رواه وصححه وعلق عليه علي محمد الضباغ

القراءات القرآنية الشاذة

في ((غريب القرآن)) للسجستاني

د. صالح مهدي عباس

مركز احياء التراث العربي / جامعة بغداد

« القسم الثاني »

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسام القراءات القرآنية^(١) :

قسم العلماء القراءات القرآنية على قسمين :

الاول : القراءات المتواترة .

الثاني : القراءات الصحيحة

أما القراءات المتواترة : فقد قيدها العلماء بأركان ثلاثة .

هي : السند ، والرسم ، والعربية .

فكل ما صحَّ سنده ، واستقام وجهه في العربية ، ووافق لفظه

خط المصحف الإمام ، فهو من السبع المنصوص عليها ، فعلى

هذا الأصل بُني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف ،

ومتى فقد شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ^(٢) .

ويراد بصحة السند : ما نقله العدل الضابط عن مثله ، كذلك

إلى منتهاه ، مع اشتهاؤه عند أئمة هذا الشأن الضابطين له ، وهو

غير معبود عندهم من انقلاط ، ولا ممّا شذَّ به بعضهم^(٣) .

ولم يكتف بعض العلماء بصحة السند ، بل اشترط معه

الثواتر . والمراد بالثواتر : ما رواه جماعة عن جماعة يتمتع

تواطؤهم على الكذب ، من البداءة إلى المنتهى ، من غير تعيين

عدد^(٤) .

وأما القراءات الصحيحة : فعلى قسمين :

الاول : القراءة المستوفية للأركان الثلاثة :

الثاني : القراءة الشاذة .

أما القراءة المستوفية للأركان الثلاثة ، فقد عرّفها ابن

الجزري بقوله : « ما صحَّ سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط ،

إلى منتهاه ، ووافق العربية والرسم »^(٥) .

وتقسم على قسمين وهما :

الاول : القراءة المستفيضة .

الثاني : القراءة غير المستفيضة .

أما القراءة المستفيضة ، فهي تلك التي استفاض نقلها

وتلقّتها الأمة بالقبول ، بما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب

المعتبرة ، أو كمراتب القراء في المد ، ونحو ذلك ، فهذا صحيح

مقطوع به ، أنه مُنزّل على النبي ﷺ . وهذا القسم يلتحق

بالقراءة المتواترة ، وإن لم يبلغ مبلغها^(٦) .

أما القراءة غير المستفيضة : فهي تلك التي ضحّت ، ولم

تلقّها الأمة بالقبول ، ولم تستفض .

واكثر العلماء على جواز القراءة بها ، والصلاة بها —

أيضاً^(٧) .

القسم الثاني : القراءة الشاذة :

وهي القراءة التي وافقت العربية ، وضُحِ سنَدُها ، وخالفت الرُّسْمَ ، من زيادة ونقص ، وإبدال كلمة بأخرى ، ونحو ذلك ، فهذه القراءة تسمى « شاذة » ؛ لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه ، وإن كان إسنادها صحيحاً ، فلا تجوز القراءة بها ، لا في الصلاة ، ولا في غيرها (٧).

وهذه القراءة التي لا تجوز القراءة بها ، لا في الصلاة ولا في غيرها تُعدُّ « ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عُمن هو أكبر منهم » (٨).

الاحتجاج بالقراءات الشاذة :

تناولت فيما سبق (٩) موقف علماء المدرستين البصرية والكوفية من القراءات المتواترة ، ونكرت كيف ان البصريين رفضوا بعض القراءات التي لا تتفق مع أقيستهم التي وضعوها في تقييد قواعدهم النحوية ، وهي من القراءات الشيع المتواترة ، ومن بون أننى شك عدم أخذهم بالقراءات الشاذة . أما الكوفيون فقد كانوا أكثر تسامحاً من البصريين في قبول القراءات الشيع المتواترة والاخذ بها ، وبغيرها من القراءات الأخرى ، وجعلوها أصلاً من أصولهم التي بنوا عليها قواعدهم وأحكامهم .

ولعل في تجرد العلامة ابن جنّي النخويّ للذُّب عن القراءات الشاذة ، خير دليل على تصحيح هذه القراءات والاحتجاج بها من الناحيتين النحوية واللغوية ، حيث يقول : « ... وضرب تعدى ذلك فسمّاه أهل زماننا شاذاً ، أي : خارجاً عن قراءة الشيع ، إلا أنه مع خروجه عنها ، نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامي وورائيه ، ولمنه أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه » (١٠).

القراءات القرآنية الشاذة

قال السجستاني :

﴿ أَيَّانَ ﴾ معناها : أي حين ، وهو سؤال عن زمان مثل : متى . وإيَّان بكسر الهمزة لغة سَلِيم ، حكاه الفراء . به قرأ السلمي : ﴿ إِيَّانَ يَفْقَهُونَ ﴾ (١١).

تخريج القراءة :

قرأ الجمهور ﴿ أَيَّانَ ﴾ بفتح الهمزة . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ﴿ إِيَّانَ ﴾ بكسر الهمزة ، وهي لغة قومه سليم . وذكر الفراء أنه سمع بعض العرب يقول : « متى إ وان ذاك ؟ والكلام : أوان » .

وقال القرطبي : « ... وإيَّان بكسر الهمزة ، وهما لغتان » . والمعنى : أنه نفى عنهم ما انفرد بعلمه الحي القيوم ، وهو وقت البعث . أي : لا يدرون متى يبعثون (١٢).

وقال السجستاني :

﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ (١٣) أثبت قياماً ، يعني أن ﴿ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ ﴾ ، وهي ساعاته ، أوطأ للقيام ، وأسهل على المصلي من ساعات النهار ؛ لأنَّ النهار خُلِقَ لتصرف العباد فيه ، واللَّيْلُ خُلِقَ للنوم والراحة ، والخلوة من العمل ، فالعبادة فيه أسهل .

وجواب آخر : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ أي : أشدُّ على المصلي من صلاة النهار ؛ لأنَّ اللَّيْلَ خُلِقَ للنوم ، فإذا أزيل عن ذلك ثَقُلَ على البعد ما يتكلفه فيه ، وكان الثواب أعظم من هذه الجهة .

وقرئت : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ أي : مواطأة ، أي : أجدر أن يواطىء اللسان القلب ، والقلب العمل .

وقرئت : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ وقيل : هو بمعنى الوطء ، وقال الفراء : لا يقال الوطء ، وما روي عن أحد ، ولم يجزه (١٤).

تخريج القراءة :

قرأ الجمهور : ﴿ وَطْأً ﴾ و ﴿ وَطْأً ﴾ وهما القراءتان المشهورتان . وقد تقدّم ذكرهما في بحث « القراءات المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » .

أما قراءة ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ فلم أقف عليها في المصادر ، ولعلها ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ وهي قراءة ابن محيصن بفتح الواو والطاء وألف ممنونة ، والمعنى أنها أشد مواطأة ، أي : يواطىء القلب فيها اللسان ، أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص (١٥).

وقال السجستاني :

﴿ إِنَّا نَا ﴾ في قوله : ﴿ إِنْ يَذَّكَّرْ مِنْ تَوْبَةٍ إِلَّا إِنَّا تَابَ ﴾ (١٦) أي : موأناً ، مثل : اللات والعزى ، ومناة وأشباهاها من الآلهة

المؤنثة .

ويقرأ : ﴿ أَتْنَا ﴾ جمع وثن ، فقلبت الواو همزة ، كما قيل في
أقنت : وقتت .
ويقرأ : ﴿ أَتْنَا ﴾ جمع إناث .^(١٨)

تخريج القراءة :

قرأ ابن المسيب ، ومسلم بن جندب ، وابن عباس ، وابن
عمر ، وعطاء ، وعائشة ﴿ إِلَّا أَتْنَا ﴾ كأنهم جمعوا (وثناً) على
(وثان) ، كما تقول : جفل وجمال ، ثم جمعوا (وثاناً) على
(وثن) كما تقول : مثال ومثل ، ثم أبدلوا من الواو همزة لما
انضمت ، كما قال الله — عز وجل — :

﴿ وَإِذَا أُلْهِسُ أُقْتَتَ ﴾^(١٩) من الوقت . فأتى جمع الجمع .
وقرأ ابن عباس ، وأبو حيوة ، والحسن ، وعطاء ، وأبو
العالية ، وأبو نهيك ، ومعاذ : ﴿ إِلَّا أَتْنَا ﴾ جمع أنيث كغدير وغدير .
وحكى الطبري : أن جمع (إناث) كثمار وثفر . وقد اجتمع في هذا
اللفظ ثمانى قراءات .^(٢٠)

وقال السجستاني :

﴿ الْإِهْتِك ﴾^(٢١) في قراءة من قرأ : ﴿ وَيَذَرُكَ الْإِهْتِك ﴾
أي : عبادتك .^(٢٢)

تخريج القراءة :

قرأ علي بن أبي طالب ، وأبن عباس ، وابن مسعود ، وأنس
ابن مالك ، وعلقمة ، والجحدري ، وغيرهم ﴿ الْإِهْتِك ﴾ بكسر
الهمزة وفتح اللام ويعدها ألف ، وفشروا ذلك بامرئين :
أحدهما : أن المعنى (وعبادتك ، فيكون إذ ذاك مصدراً .
قال ابن عباس : كان فرعون يُعْبَدُ ولا يُعْبَدُ .

قال أبو بكر الأنباري : فمن مذهب أصحاب هذه القراءة أن
فرعون لما قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾^(٢٣) و ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ
إِلَهِ غَيْرِي ﴾^(٢٤) نفى أن يكون له رب وإلهة ، فقليل له :
﴿ وَيَذَرُكَ الْإِهْتِك ﴾ بمعنى : ويتركك وعبادة الناس لك .
والثاني : أن المعنى : ومعبودك ، وهي الشمس التي كان
يعبدها ، والشمس تسمى إلهة علماً عليها ممنوعة الضرف . وقيل :
البقرة التي كان يعبدها .^(٢٥)

وقال السجستاني :

﴿ تَلْقُونَهُ ﴾^(٢٦) أي : تقبلونه .
وقرئت : ﴿ تَلْقُونَهُ ﴾ من الولق ، وهو استمرار اللسان
بالكذب .^(٢٧)

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس ، وعائشة ، وزيد بن علي ، ويحيى بن يغمر ،
وعثمان الثقفي ﴿ إِذْ تَلْقُونَهُ ﴾ بفتح التاء وكسر اللام وضَمُّ القاف ،
من قول العرب : وَلَقِيَ الرَّجُلُ يَلْقَى وَلَقَاءً ، إذا كذب واستمر عليه ،
فجاءوا بالمتعدي شاهداً على غير المتعدي .

قال ابن عطية : وعندي أنه أراد إذ تلقون فيه ، فحذف حرف
الجر ، فأصل الضمير .

وحكى الطبري وغيره : أن هذه اللفظة مأخوذة من الولق الذي
هو الاسراع بالشئ بعد الشئ كعدد في إثر عدد وكلام في إثر
كلام . يقال : وَلَقِيَ فِي سِيَرِهِ ، إذا أسرع .^(٢٨)

وقال السجستاني :

﴿ تَقْهَزْ ﴾^(٢٩) تغلب .
ومن قرأ : ﴿ تَقْهَزْ ﴾ فهو : استقبالك الإنسان بوجه كريبه .^(٣٠)

تخريج القراءة :

قرأ ابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، والشعبي ، والاشهب
الثقفي ﴿ تَقْهَزْ ﴾ بالكاف ، وهو كذلك في مصحف ابن مسعود .
والمعنى : يحتمل أن يكون نهياً عن قهره بظلمه وأخذ ماله .
وخص اليتيم : لأنه لا ناصر له غير الله — تعالى — فقلظ في أمره
بتخليط العقوبة على ظالمه .

والعرب تعاقب بين القاف والكاف ، وهي لغة بمعنى قراءة
الجمهور ﴿ فَلَا تَقْهَزْ ﴾^(٣١) .

وقال السجستاني :

﴿ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾^(٣٢) أي : تنقصوا الوزن .
وقرئت : ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ بفتح التاء ، ومعناه :
لا تخسروا الثواب الموزون يوم القيامة .^(٣٣)

تخريج القراءة :

قرأ بلال بن أبي بريدة، وزيد بن علي بفتح التاء : ﴿ وَلَا تَخْسِرُوا ﴾ .

وقرأ بلال أيضاً، وأبان بن عثمان، بفتح التاء والسین : ﴿ وَلَا تَخْسِرُوا ﴾ .

أما قراءة ﴿ تَخْسِرُوا ﴾ بفتح التاء والسین، فينبغي أن تكون على حذف حرف الجر، أي : تَخْسِرُوا فِي الْمِيزَانِ، فلما حذف الجر أنضى إليه الفعل قبله، فنصبه، كقوله تعالى : ﴿ وَاقْتُلُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ (٢٤) أي : فِي كُلِّ مَرْصَدٍ .

وأما قراءة ﴿ تَخْسِرُوا ﴾ بفتح التاء وكسر السین فعلى خَسَرَتِ الْمِيزَانَ، وإنما المشهور أَخْسَرْتُهُ . خَسِرَ الْمِيزَانَ، أي : نَقَصَ، وَأَخْسَرْتُهُ، نحو : أَجْبَرْتُ الرَّجُلَ وَجَبَرْتُهُ (٢٥) .

وقال السجستاني :

﴿ خَضِبْ جَهَنَّمَ ﴾ (٢٦) حطب جهنم، كل شيء ألقيته في النار فقد حصبتها به، ويقال : ﴿ خَضِبْ جَهَنَّمَ ﴾ حطب جهنم بالحبيشية . قوله : بالحبيشية، إن كان أراد أن هذه الكلمة حبيشية وعربية بلفظ واحد فهو وجه، أو أراد أنها حبيشية الأصل سمعتها العرب فصارت عربية حينئذ، فذلك وجه أيضاً، وإلا فليس في القرآن غير العربية .

ويقرأ : ﴿ خَضِبْ ﴾ بالضاد المعجمة : وهو ما هيئت به النار وأوقدت (٢٧) .

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس : ومحمد بن السفييف اليماني ﴿ خَضِبْ ﴾ بالضاد مفتوحة، وزوي عنهما ﴿ خَضِبْ ﴾ بالسكون، وبه قرأ كثير غزوة .

أما (الخَضِبْ) بالضاد مفتوحة، وكذلك بالضاد غير معجمة (الخَضِبْ) فكلاهما الخطب، ففيه ثلاث لغات : خَطَبَ، وَخَضِبَ، وَخَضِبَ . وإنما يقال : خَضِبْ، إذا أُلْقِيَ فِي النَّارِ والموقد، فاما ما لم يستعمل فلا يقال له : خَضِبَ .

فاما (الخَضِبْ) ساكناً بالضاد والضاد فالطرح، فقراءة من قرأ : ﴿ خَضِبْ جَهَنَّمَ ﴾ و ﴿ خَضِبْ جَهَنَّمَ ﴾ بإسكان الثاني منهما

إنما هو على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول، كالأخلاق في معنى المخلوق .

قال الفراء : ونُكِرَ لَنَا أَنْ (الحَضِبْ) فِي لُفَّةِ أَهْلِ الْيَمَنِ : الْحَطْبِ، وَكُلُّ مَا هِيجَتْ بِهِ النَّارُ وَأَوْقَدَتْهَا بِهِ فَهُوَ خَضِبٌ (٢٨) .

وقال السجستاني :

﴿ خَزَقُوا لَهُ بَيْنَ وَتَنَاتِ ﴾ (٢٩) : افْتَعَلُوا ذَلِكَ وَاخْتَلَقُوهُ كَذِباً . ومعنى ﴿ وَخَزَقُوا لَهُ ﴾ فَعَلُوا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، ﴿ وَخَزَقُوا ﴾ : افْتَعَلُوا مَا لَا أَصْلَ لَهُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ (٣٠) .

تخريج القراءة :

قرأ نافع وأبو جعفر ﴿ وَخَزَقُوا ﴾ بتشديد الزاء، للتكثير، أي : مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، مَثَلٌ : قَتَلَ وَقَتَلَ .

وهي عين ما نكره السجستاني من معنى ﴿ وَخَزَقُوا لَهُ ﴾ أي : فَعَلُوا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .

وقرأ الباقر ﴿ وَخَزَقُوا ﴾ بالتخفيف، بمعنى : الْأَخْتِلَاقِ، يُقَالُ : خَلَقَ الْإِفْكَ وَخَرَقَهُ وَاخْتَلَقَهُ وَافْتَرَاهُ وَافْتَعَلَهُ : بِمَعْنَى : كَذَبَ (٣١) .

فعلى هذا تكون قراءة ابن عباس التي نكرها السجستاني (وَخَزَقُوا) بالخاء المعجمة والقاف، من ضمن القراءة المشهورة .

ولكن المصادر ذكرت أن قراءة ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ﴿ وَخَزَقُوا ﴾ بالخاء المهملة والفاء، وشهد ابن عمر الزاء، وَخَفَّفَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ بِمَعْنَى : وَزَوَّزُوا لَهُ أَوْلَاداً، لِأَنَّ الْمَزُورَ مُخَرَّقٌ مُغَيَّرٌ لِلْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ .

وقال ابن جني : وهو أيضاً معنى قراءة الجماعة ﴿ وَخَزَقُوا ﴾ بالخاء والقاف، ومعنى الجميع : كَذَبُوا (٣٢) .

وقال السجستاني :

﴿ وَرَيْثاً ﴾ (٣٣) بهمة ساكنة قبل الياء : مَا رَأَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ شَارَةٍ وَهِيئة . و ﴿ وَرَيْثاً ﴾ بغير همز، يجوز أن يكون على المعنى الأول، ويجوز أن يكون على الرزي، أي : مَنْظَرُهُمْ مَرْتَبٌ مِنَ النُّعْمَةِ . و ﴿ وَرَيْثاً ﴾ بالرزي، يعني : هِيئةً وَمَنْظَراً .

وقد قرئت بهذه الثلاثة الأوجه (٣٤) .

تخريج القراءة :

تَقُمُ تخريج القراءتين المتواترتين ﴿ وَبِأَيِّ ﴾ و ﴿ وَبِأَيِّ ﴾
بالحمز ، وبغير همز ، في بحث « القراءات القرآنية المتواترة » .
أما القراءة الشاذة فهي ﴿ وَبِأَيِّ ﴾ بالرّاي ، وهي قراءة ابن
عباس ، وسعيد بن جببر ، والأعمش ، ويزيد البربري ، والأعسم
المكّي ، وغيرهم ، فهو : الهيئة والحسن . ويجوز أن يكون من زُوِيَت
أي : جمعت ، فيكون أصلها زُوِيَا ، فقلبت الواو ياءً ، ومنه قول
اللّٰهُمَّ ﴿ ۞ ﴾ : « زُوِيَت لي الأرض » أي : جمعت ^(١٧)

وقال السجستاني :

﴿ سَبِّحْ طَوِيلًا ﴾ ^(١٧) أي : مُتَصَرِّفًا فيما تريد ، يقول : لك
في النهار ما تقضي حوائجك .
وقرئت : ﴿ سَبِّحْ ﴾ بالخاء المعجمة ، أي : سعة . سَبِّحِي
قطنك ، أي : وسعيه ونفسيه ، والتسبيح : التخفيف أيضاً ، يقال :
اللّٰهُمَّ سَبِّحْ عَنْهُ الحمى : أي خَفِّفْ ^(١٨)

تخريج القراءة :

قرأ يحيى بن يعمر ، وعكرمة ، وابن أبي عبيدة ، وأبو وائل
﴿ سَبِّحْ ﴾ بالخاء المعجمة ، ومعناه : خَفِّفْ من التكاليف .
والتسبيح : التخفيف ، وهو آستمارة من سبّح الصّوف ، وهو نفثه
ونشر أجزائه ، لانتشار الهمم ، وتفرّق القلب بالشواغل .
وقيل : فراغاً ، وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك .
وقيل : إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على
تداركه فيه .

وقال الاصمعي : يقال : سَبِّحْ الله عنك الحمى ، أي :
خَفِّفْها .

وقيل : السَّبِّح : المدُّ ، يقال : سبّحني قطنك ، أي مدّيه ،
ويقال لقطع القطن : سبّانخ ، الواحدة سبيخة ^(١٩)

وقال السجستاني :

﴿ صَوَافٍ ﴾ ^(٢٠) أي : قد صُفِّت قوائمها ، والإبل تنحر قياماً .
ويقرأ : ﴿ صَوَافٍ ﴾ وأصل هذا الوصف في الخيل ، يقال :
صَفَنَ الفرس فهو صافن ، إذا قام على ثلاث قوائم ، وثنى سنبك
الرّابعة . والسنبك : طرف الحافر . والبمير إذا أرابوا نحره تمعل
إحدى يديه فيقوم على ثلاث قوائم .

وتقرأ : ﴿ صَوَافٍ ﴾ أي : خوالص الله لا يشركون به في
التسمية على نحرها أحداً ^(٢١)

تخريج القراءة :

قرأ عبد الله بن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، ومحمد بن
علي الباقر ، والأعمش بخلاف عنه ، وعطاء بن أبي رباح ،
والضّحّاك ، والكلبي : ﴿ صَوَافٍ ﴾ بالنون . والصفة : هي التي
قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب ، ومنه قوله تعالى
﴿ الصّٰفٰتُ الْجَبّٰتُ ﴾ ^(٢٢)

وقرأ أبو موسى الأشعري ، والحسن ، ومجاهد ، وزيد بن
أسلم ، وسليمان التيمي ، والاعرج ﴿ صَوَافٍ ﴾ جمع صافية أي :
خوالص لوجه الله تعالى لا يشرك فيها بشيء كما كانت الجاهلية
تشرك ^(٢٣)

وقال السجستاني :-

﴿ صَوَافٍ الْكَلِكِ ﴾ ^(٢٤) و ﴿ صَافٍ الْكَلِكِ ﴾ واحد .

ويقال : الصّوَّافُ : جام كهينة الملوك من فِضة .

وقرأ يحيى بن يعمر : ﴿ صَوَّغَ الْمَلِكِ ﴾ بغير معجمة ، يذهب
إلى أنه كان مصوغاً فسأه بالمصدر ^(٢٥)

تخريج القراءة :

قرأ الحسن ، وسعيد بن جببر ، ﴿ صَوَافٍ ﴾ بالهين المعجمة
على وزن غُرَاب . وقرأ يحيى بن يعمر كذلك ، إلا أنه يحذف الالف
ويُسَكِّن الواو ﴿ صَوَّغَ ﴾ .

وقرأ أبو هريرة ، ومجاهد بخلاف ، ﴿ صَافٍ الْكَلِكِ ﴾
قال ابن جني : الصّافُ ، والصّوَّافُ ، والصّوَّغُ ، والصّوَّغُ :
واحد ، وكلّها مكياال . وقيل : الصّوَّافُ : إناء للملك يشرب
فيه . وأما الصّوَّغُ فمصدر وُضِع موضع اسم المفعول يراد به
المصوَّغ كالخلق في معنى المخلوق ^(٢٦)

وقال السجستاني :

﴿ الصّٰفٰتِ ﴾ و ﴿ الصّٰفٰتِ ﴾ ^(٢٧) ناحيتي الجبل .
وقوله . عُرِّ وَجَلُّ : ﴿ سَاوَى بَيْنَ الصّٰفٰتِ ﴾ ويقرأ :
﴿ الصّٰفٰتِ ﴾ أي : ما بين النّاحيتين من الجبلين ^(٢٨)

تخريج القراءة :

تَقُمُ تخريج القراءات المتواترة في هذا الحرف ، في بحث :
« القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » .
قرأ قَتَانَة ، وأبان : ﴿ بَيْنَ الصُّنْفَيْنِ ﴾ بضم الصاد وفتح
الذال .^(١١)

قال ابن جني : فيها لغات : صُنْفَانِ ، وَصُنْفَانِ ، وَصُنْفَانِ ،
وَصُنْفَانِ . وقد قرىء بجميعها . إلا أنهما الجبلان المتقابلان ،
فكان أحدهما صانف صاحبه ، ولذلك لا يقال ذلك لما انفرد بنفسه
عن أن يلاقي مثله من الجبال .^(١٢)

وقال السجستاني :

﴿ ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾^(١٣) أي : بَطَلْنَا ، وَصَرْنَا تَرَاباً فلم يوجد لنا
لحم ولا دم ولا عظم .

ويقرأ : ﴿ ضَلَّلْنَا ﴾ [بالصاد غير المعجمة] أي : أَنتَنَّا
وَتَغَيَّرْنَا من قولك : ضَلَّ اللحمُ وَأَضَلَّ ، وَضُنَّ وَأَضُنَّ : إذا أَنتَنَ
وَتَغَيَّرَ .^(١٤)

تخريج القراءة :

قرأ علي بن أبي طالب ، وابن عباس رضي الله عنهما ،
وأبان بن سعيد بن العاص ، والحسن بخلاف ، ﴿ ضَلَّلْنَا ﴾
بالصاد ، مكسورة اللام .

وروى أبو حيان قراءة هؤلاء بالصاد المهملة وفتح اللام .
ومعناه : أَنتَنَّا .^(١٥)

يقال : ضَلَّ اللحمُ يَضِلُّ : إذا أَنتَنَ . وَضَلَّ يَضِلُّ — بفتح
الصاد — والكسر في المضارع أقوى اللغتين ، والمعنى : إذا دُفِنَا
في الأرض ، وَضَلَّتْ أجسامنا . يقال : ضَلَّ اللحمُ وَأَضَلَّ ضُلُولاً
وَصِلَالاً ، قال :^(١٦)

هُوَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى فَسَاغِلِي

لَا يُفِيدُ اللَّحْمَ لَنِيهِ الضُّلُولُ^(١٧)

وقال السجستاني :

﴿ طَوًى ﴾^(١٨) و ﴿ طَوًى ﴾ يقرءان جميعاً . ومن جملة أسم
أرض لم يصرفه ، ومن جملة أسم الوادي صرفه ؛ لأنه مذكر ، ومن
جملة مصدر كقولك : ناديت طوى وثنى ، أي : مرّتين — صرفه —
أيضاً .^(١٩)

تخريج القراءة :

تَقُمُ تخريج القراءتين المتواترتين ﴿ طَوًى ﴾ و ﴿ طَوًى ﴾
باسكان الياء من غير صرف ، وبالتثوين والصرف ، في بحث
« القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » .
أما قراءة ﴿ طَوًى ﴾ بكسر الطاء والتثوين ، فهي قراءة
الحسن ، والاعمش ، وأبن محيصن ، وأبي حيوه ، وابن أبي
اسحاق ، وأبي السمال .

ومن كسر الطاء ولم يُنَوِّن / فمنع الصرف باعتبار البقعة .
وقال الحسن : ﴿ طَوًى ﴾ بكسر الطاء والتثوين مصدر ،
ثبتت فيه البركة والتّقدّيس مرّتين ، فهو بوزن الثّناء ومعناه : لأن
الثّناء — بالكسر والقصر — : الشيء الذي تكرر ، فكذلك الطوى
على هذه القراءة .^(٢٠)

وقال السجستاني :

﴿ غُلْفٌ ﴾^(٢١) جمع أغلف ، وهو كل شيء جعلته في غلاف :
أي قلوبنا محجوبة غمّاً تقول كأنها في غلف .
ومن قرأ : ﴿ غُلْفٌ ﴾ بضم اللام ، أراد جمع غلاف ، وتسكين
اللام فيها جائز أيضاً ، مثل : كُتِبَ وكُتِبَ ، أي : قلوبنا أوعية للعلم
فكيف تجيئنا بما ليس عندنا .^(٢٢)

تخريج القراءة :

قراءة الجمهور بإسكان اللام . وقد روى أحمد بن موسى
اللؤلؤي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قرأ ﴿ غُلْفٌ ﴾ بضم اللام .
وروى الباقر عن أنه خَفَفَ . والمعروف عنه التّخفيف^(٢٣)

قرأ ابن عباس ، وابن محيصن ، والأعرج ، وابن هرمز :
﴿ غُلْفٌ ﴾ بضم اللام . قال ابن عباس ، أي : قلوبنا ممتلئة علماً
لا تحتاج إلى علم محفد — ﴿ 》 — ولا غيره .

وقيل : هو جمع غلاف مثل : خمار وخمر ، أي : قلوبنا أوعية
للعلم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علماً كثيراً .^(٢٤)

وقال السجستاني :

﴿ قَطْرَانٌ ﴾^(٢٥) هو الذي تُطَلَّى به الإبل . ومعنى
﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ ﴾^(٢٦) أي : جعل لهم القطران لباساً ليزيد
في حرّ النّار عليهم فيكون ما يتوقى به العذاب عذاباً .

ويقرأ : ﴿ مِنْ قَطْرَانٍ ﴾ أي : من نحاس قد بلغ منتهى
حرّه .^(٢٧)

تخريج القراءة :

القطران فيه ثلاث لغات : قَطْرَانٌ ، وَقَطْرَانٌ وَقَطْرَانٌ بفتح

القاف وكسرها مع سكون الطاء .

وقراءة الجمهور : ﴿ قَطْرَانٍ ﴾ — بفتح القاف والزاء وكسر

الطاء . (٧٠)

قرأ ابن عباس ، وسميد بن جبير ، والحسن ، وابن سيرين ،
وأبو هريرة ، وقتادة ، وغيرهم : ﴿ مِنْ قَطْرَانٍ ﴾ مُنَوْنَتَيْنِ عَلَى
كلمتين ، والقَطْرُ : الصُّغْرُ أَوْ النُّحَاسُ المَذَاب ، والاني : الذي قد
أنى وأدرك ، وهو المتناهي حره . (٧١)

وقال السجستاني :

﴿ فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ (٧٢) يقول : أخذت ملء

كفي من تراب موطيء فرس جبيل عليه السلام .

وتقرأ : ﴿ فَقَبِضْتُ قَبْضَةً ﴾ (٧٣) أي : أخذت باطراف

أصابعي . (٧٤)

تخريج القراءة :

قرأ الجمهور ﴿ فَقَبِضْتُ قَبْضَةً ﴾ بالضاد المعجمة فيهما ،

أي : أخذت بكفي مع الأصابع . (٧٥)

وقرأ عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، والحسن ، وقتادة ،

وابن سيرين ، وغيرهم ﴿ فَقَبِضْتُ قَبْضَةً ﴾ بالضاد المهملة فيهما ،

وهو الأخذ باطراف الأصابع . (٧٦)

وقال السجستاني :

﴿ الْقَصْرِ ﴾ (٧٧) واحد القصور .

ومن قرأ : ﴿ كَالْقَصْرِ ﴾ أراد أعناق النخل ، ويقال : أصول

النخل المقلوعة . (٧٨)

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس ، وسميد بن جبير ، ومجاهد ، والحسن ، وابن

مقسم ، والسلمي ﴿ كَالْقَصْرِ ﴾ بفتح الصاد ، أرادوا : أعناق

النخل . والقَصْرَةُ : المنقُ جمعها قَصْرٌ وقَصْرَات .

وعن ابن عباس : كنّا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل ،

فنرفعه للشتاء ، فنسميه القَصْر .

وقال سعيد بن جبيل والضحاك : هي أصول الشجر والنخل

المبظام إذا وقع وقُطِع . وقيل : أعناقه . (٧٩)

وقال السجستاني :

﴿ مُتَكَأً ﴾ (٨٠) أي : نمرقاً يُتَكَأُ عليها . وقيل : مُتَكَأٌ : مجلساً

يُتَكَأُ فيه . وقيل : طعاماً .

وقرئت : ﴿ مُتَكَأٌ ﴾ قيل : هو الأترج . وقيل :

هو الرُّمَازُودُ . (٨١) و (٨٢)

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس ، وأبن عمر ، وقتادة ، والجحدري ، والضحاك ،

والكلبي ، وأبان بن تغلب ﴿ مُتَكَأٌ ﴾ ساكنة التاء من غير همز ، هو

الأترج ، ويقال أيضاً : هو الرُّمَازُودُ .

ونقل أبو حيان عن صاحب « اللوامح » قوله :

« الْمُتَكَأُ — بالضَّمْ — ، عند الخليل : القسطل ، وعند

الأصمعي : الأترج . وقال أبو عمرو : الشراب الخالص » . (٨٣)

وقال السجستاني :

﴿ يَتَنَوَّنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ (٨٤) أي : يَطْوُون ما فيها .

وقرئت : ﴿ تَتَنَوَّنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ أي : تستتر ، وتقديره تفعول ،

وهو للمبالغة . وقيل : إن قوماً من المشركين قالوا : إذا أغلقنا

أبوابنا وأرخينا ستورنا ، واستغشينا ثيابنا ، وثنينا صدورنا على

عداوة محمد ﴿ ﷺ ﴾ كيف يعلم بنا ؟ فأنابا الله عز وجل غمًا كتموه

فقال : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

يُغْلِبُونَ ﴾ (٨٥) . (٨٦)

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس : ﴿ تَتَنَوَّنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ بنون مكسورة من غير

ياء ، ورفع (صدورهم) فإنه أراد الياء فحذفها تخفيفاً ، ولا سيما

والكلمة طويلة بكونها على تفعول . (٨٧)

وقال السجستاني :

﴿ يَزْفُونَ ﴾ (٨٨) أي : يسرعون ، يقال : جاء الرجل يزف زفيف

النعامة : وهو أول غلّوها وآخر مشيها .

ويقرأ : ﴿ يَزْفُونَ ﴾ أي : يصيرون إلى الزفيف ومنه قوله : (٨٩)

فَمَلَى خَصْلِي أَنْ يَسُونَ جَذَاعَهُ

فَأَمْسَى خَصْلِي قَدْ أُنْلُ وَأَفْهَرَا

معناه : أقهر ، أي : صار إلى القهر .

قال أبو عمر : الجذاع ههنا : صبيان أخيه ، أراد أن يتبناهم

فجاء أخوالهم فاخذوهم .

ويقرأ : ﴿ يَزْفُونَ ﴾ — بالتخفيف — من وزف يزف بمعنى

أسرع ، ولم يعرفها الكسائي والقراء .

قال الزجاج : (٩٠) وعرفها غيرهما . (٩١)

تخريج القراءة :

تَقْنَمُ تخريج القراءتين المتواترتين : ﴿ يَزْفُونَ ﴾ و ﴿ يَزْفُونَ ﴾ — بضم الياء وفتحها مع تشديد الفاء — في بحث : « القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » .

قرأ مجاهد ، وعبد الله بن يزيد ، والضحاك ، ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ ، وابن أبي عبيدة : ﴿ يَزْفُونَ ﴾ خفيفة ، من : وَزَفَ يَزِفُ مثل : وَزَنَ يَزِنُ ، بمعنى : أسرع . وروى الفراء عن الكسائي أنه لا يعرف : ﴿ يَزْفُونَ ﴾ — مخففة ، قال الفراء : وأنا لا اعرفها .

قال ابن جني : على أن أحمد بن يحيى (ثعلب) قد أثبت وَزَفَ : إذا أسرع ، وشاهده عنده هذه القراءة ﴿ يَزْفُونَ ﴾ أي : يُسرِعُونَ .^(٩٧)

وقال السجستاني :

﴿ يَفْشُ عَنْ نَكْرِ الرُّخْمِ ﴾^(٩٨) أي : يظلم بصره عنه كأن

عليه غشاوة ويقال : عشوت إلى النار أعشو فانا عاش ، إذا استدلت عليها ببصر ضعيف ، قال الحطيني :^(٩٩)

مَتَى تَأْتِي تَفْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مُؤَلَّدٍ

ومن قرأ : ﴿ يَفْشُ ﴾ — بفتح الشين — معناه : يعم عنه ، يقال : عشي يعمشي فهو أعشى ، إذا لم يُبصر بالليل . وقيل : معنى ﴿ يَفْشُ عَنْ نَكْرِ الرُّخْمِ ﴾ أي : يعمى عنه .^(١٠٠)

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس ، وعكرمة ، ويحيى بن سلام البصري : ﴿ يَفْشُ ﴾ — بفتح الشين — ، ومعناه : يَفْشُ ، يقال : غشي يلفشي غشاً ، إذا غمى . ورجل أعشى وأمرأة عشواء ، إذا كان لا يُبصر .^(١٠١)

الهوامش :

- (١٣) معاني القرآن للقراء : ٩٩ / ٢ ، وأعراب القرآن للحاس : ٢ / ٢٠٨ ، ومختصر في شواذ القراءات ، ٧٢ ، والمحتسب : ١ / ٢٦٨ ، و ٢ / ٩ ، ١٤٢ ، والكشاف : ٢ / ٤٠٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٩٤ ، والبحر المحيط : ٥ / ٤٨٢ — ٤٨٣ .
- (١٤) سورة المزمل / الآية ٦ .
- (١٥) غريب القرآن : ٢٣ — ٢٤ .
- (١٦) مختصر في شواذ القراءات : ١٦٤ ، والبحر المحيط : ٨ / ٣٦٣ ، واتفق فضلاء البشر : ٤٢٦ .
- (١٧) سورة النساء / الآية ١١٧ .
- (١٨) غريب القرآن : ٣٣ .
- (١٩) سورة المرسلات / آية ١١ .
- (٢٠) تفسير الطبري : ٩ / ٢٠٩ — ٢١٠ ، ومختصر في شواذ القراءات : ٢٨ — ٢٩ ، والمحتسب : ١ / ١٩٨ ، والكشاف : ١ / ٥٦٤ ، والتبيان : ١ / ١٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٢٨٧ ، والبحر المحيط : ٣ / ٣٥٢ .
- (٢١) سورة الأعراف / الآية ١٢٧ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ وَيَذَرُكَ وَيَهْتَكَ ﴾ .
- (٢٢) غريب القرآن : ٣٣ .
- (٢٣) سورة النازعات / آية ٢٤ .
- (٢٤) سورة القصص / آية ٢٨ .

- (٥) يمكن الرجوع الى البحث الموسوم بـ « القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » حيث تناولت فيه نشأة القراءات القرآنية ، وأركان القراءة المتواترة ، والاحتجاج بالقراءات ، وحياة المؤلف السجستاني ومنهجه في كتابه ، وكيفية ترتيبه . كما ذكرت منهجي في أعداد البحث ، وهو لا يختلف عما قمت به في بحث « القراءات الشاذة » فلا حاجة للتكرار . وقد نشر في مجلة المورد المراقية المجلد الثامن والعشرين — العدد الرابع ص ٨٨ — ٩٩ .
- (١) لطائف الاشارات : ١ / ٦٧ .
- (٢) م . ن : ١ / ٦٨ . (٣) م . ن : ١ / ٦٩ .
- (٤) منجد المقرئين : ١٦ ، ولطائف الاشارات : ١ / ٧٠ .
- (٥) منجد المقرئين : ١٦ ، ولطائف الاشارات : ١ / ٧١ .
- (٦) منجد المقرئين : ١٦ ، ولطائف الاشارات : ١ / ٧٢ .
- (٧) منجد المقرئين : ١٦ ، ولطائف الاشارات : ١ / ٧٢ .
- (٨) النشر : ١ / ٩ .

- (٩) في البحث الموسوم بـ « القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » ومنهجي في هذا البحث هو عين المنهج السابق .
- (١٠) المحتسب : ١ / ٣٢ .
- (١١) سورة النحل / الآية ٢١ ، وسورة النمل / الآية ٦٥ ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْفَقُونَ ﴾ .
- (١٢) غريب القرآن : ١٠ .

(٢٥) معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٩١ ، وتفسير الطبري : ٢٨ / ١٣ .

ومختصر في شواذ القراءات ٤٥ ، والمحتسب : ١ / ٢٥٦ - ٢٥٧ ،
والكشاف : ٢ / ١٠٤ - ١٠٥ ، والتبيان : ١ / ٢٨٢ ، والجامع لاحكام
القرآن : ٧ / ٢٦٢ ، والبحر المحيط : ٤ / ٣٦٧ .

واتحاف فضلاء البشر : ٢٢٩ .

(٢٦) سورة النور / الآية ١٥ وعليها الرسم المصحفي .

(٢٧) غريب القرآن : ٥٥ .

(٢٨) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٤٨ ، وتفسير الطبري : ١٨ / ٧٨ .

واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٣٥ ، ومختصر في شواذ القراءات
١٠٠ ، والمحتسب : ٢ / ١٠٤ - ١٠٥ ، والكشاف : ٣ / ٥٤ ،
والتبيان : ٢ / ١٥٥ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٢ / ٢٠٤ ، والبحر
المحيط : ٦ / ٤٢٨ .

(٢٩) سورة الضحى / الآية ٩ .

(٣٠) غريب القرآن / ٦٠ .

(٣١) معاني القرآن للفراء : ٣ / ٢٧٤ ، ومختصر في شواذ القراءات
١٧٥ ، والكشاف : ٤ / ٢٦٥ ، والجامع لاحكام القرآن : ٢٠ / ١٠٠ ،
والبحر المحيط : ٨ / ٤٨٦ .

(٣٢) سورة الرحمن / الآية ٩ وعليها الرسم المصحفي .

(٣٣) غريب القرآن : ٦٣ .

(٣٤) سورة التوبة / الآية ٥ .

(٣٥) مختصر في شواذ القراءات : ١٤٩ ، والمحتسب : ٢ / ٣٠٣ ،
والكشاف : ٤ / ٤٤ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٧ / ١٥٥ ، والبحر
المحيط : ٨ / ١٨٩ .

(٣٦) سورة الانبياء / الآية ٩٨ .

(٣٧) غريب القرآن : ٧٧ .

(٣٨) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢١٢ ، وتفسير الطبري : ١٧ / ٧٤ .

ومختصر في شواذ القراءات : ٩٣ ، والمحتسب : ٢ / ٦٦ - ٦٧ ،
والكشاف : ٢ / ٥٨٤ ، والتبيان : ٢ / ١٣٧ ، والجامع لاحكام القرآن :
١١ / ٣٤٣ - ٣٤٤ ، والبحر الابيض : ٦ / ٣٤٠ .

(٣٩) سورة الانعام / الآية ١٠٠ وعليها الرسم المصحفي .

(٤٠) غريب القرآن : ٨٤ .

(٤١) كتاب السبعة : ٢٦٤ ، والكشف : ١ / ٤٤٣ ، والحجة لابن
زنجلة : ٢٦٤ ، والنشر : ٢ / ٢٦١ ، واتحاف فضلاء البشر : ٢١٤ .

(٤٢) مختصر في شواذ القراءات : ٣٩ ، والمحتسب : ١ / ٢٢٤ ،
والكشاف : ٢ / ٤١ ، والبحر المحيط : ٤ / ١٩٤ .

(٤٣) سورة مريم / الآية ٧٤ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ فَمَنْ

أَخْسَنُ أَتَانًا وَرَبِيًّا ۝

(٤٤) غريب القرآن : ١٠١ - ١٠٢ .

(٤٥) النهاية في غريب الحديث : ٢ / ١٤٥ .

(٤٦) معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٧١ ، وتفسير الطبري : ١٦ / ٨٩ .

واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٣٢٥ ، ومختصر في شواذ القراءات
٨٦ ، والمحتسب : ٢ / ٤٤ - ٤٥ ، والكشاف : ٢ / ٥٢١ ، والجامع
لاحكام القرآن : ١١ / ١٤٣ - ١٤٤ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢١١ / ٧٧ .
(٤٧) سورة المزمل / الآية ٧ .

(٤٨) غريب القرآن : ١١١ - ١١٢ .

(٤٩) معاني القرآن للفراء : ٣ / ١٩٧ ، واعراب القرآن للنحاس :
٣ / ٥٣٢ ، ومختصر في شواذ القراءات : ١٦٤ ، والكشاف : ٣ / ١٧٦ ،
وتفسير الرازي : ٣٠ / ١٧٧ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٩ / ٤٢ - ٤٣ ،
والبحر المحيط : ٨ / ٣٦٣ .

(٥٠) سورة الحج / الآية ٣٦ .

(٥١) غريب القرآن : ١٢٥ .

(٥٢) سورة ص / الآية ٣١ .

(٥٣) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٢٦ ، تفسير الطبري : ١٧ / ١١٨ ،
اعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٠٣ ، ومختصر في شواذ
القراءات : ٩٥ ، والمحتسب : ٢ / ٨١ - ٨٢ ، والكشاف : ٣ / ١٤ / ١٢ ،
والتبيان : ٢ / ١٤٤ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٢ / ٦١ ، والفهر
المحيط : ٦ / ٣٦٩ ، واتحاف فضلاء البشر : ٣١٥ .

(٥٤) سورة يوسف / الآية ٧٢ وعليها الرسم المصحفي .

(٥٥) غريب القرآن : ١٢٩ .

(٥٦) تفسير الطبري : ١٣ / ١٣ ، واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ١٤٩ ،
ومختصر في شواذ القراءات : ٦٤ ، والمحتسب : ١ / ٣٤٦ ،
والكشاف : ٢ / ٣٣٤ ، وتفسير الرازي : ١٨ / ١٧٩ ، والتبيان : ٢ / ٥٦ ،
والبحر المحيط : ٥ / ٣٣٠ .

(٥٧) سورة الكهف / الآية ٩٦ وعليها الرسم المصحفي .

(٥٨) غريب القرآن : ١٢٩ .

(٥٩) مختصر في شواذ القراءات : ٨٢ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٦٥ - ١٦٤ .

(٦٠) المحتسب : ٢ / ٣٤ .

(٦١) سورة السجدة / الآية ١٠ (٦٢) غريب القرآن : ٨١ / ٦٣)
البحر المحيط : ٧ / ٢٠٠ .

(٦٤) نيران الحطيفة : ٨٢ .

(٦٥) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٣٣١ ، وتفسير الطبري : ٢١ / ٦١ ،
واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٦١١ ، ومختصر في شواذ
القراءات : ١١٧ - ١١٨ ، والمحتسب : ٢ / ١٧٣ / ١٧٤ ، والجامع

لاحكام القرآن: ١٤ / ٩٢، والبحر المحيط: ٧ / ٢٠٠.

(٦٦) سورة طه / الآية ٢٠، وسورة النازعات / الآية ١٦ ورسمت في المصحف الشريف فيهما ﴿بِالْوَاوِ الْمَقْنُونِ طَوًى﴾.

(٦٧) غريب القرآن: ١٣٥.

(٦٨) معاني القرآن للفراء: ٢ / ١٧٥، واعراب القرآن للنحاس: ٣ / ٦١٩، ومختصر في شواذ القراءات ٨٧، والكشاف: ٢ / ٥٣١، والتبيان: ٢ / ١١٩، والجامع لاحكام القرآن: ١١ / ١٧٥، والبحر المحيط: ٦ / ٢٣١، واتحاف فضلاء البشر: ٣٠٢.

(٦٩) سورة البقرة / الآية ٨٨ وعليها الرسم المصحفي.

(٧٠) غريب القرآن: ١٤٨.

(٧١) كتاب السبعة: ١٦٤.

(٧٢) تفسير الطبري: ٢ / ٣٢٤، ومختصر في شواذ القراءات: ٨، والتبيان: ١ / ٥٠، والجامع لاحكام القرآن: ٢ / ٢٥، والبحر المحيط: ١ / ٣٠٠، واتحاف فضلاء البشر: ١٤١.

(٧٣) سورة ابراهيم / الآية ٥٠.

(٧٤) غريب القرآن: ١٥٧ - (٧٥) المبسوط: ٢١٨.

(٧٦) تفسير الطبري: ١٣ / ١٦٧، ومختصر في شواذ القراءات: ٧٠، والمحتسب: ١ / ٣٦٦ - ٢ / ٢٨٤ - ٣٨٥، والتبيان: ٢ / ٧١، والجامع لاحكام القرآن: ٩ / ٣٨٥.

(٧٧) سورة طه / الآية ٢٠.

(٧٨) في: غريب القرآن: ١٥٨ ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ بالضاد الممجمة فيهما، وهو من خطأ الناسخ، وصحة القراءة بالضاد المهمة.

(٧٩) غريب القرآن: ١٥٧ - ١٥٨.

(٨٠) البحر المحيط: ٦ / ٢٧٣، واتحاف فضلاء البشر: ٣٠٧.

(٨١) معاني القرآن للفراء: ٢ / ١٩٠، ومختصر في شواذ القراءات: ٨٩، والمحتسب: ٢ / ٥٥ - ٥٦، والكشاف: ٢ / ٥٥١، والتبيان: ٢ / ١٢٦، والجامع لاحكام القرآن: ١١ / ٢٤٠، والبحر المحيط: ٦ / ٢٧٣، واتحاف فضلاء البشر: ٣٠٧.

(٨٢) سورة المرسلات / الآية ٣٢ ﴿تَرَىٰ بِشَرِّ بَشَرٍ كَالْقَصْرِ﴾.

(٨٣) غريب القرآن: ١٥٩.

(٨٤) معاني القرآن للاخفش: ٢ / ٧٢٥ - ٧٢٦، واعراب القرآن للنحاس: ٣ / ٥٩٦ - ٥٩٧، ومختصر في شواذ القراءات: ١٦٧، والمحتسب: ٢ / ٣٤٦ - ٣٤٧، والكشاف: ٤ / ٢٠٤، والتبيان: ٢ / ٢٧٨، والجامع لاحكام القرآن: ١٩ / ١٦٣ - ١٦٤، والبحر المحيط: ٨ / ٤٠٢ - ٤٠٣.

(٨٥) سورة يوسف / الآية ٣١ ﴿وَأَعْتَبْتُ لَهُنَّ مَثَقًا﴾.

(٨٦) الرُّمَازُ: طعام يصنع من البيض واللحم. (مُعَرَّبٌ).

(٨٧) غريب القرآن: ١٨٦.

(٨٨) معاني القرآن للفراء: ٢ / ٤٢، ومختصر في شواذ القراءات: ٦٣، والمحتسب: ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠، والكشاف: ٢ / ٣١٦.

والتبيان: ٢ / ٥٢، والجامع لاحكام القرآن: ٩ / ١٧٨، والبحر المحيط: ٥ / ٣٠٢.

(٨٩) سورة هود / الآية ٥.

(٩٠) سورة هود / الآية ٥.

(٩١) غريب القرآن: ٢١٧ - ٢١٨.

(٩٢) اعراب القرآن للنحاس: ٢ / ٨٠، والمحتسب: ١ / ٣١٩.

(٩٣) سورة الصافات / الآية ٩٤ وعليها الرسم المصحفي.

(٩٤) البيت للمخيل السعدي يهجو الخُصَيْن المعروف بالزُّبَيْرِ قان وقوفه المعروفين بالجذاع. ويروي (أَيْلٌ وَأَقْهَرَا) أي: وُجِدَ كَنُكَلٌ، (لسان العرب: ٥ / ١٢٠، ٨٠ / ٤٥، وتاج العروس: ١٣ / ٤٩٦).

(٩٥) معاني القرآن واعرابه: ٤ / ٣٠٩.

(٩٦) غريب القرآن: ٢٢١ - ٢٢٢.

(٩٧) معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٨٩، واعراب القرآن للنحاس: ٢ / ٧٥٨ - ٧٥٩، ومختصر في شواذ القراءات: ١٢٨، والمحتسب: ٢ / ٢٢١ - ٢٢٢، والكشاف: ٣ / ٣٤٥، والتبيان: ٢ / ٢٠٧، والجامع لاحكام القرآن: ١٥ / ٩٥ - ٩٦، والبحر المحيط: ٧ / ٣٦٦.

(٩٨) سورة الزخرف / الآية ٣٦.

(٩٩) الديوان: ١٢٥.

(١٠٠) غريب القرآن: ٢٢٢ - ٢٢٣.

(١٠١) معاني القرآن للفراء: ٣ / ٣٢، وتفسير الطبري: ٢٥ / ٤٢، والكشاف: ٣ / ٤٨٧ - ٤٨٨، والجامع لاحكام القرآن: ١٦ / ٨٨، والبحر المحيط: ٨ / ١٥ - ١٦.

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر - للإمام أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧ هـ) تح: علي محمد الضياع - القاهرة - ١٣٥٩ هـ.
- ٣ - اعراب القرآن - لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٢٣٨ هـ) تح: زهير غازي زاهد، بغداد - مطبعة الماني - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.
- ٤ - البحر المحيط - لأبي حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ) القاهرة - مطبعة السعادة - ١٣٧٨ هـ.
- ٥ - تاج العروس من جواهر القاموس - لمحب الدين محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) الكويت - وزارة الارشاد والانباء - الاجزاء من (١ - ٢٠) تحقيق جماعة من العلماء.
- ٦ - التبيان في اعراب القرآن - لأبي البقاء عبد الله بن الحسين

المكبري (ت ٦١٦ هـ) بيروت - دار الكتب العلمية -
١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

وقد طبع باسم « إملأ ما مَنَ به الرحمن ... » .

٧ - تفسير الرازي - مفاتيح الغيب - لنخر الدين محمد بن عمر
ابن حسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت
(لا . ت) .

٨ - تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي
جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) تح : أحمد محمد
شاكر ، القاهرة - دار المعارف - ١٣٧٤ هـ .

٩ - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد
الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) القاهرة - دار الكاتب
العربي - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

١٠ - حجة التَّوَّابَات - لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن
زنجلة (ت بعد ٤٠٠ هـ) تح : سعيد الافغاني ، بيروت -
مؤسسة الرسالة - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١١ - ديوان الحطيفة - بشرح ابن السكيت والسكري
والسجستاني - تح : نعمان أمين طه - القاهرة - مطبعة
عيسى البابي ، ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .

١٢ - غريب القرآن - المسمى نزهة القلوب - لأبي بكر محمد
ابن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ) بيروت - دار الرائد
العربي - الطبعة الثالثة - ١٤٠٢ = ١٩٨٢ م .

١٣ - القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن
للسجستاني : د . صالح مهدي عباس ، بحث منشور في مجلة
المورد العراقية - المجلد الثامن والعشرين ، العدد الرابع ،
١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م .

١٤ - كتاب السبعة في القراءات - لأبي بكر أحمد بن موسى بن
العباس ابن مجاهد التميمي (ت ٣٢٤ هـ) تح : شوقي
ضيف ، القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٢ م .

١٥ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه
التأويل - لجبار الله محمود بن عمر الزمخشري
(ت ٥٣٨ هـ) بيروت - دار المعرفة . (لا . ت) .

١٦ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها
وحججها - لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)
تح : محيي الدين رمضان - دمشق - ١٣٩٤ هـ =
١٩٤٧ م .

١٧ - لسان العرب - للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم

بن منظور المصري (ت ٧١١ هـ) بيروت ، دار صادر ودار
بيروت - ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م .

١٨ - لطائف الاشارات لفنون القراءات - لشهاب الدين
أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ)
تح : عبد الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان ،
القاهرة - المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية -
١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

١٩ - المبسوط في القراءات العشر - لأبي بكر أحمد بن
الحسين بن مهران الاصبهاني (ت ٣٨١ هـ) تح : سبيع
حمزة حاكمي ، دار القبلة جدة ومؤسسة علوم القرآن -
بيروت - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٠ - المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والايضاح
عنها - لأبي الفتح بن جني (ت ٣٩٥ هـ) تح : علي
النجدي ناصف وزميلييه القاهرة - ١٣٨٦ م .

٢١ - مختصر في شواذ القرآن - لأبي عبد الله الحسين
بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) غني بنشره ، ج .
برجستراسر ، دار الهجرة . (لا . ت) .

٢٢ - معاني القرآن للأخفش - لسعيد بن مسعدة
المجاشعي (ت بعد ٢١٠ هـ) تح : عبد الامير الورد ،
بيروت - عالم الكتب - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢٣ - معاني القرآن للفراء - لأبي زكريا يحيى بن زياد
(ت ٢٠٧ هـ) تح : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي
النجار ، القاهرة - دار الكتب المصرية - ١٩٥٥ م .

٢٤ - معاني القرآن واعرابه - لأبي اسحاق إبراهيم بن
السري الزجاج (ت ٣١١ هـ) تح : عبد الجليل عبده
شلبي ، بيروت - عالم الكتب - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين - لشمس الدين
محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)
القاهرة - مكتبة القدسي - ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م .

٢٦ - النشر في القراءات العشر - لشمس الدين ابن
الجزري (ت ٨٣٣ هـ) صححه وراجع : علي محمد
الضياع ، بيروت - دار الفكر . (لا . ت) .

٢٧ - النهاية في غريب الحديث والاثر - لأبي السعادات
المبارك بن محمد الشيباني ابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ)
تح : ظاهر أحمد الزواوي ومحمود الطناحي ، القاهرة -
مطبعة عيسى البابي الحلبي - ١٩٦٣ م = ١٩٦٦ م .

كعب بن زهير

بين الغربة والانتماء في نصه الشعري

د. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي



جامعة بغداد - كلية الآداب

في عملية الابداع تتداعى مفردات العمل الفني من منافذ متشعبة قد لا يكون قسط الوعي فيها اوضح من قسط اللاوعي ، ولعل الابداع الشعري بشكل خاص اوضح ميادين نشاط اللاوعي في عملية تشكيل التفاصيل الدقيقة والرئيسة للعمل الفني .

وحين يعاني الشاعر من معضلات شخصية واجتماعية حادة ، وتغلب اثار تلك المعضلات جزءاً من تكوينه النفسي ، يكون على القراءة النقدية ان تتجه الى استكشاف بصمات اللاوعي في شعره اكثر من اتجاهها الى محاولة استكشاف اثار الوعي في بلورة الباعث الادبي على انتاج النص ، على ان تلك القراءة مسؤولة عن ان تتجه الى تأمل اثر تكوين لاوعي الشاعر في عملية اختيار تجاربه الشعرية لكون سواها من مجمل تجاربه الانسانية المتاحة .

ويلد ان يخلو التكوين النفسي لأي شاعر من اثار منعطفات حادة في حياته ، بيد ان الامر خاضع لتباين نسبي ، شأنه شأن اية ظاهرة انسانية اخرى ، ولسنا نريد ان نغلو فنزعم ان كمية تلك المنعطفات او حدتها هما المسؤولان عن انبثاق العبقريات الشعرية وتميزها ولكننا قد نلمح ان كبرى العبقريات الشعرية في عصور الشعر العربي تنتمي الى مجاري حياة شخصية لا تخلو من منعطفات نفسية يكون لها اثرها الواضح في نتاج كل منها . وكعب بن زهير - الشاعر الجاهلي المخضرم - صورة متميزة من صور هذه العبقريات الشعرية التي تشكل معظم نتاجها الشعري في اطار المعاناة النفسية الحادة التي بلورتها تجارب حياته العنيفة ، فقد كان لطبيعة ولادته ومجرى سيرته الشخصية والقبلية وما رافقها من تغيرات حادة ان تحفر اثارها الحادة والعميقة في نتاجه الشعري وتشكل الطبيعة المتميزة لمجاريه الفكرية والفنية على السواء .

كثيرة فلما عادوا اقتسموا فلم يفرقوا له شيئاً فارتحل عنهم الى قوم
ابيه مزينة واقام فيها حيناً ثم اغار برهط منهم على لبنان ، فلما
نظروا ارض نبيان تطايروا عنه راجعين ، فاقبل حتى دخل في
اخواله بني مرة فلم يزل وولده فيهم^(١)
وقد تزوج ابوسلمى امرأة مربة هي اخت الشاعر بشامة

ولد كعب بن زهير في مضارب بني مرة الغطفانيين بالحاجر من
نجد ، ونشأ في كنف ابيه الشاعر زهير بن ابي سلمى ، وكان زهير
ينحدر من اصل مزني ولكنه ولد في بني مرة الغطفانيين ، فقد روى
الاصفهاني ان ابا سلمى (ربيعة بن رياح) والد زهير كان يعيش
في اخواله من بني مرة فاغار مع اخواله على طيء فاصابوا نعاماً

ابن الغدير الذي ذكر الرواد ان زهيراً اخذ الشعر عنه (١٦)
وولد لابي سلمى منها ابناه زهير واوس وابنتاه سلمى
والخنساء ...

وتزوج زهير نفسه من امرأة مرية ايضاً هي كبشة بنت عمار بن
سحيم (١٧) فولدت له ابناؤه كعباً ويحيياً وسالماً وابنته وبرة ويبدو
ان اقامة ابي سلمى وابنائيه واحفاده في بني مرة كانت السبب في
ترجع العلماء بين اعادة نسبته الى قومه مزينة مرة والى احواله
المريين مرة اخرى ، فقد قرر ابن سلام في ترجمة زهير بن ابي سلمى
انه مزني (١٨) ولكنه ذكر في ترجمة كعب ابنه ان ابا سلمى واهل بيته
كانوا في بني عبد الله بن غطفان فيهم يعرفون واليهم ينسبون وان
اهل العلم من غطفان يؤكدون هذا النسب ولكن العامة ينسبونهم
الى مزينة (١٩).

وعلى هذا الترجيح ابن قتيبة الذي ترجم زهيراً مرتين فيقول في
اول ترجمته ان (الناس ينسبونهم الى مزينة وانما نسبه في
غطفان) ويقول في الاخرى انه (من مزينة مضر) (٢٠) وتابع
ابن قتيبة على ترجمه ابن هشام (٢١) والسجستاني (٢٢) بيد ان
الشواهد القاطعة تقوم على صحة انتماء ابي سلمى وعقبه الى
مزينة فكعب بن زهير نفسه يصرح بهذا النسب في شعره فهو يقول في
مهاجاة له مع مزرد بن ضرار ...

أَعْلَيْتَنِي عِزًّا عَزِيزًا وَمَقْشَرًا
كِرَامًا بَنُو لِي الْمَجْدُ فِي بَاذِخِ أَشْمٍ
هُمُ الْأَصْلُ مِنِّي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنِّي
مِنَ الْمَزِينِينَ الْمُضْطَّيْنِ بِالْكَزْمِ (٢٣)

ويكرر هذا التصريح في موضعين آخرين من ديوانه (٢٤) فضلاً
عن ان ابن مهابة الشاعر هاجى احد احفاد كعب فصرح بنسبه
المزني (٢٥).

والذي يعنيننا من مسألة النسب هذه ان كعباً ولد في مضارب
الحواله بني مرة الغطفانيين وهو يعلم ان انتماءه ليس اليهم وانما
الى قومه مزينة ، وولادة امره ونشأته في قوم لا تربطه بهم إلا اواصر
الخطوة والمصاهرة امر له شأنه في المجتمع القبلي الذي يشكل
الانتماء الدموي فيه اللبنة الاساسية لوجود الفرد الانساني
وكرامته الاجتماعية .

ولقد واجه زهير والد كعب الامر نفسه حين ولد في بني
الغطفانيين وهو يعلم ان انتماءه الى مزينة وان اقامته في احواله
المريين امر حتمه عليه استقرار ابيه فيهم فما كان منه الا ان وطن
نفسه على الإقامة الدائمة فتزوج فيهم وانجب ، وكان ان تجنب اي
موقف يستتر الحاجة الانية الى الانتماء الدموي ، ولعل ذلك احد
اسرار ما انتقل عليه العلماء من روايات تؤكد تنزيه خلقه وبعده عن
الدنياه ومواقف العنف ، فقد نكروا انه كان (يتعفف في
شعره) (٢٦) وانه ممن (حرم على نفسه الخمر في الجاهلية) (٢٧)

وانه كان (من مترهبة العرب) (٢٨) .

ولعل العوبة الى ديوان زهير كفيلا بان تقرر ان الرجل كاد
يقصر شعره على مديح رجال بني مرة وفرازة فاذا تجاوز المديح
مارس رثاء من يموت منهم ، ويكاد ديوانه بعد ذلك يخلو من الفخر
القبلي ، اما الهجاء فانه لم يمارسه الا في ثلاثة مواقف (٢٩) وعلى
الرغم من انه لم يهج الا مضطراً فانه بادر الى القول « ما خرجت
في ليلة ظلماء الا خشيت الله ان يصيبيني بعقوبة لهجائي قوماً
ظلمتهم » (٣٠) .

وهكذا واجه زهير عقدة الانتزاع من الانتماء بالتسامي
الإنساني ، اما كعب ابنه فقد واجه العقدة من موقع اخر تماماً ،
فهو متمرد على الواقع الذي فرض عليه بالولادة ، فشخصيته
العنيفة ومزاجه الحاد كانا يحركان دائماً الى محاولة خوض
مواقف الصراع والمواجهة ، وذلك امر يحتاج في المجتمع البدوي الى
انكاء على وشيجة لم تكن مهياة له وهو يقيم في قوم لا تربطه
بهم الا رابطة الخطوة فضلاً عن رغبة هؤلاء القوم عن خوض أي
صراع واعراضهم حتى عن المشاركة في حرب داحس والغبراء التي
خاضها ابناؤه عمهم من عبس وذبيان بل سعيهم في اطفاء نار تلك
الحرب وتمكنهم من ذلك بما بذلوه من جهد ومال .

ولعل كعباً كان حرياً بان يفاخر مضارب احواله المريين
المسلمين الى مضارب قومه المزنيين الذين كانوا يخوضون صراعاً
عنيفاً مع الخزرج وغيرهم لولا انه كان مفتقراً الى اعالة ابيه له
ولاسترته فقد ذكر الرواة انه كان فقيراً وان اباه (كان موسعاً عليه في
بره) (٣١) على ان اضطراره الى الاستقرار في بني مرة لم يكن ليمحو
من اعماقه هذا الاحساس بالغربة والضياع وعدم القدرة على
التعبير عن هذا الاندفاع في الشخصية والحدة في المزاج .

ولنا الان نستبعد ان يكون مبعث ما تداوله الرواة من ان اباه
منعه من قول الشعر اول شبابه (مخافة ان يروى عنه مالا خير
فيه) (٣٢) لم يكن لهذا السبب فحسب وانما لخوف الاب ان
يستعمل ابنه سلاح الشعر الفتاك في امور قد تجلب عليه مالا
تحمد عقباه ، والذي يؤكد ما نذهب اليه انه حين سمح له ابوه
بقول الشعر بعد ان اختبر شاعريته عاد وهو يقول :

أَبَيْتُ فَلَا أَفْجُو الصَّدِيقَ وَمَنْ يَبْغِ
بِعِزِّهِ أَبْيَهُ فِي الْمَعَاشِرِ يُنْفِقِ (٣٣)

فالببيت اشارة حاسمة الى ان اباه لم يكن معنياً بقوله الشعر
او امتناعه عن قوله قدر عنايته بان يكون شعره بعيداً عن اثاره
ما قد يثلب من المكانة الاجتماعية السامية التي تحققت له ولال
ابي سلمى في بني مرة وبين احياء العرب ، وتلك حقيقة اكدها كعب
نفسه في موضع اخر من شعره حين قال :

وَبِالْعَفْوِ وَضُرَانِي أَبِي وَعَشِيَّتِي
وَبِالْذَّفْعِ غَنَّا فِي أُمُورٍ تَرِييْهَا

فَوَيْفَكَ فَاَسْتَبْقِي الْمَسُوَّةَ فِيهِمْ
وَنَفْسُكَ جَنْبُهَا الَّذِي قَدْ نَعِيَهَا (٢٠)

ولكن ذلك كله لم يكن كفيلاً بكبح جماح شخصية كعب التي
ظلت تجد في غريبتها واقتقادها الانتماء الدموي باعت تمرد
ومواجهة لا باعت مهادنة وتكيف للظروف .

لقد اثار كعب من الخصومات التي ادرك ولده زهير ان ابنه
سيثيرها عندما حاول أن يمنعه من قول الشعر ، فقد ذكر الرواة ان
زيد الخيل الطائي اغار على غطفان - وكان بين غطفان وطيء غزو
واغارة - فاسر فيمن اسر بجير بن زهير ، فلما ساله عن اسمه ونسبه
وعرفه اطلقه اكراماً لابيه فاتى بجير اياه واخبره بما فعل زيد
فارسل زهير بفرس كميت كان لكعب هبة الى زيد ، وكان كعب غائباً ،
فلما حضر اخبر بخبر الفرس وبذل له ابوه ثمنه فابى ، وقال ابياتاً
يدعو بني ملقط الطائيين فيها الى انتزاع فرسه من زيد واعادته
اليه ويعرض بزيد فقالت له زوجته : (اما استحييت من ابيك في
سنة وشرفه ان ترد هبته ؟) فما كان منه الا ان اصدر ابياته هجاء
لها فقال :

الابْكَرْتَ عَزْزِي ثَوَائِمَ مَنْ لَحَى
وَأَقْرَبَ بِاخْلَامِ النِّسَاءِ مِنَ الرُّدَى

ونبها يقول :

بَا رَاكِيساً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْ
بَنِي مَلْقُطٍ عَنِّي إِذَا قِيْلَ مِنْ عَنِّي

x x x x x x x x x

اَقْد نَال زَيْدُ الْخَيْلِ مَالَ أَخِيكُمْ
وَأَصْبَحَ زَيْدٌ بَعْدَ فَقْرِ قَدْ اقْتَنَى

فلما سمع زهير الهجاء قال لابنه : « لقد هجوت من ابي مكف -
وابو مكف كنية زيد الخيل - ، رجلاً غير مفهم ، وانه لخليق ان
يظهر عليك » وقد رد زيد الخيل على كعب بقصيدة توخى
الا يفحش فيها وصرح بسبب ذلك في قوله :

فَلَوْلَا زُهَيْرٌ أَنْ أَكْدُرَ نَفْعَةً
لَقَادَعْتُ كَفْباً مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقَى (٢١)

ان احساس كعب بالغربة القائلة عن انتماؤه زرع في نفسه بذرة
الشك في كل انتماء سواه ، ومن هنا نستطيع ان نفسر سر تنافره مع
والده في هذه الحادثة وفي سواها ، فقد ذكر الرواة ان زهيراً حين هد
بني الصياد بالهجاء لما انتهوا إبلاً وعبداً له وقف كعب ليقول له
ساخراً : « أوسعتهم سباً وادنوا بالابل » (٢٢) فذهب قوله مثلاً .

وان كان كعب يلتزم بحد ما في علاقته بابيه فانه لم يلتزم باي
حدود في علاقته الاسرية الخاصة مع زوجته ، فبدأ انتماؤه الى هذه
الاسرة واهياً معرضاً للانهييار في كل لحظة :

إِنَّ عَزْزِي قَدْ آذَنْتَنِي أَخِيراً
لَمْ تُمَزِّجْ وَلَمْ تُؤَامِرْ أَمِيراً
أَجْهَاراً جَاهَمْتَ لَا عَثَبَ فِيهِ
أَمْ أَرَأَيْتَ خِيَانَةً* وَفُجُوراً

x x x x x x x x x

مَا أَزَانَا نَقُولُ إِلَّا زَجِيعاً
وَمُعَاداً مِنْ قَوْلِنَا مَكْزُوراً (٢٣)

لقد كانت تفاصيل الحياة اليومية تستثير كعباً فيصعب جام غشبه
على زوجته فهو حين ينزل به اضياف فينحدر لهم بكرأ كان لزوجه ثم
يسمع منها عتاباً على نحره بكرها يبادر الى القسم بانه لولا
ما يتوقعه من لوم الناس لطلقها وفصلت بينهما صحارى موحشة .

أَيَّ جَنْبٍ بَكَّرَ قَطَعْتَنِي مَلَامَةً
لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا ثَنِي
أَلَا تَلْهَمِي - وَيَبْ غَيْرِكَ - عَارِياً
رَأَى ثَوْبَهُ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ فَاتَّشَى
فَأَقْسَمَ لَوْلَا أَنْ أَسُرَّ نَدَامَةً
وَأَعْلَنَ أُخْرَى إِنْ تَرَاخَتْ بَنُكَ النُّوَى

وقيل رجال لا يبالون شاننا
غوى أمر كعب ما أراد وجا أرتاى

لَقَدْ سَكَنْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ جَقْبَةً
بِاطْلَانِهَا الْعَيْنُ الْمَلْمُوعَةُ الْشُّوَى (٢٤)

وما يدرينا لعل كثرة ما ضمه ديوان كعب من نصوص تولى الى برمه
بالعلاقة الاسرية (٢٥) هي التي دفعت السكري شارح ديوانه الى ان
يقول في تقديم احدى قصائده : (وكان لا يزال يكون بينه وبين
امراته شر في فقره وسوء خلقه) (٢٦) وان يقول في شرح اخرى :
(وكان كعب بن زهير رجلاً شريراً شرساً محارفاً مملقاً لا ينمى له
مال ، وعتبت عليه امراته ...) (٢٧) .

لقد نفى كعب يده من الانتماء الاسري ، ومن هنا كان للمرأة
التي ظل يحرص على ان يجعلها في مقدماته التقليدية مثلاً
للجمال الانثوي الباهر ان تغدو رمزاً للغدر والخيانة والكذب
والتلون ، فها هي (ام شداد) التي رسم لها صورة جمالية رائعة
فيشبهها بظبية تطيف بوليدها ، ويشبهه عينها بعيني بقرة وحشية
ترعى بين الرياض والخمائل ويشبه ثناياها باقاج ترتوي من عروق

تغلغل في تربة الروض يعود ليهنم هذا المثال الجمالي الصاخر
فيقول :

فأصبحت قد أنكرت منها شمائلًا

فما شئت من بخل ومن منع نائل
وما ذاك عن شيء أكون اجترفتة

سوى أن شيئاً في الفارق شاملي
فإن تصرمني وثب غيرك تصرمي

وأوذنت إيزان الخليل المزايل^(٢٨)

ويبدو أن الصيغة لازمت كعباً طوال حياته ، فما صورة
(سعاد) في البردة التي قالها عند اسلامه ببعية عن صورة (ام
شدداد) فهي (اغن غضيض الطرف مكحول) وهي تبتسم عن
عوارض يجري عليها ريق كانه الراح المزوجة بماء بارد صاف ،
ولكن هذا المثال الجمالي الاخاذ يتحطم تماماً عندما تكتشف
حقيقة الشر الكامنة وراء الجمال .

يا وليخها خلّة أنها صدقت

ما وعدت أولو أن النضح مقبول
لكنها خلّة قد سيط من دمه

فجّع وولّع وإخلاف وتبديل
فما تسلوم على حال تكون بها

كما تلوّن في أثوابها القسول
ومما تمسك بالوصل الذي زعمت

إلا كما تمسك الماء الفرابيل
ارجو وأمل أن يعجلن في ايسد

وما لهنّ طوال الثمر تعجيل^(٢٩)

الا تكشف صيغة جمع المؤنث التي وردت في البيت الاخير عن
هذه العقدة الخفية التي شكلتها حياته الاسرية القلقة فانهكست
على علاقته بالمرأة بوجه عام ؟ ان قناعتنا بان المرأة في مقدمات
القصيدة الجاهلية تستمر ملامحها من ملامح المناخ النفسي العام
لموضوع القصيدة نفسها فان اطراد رسم المثال الجمالي ثم تهديمه
في مقدمات كعب لا يخلو من مدلول يقرر اتجاه شخصياً فرض
اثاره على نتاج الشاعر بشكل عام سواء في اختياره لموضوعات
قصائده ام في انعكاس ملامح الموضوعات على ملامح المقدمات .

لقد كان انتماء كعب الى اسرة ابيه واهناً قلقاً ، وكان انتماؤه
الى اسرته وزوجه اكثر وهناً واشد قلقاً ، وكان لابد له من انتماء
تطمئن له نفسه الحائرة ، اما العوبة الى مزينة فلم تكن متاحة له
وهو لا يجد لقمة العيش الا من مال ابيه المقيم في بني مرة ، واما
البقاء في بني مرة والتمسك بالتقاليد السلمية التي مارسوها فلم
يكن يمنحه فرصة التعبير عن عنف شخصيته وحده مزاجه ، ومن
هنا كان له ان يبحث في احلامه الشعرية في الاقل عن انتماء من
نمط سبقه الشنفرى الى التمسك به على صعيد الواقع حين غابر
قومه ليعيش مطمئناً بين وحوش الصحراء متخذاً منهم اهلاً بعد

هجر الاهل . وعلى الرغم من ان كعباً لم يتصمك بل ظل مقيماً في
بني مرة طوال حياته ابيه فانه مارس في شعره تصوير حياة التفرد
في صحراء لا يكثر صفاء الانتماء اليها نصح اب ولا لوم زوجة
ولا حرمان من انتماء بموي .

وعلى رمال تلك الصحراء ظل كعب يجد انتماءه الحقيقي
خارج اطار المجتمع الذي لم يبق له من يطمئن اليه فيه الا خليل
يمارس معه لذته ويشاركه نزواته ثم لا يعل من امتداد الشوط مهما
امتد .

وقد أشهد الكاس الرؤية لاهياً

أعل قبيل الصبح منها وأنهل

ينازعنيها لئن غسيت فاحش

مبادر غايات التجار معنل

إذا غلبت الكاس لا متعشب

خصور ولا من ثوبها يتبشّل

وليس خليلي بالمسلول ولا الذي

يلوم على البخل البخيل ويتخلّل^(٣٠)

ومع هذا الخليل كعب عالمه الذي اختاره في مجاهل الارض ، فهو
يمارس معه حياة الصعاليك التي تبرز فيها الذات وتحقق وجودها
الذي تطمح الى تحقيقه خارج اطار الانتماء .

ونار قبيل الصبح بادرث قنحها

خيا النار قد أوقدتها لمسافر

فلوخ فيها زائنه وريساته

على مرقب يفلو الاخرة قاهر

ولسا أجن الليل نقباً ولم أخف

على أثر مني ولا عني ناظر

أخفنت سلاحي وأنحدرت الى أمرى

قليل إذا صدره غير واغر^(٣١)

الصديق الصلوك هو اخر الخيوط التي ظلت تربط بين كعب
والمجتمع الانساني الذي لم يعد يعني كثيراً بتوثيق اواصر الانتماء
اليه ، وما يعنيه من هذا الانتماء الذي لا تتميه اليه وشيجة لم
تتيح له من ان يمارس ما يصبو اليه من تعبير عن شخصية عتية
ومزاج حاد ؟

لقد اتجه كعب الى عالم الصحراء يمارس انتماؤه في وحشته ويعبر
عن تطلع الى خوض صراع لم يكن مهياً له ان يخوضه في اطاره
الاجتماعي ، وذلك هو سر الغزارة الواضحة في عدد لوحات الرحلة
من مقدمات قصائده والغزارة الواضحة لصور الصحراء في تلك
اللوحات فضلاً عن غزارة قصائده ذات المقدمات التقليدية ، وتلك
حقائق استخلصناها من دراسة إحصائية أجريناها على ديوان
كعب ودواوين أربعة من معاصريه وتضمنها المسرد الاتي^(٣٢)

ونحن نريد ان نركن الى المدلول الكمي وحده في تقرير حقيقة
عمق انتماء كعب الى عالم الصحراء وتعبيره عن وجوده الانساني

اسم الشاعر	عدد قصائد الديوان ومقطوعات	المقطوعات والقصائد ذات الموضوع الواحد	نسبتها الى نصوص الديوان	القصائد ذات المقدمات التقليدية	نسبتها الى نصوص الديوان	عدد لوحات الرحلة	نسبتها الى عدد القصائد ذات الموضوعات التقليدية	عدد لوحات الرحلة التي تقتصر على وصف الناقة او الفرس	نسبتها الى عدد لوحات الرحلة التي تتضمن وصف الصحراء مع وصف الناقة او الفرس	نسبتها الى عدد لوحات الرحلة
زهير بن ابي سلمى	٥٥	٢٥	%٤٥.٤٥	٣٠	%٥٤.٥٥	١٩	%٦٣.٣٣	١٠	%٥٢.٦٤	٩
النايفة النيباني	٥٧	٥٥	%٧٣.٣٣	٢٠	%٢٦.٦٧	١١	%٥٥	٨	%٧٢.٧٢	٣
ليبد ابن ربيعة العامري	٦٤	٤٥	%٧٠.٣٢	١٩	%٢٩.٦٨	٩	%٤٧.٣٧	٧	%٧٧.٧٨	٢
الحطينة	١٠٦	٧٤	%٦٩.٨١	٣٢	%٣٠.١٩	١٣	%٤٠.٦٣	٩	%٦٩.٢٤	٤
كعب ابن زهير	٣١	١٢	%٣٨.٧١	١٩	%٦١.٢٩	١٦	%٨٤.٢١	٧	%٤٣.٧٥	٩

من خلال خوض مخاطرها ، بل نقيم قناعتنا على استقراء طبيعة التفاصيل التي ضخمتها في لوحات رحلته وهو يتحدث عن صحرائه التي ارتاد مجاهلها وواجه مخاطرها وعرض ذلك كله بأسلوب ينم عن رغبة جامحة في تكرار تجربة الارتياح والمواجهة من خلال تعميق التفاصيل حتى كأن الصحراء غدت وطنه الذي لا يحس بالانتماء الا اليه ، وذلك هو السر في تحول لوحات كعب من نمط الوصف التقريري الذي نتامله في دواوين شعراء القبائل الى نمط وصف الصعاليك الذي يشيع فيه تدفق التفاصيل وعنفوية المعالجة المنبئة عن ان الشاعر يتحدث عن عالم مألوف يعيش فيه وليس العالم الذي يمر به مروراً كلما دعت الحاجة الى ذلك .

الم يكن رمل الصحراء وحده هو الوطن الذي تهافت اليه نفس كعب ؟ فغلب ذلك الرمل خلق الشاعر لنفسه مجتمعاً من مخلوقات غريبة ظل يعبر عن مدى قربها من نفسه وعمق رغبته في الانتماء اليها بعد ان انتزع نفسه من معاناة الاخفاق في التعبير عن ذاته في اطار الانتماء الى مجتمعه الانساني .

ففي صحراء كعب تعمر الجن تلك المجاهل التي لا يعمرها انسان ولكن عزيز الجن لا يبعث في قلب كعب الا الرغبة في الإصفاء لعله

يعني ما يسمع .

وَضُرْمَاءُ مِذْكَارٍ كَأَنَّ بُونَهَا
بُعِيدَ جَنَانِ اللَّيْلِ مِمَّا يُخَيَّلُ
حَدِيثُ أَنَسِي فَلَمَّا سَمِعْتُهُ
إِذَا لَيْسَ فِيهِ مَا أَبَيْتُ فَأَعْقَلُ^(٣١)

وتبقى صورة الجن ماثلة في لوحات صحراء كعب^(٣٢) لتنبئ عن رغبته العارمة في ارتياح مالا يرتاده البشر من ارجائها القصية ، على انه يستحضر صورة اخرى عن الرغبة نفسها ، ففي الصحراء التي يمر بها جثث نوق هلكى جرب اصحابها ان يرتادوا بها الصحراء فكان الموت مصير الجميع :

ولا حب كحصى الراملات ترى
من المطر على حافات جيفا
والنذيات عليها الطير تنقرها
إِذَا لَهَيْدًا وَإِذَا زَاحِفًا نَطْفًا^(٣٣)

وتتكرر الصورة نفسها في لوحات رحلة كعب^(٣٤) ...
وَأَذْ بَدْرُ كَعْبٍ أَنَّ صُورَةَ الْإِبِلِ الْهَلَكَى فِي الصَّحْرَاءِ قَدْ تَغْرِي بِالظَّنِّ

بان ثمة من ارتادها قبله فاخفق فانه يذهب الى ابعد من هذا
فيستحضر صورة صحراء أمنت فيها القطا مرور العابرين فبنت
اعشاشها على انبيها وتركت فراخها في تلك الاعشاش واثقة ان
احداً لن يرتاد مواضع اعشاشها النائية :

ومستهلك يهدي الضلّول كائه
حصير صنّاع بين أيدي الزوامل
مضى ماتشاً تسمع إذا ما هبطت
ثراطن سرب مغرب الشمس نازل
روايا فراخ بالفلاة قسائم
تحطم عنها البيض حمر الحواصل
توائم أشباه بغير علامة
ووضعن بمجهول من الأرض خامل^(٢٧)

وناراً ما يواجه كعب عالمه الصحراوي مع خليله الصعلوك الذي
رأينا أنه مارس معه نشوة حياة الصعلكة في احد نصوصه ، فهو
يفضل ان يقطع اخر خيوط الانتماء الانساني حين يستقبل افق
صحرائه ليشكل خيوط انتماء جديد ، ففي وحشة تلك الصحراء
ينسج كعب قصة استقباله لذنب وغراب يغيان القرى فلا يجدان
هده ما يفيض عن قوته :

طلمت يماشيني متضائل
من الطلس احياناً يخب ويغسل
لحب نكو الإنس منه وما به
إلى أحد يوماً من الإنس منزل
تضرب حتى قلت لم يذن هكذا
من الإنس إلا جامه اومضل
مدى الذبل تفشاني إذا ما زجرته
قشعريرة من وجهه وهو مقبل
إذا ما عوى مستقبل الرّيح جاوئ
مسامعه فاه على الزّاد معول
كنوب إلى أن شب من كشب واحد
مخالفة الإقتار لا يتمول
كان نخان الرّمث خالط لونه
يقل به من بساطن ويجل
بصير بادغال الضراء إذا خدنا
يميل ويخفي بالجهاد ويمثل

تراه سميناً ماشياً وكائه
حمي إذا ماصاف أو هو أفزل
إن نساء شرعة وكأنه
إذا ماتمطى وجهة الريح مخمل
وخمش بصيص المقلتين كانه
إذا ماشى مستكراً الريح اقزل

يكاد يرى ما لا ترى عين واحد
يثنى له ما غيب الثّرب مقل

إذا حضاني قلت لو تلمسانه
ألم تعلماني أني من الزّاد مُزمل
غراب وذنب ينظران متى أرى
مناخ مبيت اومقيلاً فانزل
أشارا على ما خيلت وكلامها
سيخلفه مني الذي كان يامل^(٢٨)

وتشير المتابعة المتتالية لصورة الذنب والغراب الى هذه اللذة
الخفية التي كان كعب يعيش كل لحظة من لحظاتها وهو ينغمز في
انتمائه الذي اختاره فيتابع ملامح شخصيات ويصور انق
الانفعالات التي تنقابه وهو يامل تلك الشخصيات ويرسم صورها
التي حفرت عميقاً في ذاكرته ، اما ضمير المتكلم المفرد فهو إشارة
حاسمة أخرى الى ان كعباً لم يكن يتحدث عن (رحلة) عادة
ما كان اهل البادية يقطعونها في ركب جماعي ، انه يتحدث عن
أرض يحس ان جذوره وحدها ينبغي ان تنفوس فيها ، ومجتمع يريد
ان يمد جسور انتمائه المتفرد إليه .

وإن يمثل الجن والقطا وجئت الرذايا والذنب والغراب
مخلوقات مجتمع كعب الصحراوي فان ثمة مخلوقاً اخر ظل يرفقه
في رحلته ليمثل القاسم المشترك بين المجتمع الانساني الذي غادره
والمجتمع الصحراوي الذي يطمح الى ان ينوب فيه ، انه (الناقة)
التي بدت في كل لوحاته اداة مواجهة تمتلك مواصفات القدرة
والصلابة والضخامة سواء من خلال سماتها الخارجية المنظورة أم
من خلال قدراتها الكامنة في عزمها المتجدد على مواصلة الشوط
المجهول .

ان تركيز كعب على وصف الناقة وامتداد ذلك الوصف على
مساحة متميزة في بعض قصائده^(٢٩) لا ينبغي ان يشغلنا عن
حقيقة مذهشة وهي ان هذه الناقة تغادر واقعها الحيواني احياناً
لتنقص الصورة التي ظلت تشكل عقدة حرمان كعب من الحياة
الاسرية المستقرة ، فهي غالباً ما تحتل الموضع الذي كان ينبغي ان
تحتله شريكة الحياة في رحلة العمر .

ناقة كعب تتحول رمزاً للامان والسكن والاطمئنان ، بل انه
ليفلو في تعميق علاقته الانسانية بها وهما يواجهان ليلاً موحشاً في
مهمة قفر فينيخها ويتوسد الرمل تاركاً لها ان تحرسه ولكنه
ما يكاد يفغو حتى يهب حين يحس انها هي بحاجة الى النوم
فيؤامر نفسه ايتولى حراستها كما تولت أم ينام ويدع مصيرهما
كليهما للأقدار .

أدخت قلوصي واكتلات بعينها
وأمرث نفسي أي امرئ أفضل
الكلوها خوف الحوادث إنها
تريب على الانسان أم أتوكل^(٣٠)

ليست الزوجة التي تعين على متاعب الحياة البقي بهذه الصورة من الناقة ؟

من هنا كان هاجس كعب في لوحات رحلته ان يقرن بين مورتي الناقة والمرأة بوسائل فنية مختلفة فهو يعمد الى الربط المباشر بين صورة أوب نراعي ناقته وأوب نراعي النائحة التلكى التي يبعثها حنانها الاسري على الافراط في ايلام نفسها وتعذيب جسدها وقد واجهت مصيبة فقد ولدها البكر .

كان أوب نراعيها وقد عرقت
وقد تلفع بالقور الفساقيل
يقال للقوم حاديههم وقد جعلت
وُرق الجناب يركضن الحمى قيلوا
شدّ النهار نراعا عيطل نصف
قامت فجأوبها نكد مثاكيل
نؤاحة رخوة الضبعين ليس لها
لما نعى بكرها الناعون معقول
نفرى اللبان بكفها ومدرعها
مشفق عن تراقبها رعابيل^(١١)

على ان صورة المرأة تتسلل الى مقاطع وصف الناقة من منافذ اكثر خفاء واقدر على بعث بهشة المتلقي فمعين ناقة كعب التي تثيرها للدرب الممتد حتى الافق اشبه بمرأة الصنّاع الحاذقة التي تعرف كيف تتزين لزوجها فتظهر له ابهى محاسنها وتواري ما سواها .

تسدير للخرق البعيد نياطه
بغذ الكلال وبغذ نؤم الشاري
عينا كمرأة الصنّاع تسديرها
بانامل الكفين كل مدار
بجمال محجرها وتعلم ما الذي
تسدي لنظرة زوجها وتواري^(١٢)

أليس من حقنا ان نظن ان المرأة الوفية الرقيقة الحريصة على رضى زوجها ووده كانت عقدة نقص كعب التي عانى منها وهو يواجه واقع الشر الذي كان يدور بينه وبين زوجه لفقره وسوء خلقه ؟

وما دام كعب غير قادر على تغيير واقعه الاسري الممزق فان من حقه ان يعمد الى ممارسة نمط من احلام البيقطة التي يعوض فيها عن حرمانه باعادة تشكيل ملامح ناقته في عالمه الصحراوي الذي ما كان ينبغي ان تحتله المرأة المتال في عالمه الانساني الذي غادره الى غير رجعة .

لقد بلورت حياة كعب في بني مرة الفطفانيين هذا التوجه العنيف الى التحول بالانتماء من الاطار الاجتماعي الى الاطار الصحراوي الذي كاد نمط كعب الشعري فيه يبدو اقرب الى نمط الصماليك ، أما الحس القبلي وما يتمخض عنه عادة من آثار

واضحة في شعر شعراء القبائل ويتوزع بين مديح وهجاء وفخر ورتاء فإننا نكاد لا نلمح له اثرأ في نتاج كعب في المرحلة التي قضاها في بني مرة ، فديوانه كله لا يضم الا نصاً واحداً من ثلاثة ابيات توجه الى (آل بهثة) يدعوهم الى العودة الى ذبيان بعد ان غادروا ارضهم مغاضبين واستقروا في موضع يقال له (تتليت) ، وهي ابيات لا تتم عن تفاعل صائق ولهذا بدت ادنى الى الذئرية في اطارها الادائي :

هلمّ الينا آل بهثة إنّما
هي الدّار لا نعتاضها ونهينها
هلمّ الى ذبيان ان يلاذها
حُصون وأنّ السمهرى قرونها
ولا الفينكم تمكفون بقئنة
بتتليت انتم جئدها وقطيئها^(١٣)

لقد ظل كعب يتطلع الى انتمائه الدموي المفقود وهو مضطر الى العيش في كنف ابيه الذي ظل مقيماً في اخواله المربين ، ولكن وفاة ابيه فتحت امامه فرصة للحاق بانتمائه المزني الذي لم يعد له منفذ للحياة الكريمة سواء . وكانت مزينة تخوض مشكلات عنيفة مع الخزرج ، فقد روي ان رجلاً مزنياً يقال له (جوي) نزل على حلفاء مزينة من الاوس ، وكانوا في قتال مع الخزرج ، فخرج معهم للقتال فاصيب فراه ثابت بن منذر والد حسان الشاعر فشمت به وعرض بمزينة فاقسم جوي وهو يجود بانفاسه ان مزينة ستقتل به من الخزرج خمسين ليس فيهم اعور ولا اعرج^(١٤) . وبلغ الخبر مزينة ولكن يبدو انها لم تكن مهية لطلب الثار ، وهنا وجد كعب فرصته للتعبير عن عنف الشخصية وحدة مزاجه ، فراح يحرض مزينة على الثار لعلها تخوض اتون حرب ظلت نفسه تتوق الى خوضها عندما كان مقيماً في اخواله المربين ، وكان ان توجه الى قومه بقصيدة تحريض اقام مضمونها على نمط من الايلام النفسي القائم على التهكم ، فهو يعلن عن خشيتة من ان يطول الزمن حتى يموت القتلة ثم يموت اولادهم فلا تجد مزينة من تثار منه مكتفيه بالوعيد الفارغ الذي لا طائل وراءه .

فابلغ ان عرضت بنا رسولا
أبنا المملوح إنّ له جلالا
أمود خلفكم هزمأ ولسا
تسوقوا من عداوتنا نكالا
ولما تفعلوا إلا وعيدا
وينقل من أماكنها الجبالا^(١٥)

وتبلغ قصيدة كعب مبلغها من نفوس المزينين فيغيرون على الخزرج في يوم بعث ويقتلون منهم عدة ويأسرون ثابت بن منذر ويأبون ان يغادروه الا بتيس اسود اجم امعناً في اذلاله . وكان ذلك كله موقفاً يشفي نفس كعب وينفس عن هذا

الاندفاع المكبوت في اعماق نفسه سنين طوآلا ، فتلك هي الحياة التي كان يبحث عنها وهو مكتوم الانفاس في احواله المريعين اليس من حقه وهو يشارك في اول معركة ويحرز اول نصر ان يتدفق بنشيد انتقام يودعه كل انفعالات مزاجه الحاد وشخصيته المندفعة التي وجدت متنفسها في اجواء خوض سيل الدم وادراك النار .

لقد ولي أليته جـوـي

مماشر غير مطلوب أخوها

فان تهلك جـوـي فكل نفس

سيجلبها كذلك جالبوها

وان تهلك جـوـي فإن حرياً

كظنك كان بعدك موقدوها

وماسامت ظننوك يوم ثولي

بارماح ولى لك مشرعوها

كانك كنت تعلم يوم بُرئت

ثيابك ما سيلقى سالبوها

لنذك والذنور لها وفاء

إذا بلغ الخزاية بالفوها

صحبنا الخزرجية مُرهفات

أبياد نوي ارومتها نووها

فمسا عُثرَ الأطباء بحي كعب

ولا الخمسون قُضّر طالبوها^(١٦)

ولم تكن هي الفرصة الوحيدة التي اتاحت لكعب منفذ التعبير

عن هاجس العنف الذي لم يكن متاحاً له الا من خلال انتقامه

الدموي الذي عاد اليه ، فقد قتلت بنو سليم ربيعة بن مكرم وكان

لكعب خؤولة في كنانة قوم ربيعة ، وبلغه ان بني سليم يعرضون دية

ربيعة على كنانة فخشي ان يقبلوها وعمد الى تحريضهم على رفض

الدية ودعاهم الى خوض مثل ما خاضته مزينة يوم بعثت لادراك نار

قتيلها جوي ، فكان ان تدفق بقصيدة يقول في بعض ابياتها .

أبلغ كنانة غثها وسمينها

البائلين رباغها بالسقاسين

إن المذلة ان تُطل دماؤكم

ودماء عوف ضامن في العاهن

أموالكم عوض لهم بدمائهم

ودماؤكم كلف لهم بظعمائين

طلبوا فادرك وتزهم مسولاهم

وأبت سمساتكم ابياء الحارن

شدوا المأزر فاثاروا باخيكيم

إن المكارم نعم ربح الثامن^(١٧)

وتبقى (موثبات) كعب مفعمة بدلالاتها على عمق رغبته في

اثارة الخصومات واذكاء نار الحرب عن طريق الموازنة بين موقعي

الذل والكرامة وسحب المتلقي الى اختيار موقف المواجهة من خلال

التذكير بالهوان الذي سيكون عند اختيار أي طريق آخر .

وذلك هو سر بحث كعب عن انتقامه القبلي الذي ظل يطمح

الى ان يعبر فيه عن ذاته بعد ان عانى من كبت الواقع المسالم الذي

اضطر الى الرضوخ له ، وهو في احواله المريعين ، ولم يستطع التمرد

عليه الا من خلال احلام يقظته التي مارسها في لوحات رحلته

التي رأينا تفاصيلها المتجهة الى فتح منافذ المغامرة والتنفيس عن

طاقة الشر المكبوت .

ويبرز نور الاسلام وكعب يعيش بين ظهرائي قومه المزنيين الذين لم

يدخلوا في الإسلام ، وكانت تلك فرصة جديدة للتعبير عن عنف

الشخصية وحدة المزاج بعد ان توفرت أرضية الانتماء الكفيلة

بمنحه ثقة الاطمئنان الى القوة الضامنة لحمايته حين تدلهم

الخطوب .

وتتباين الآراء في مسألة موقف كعب من الإسلام ، فالمعروف

ان الرسول (ﷺ) كان يبلفه هجاء شعراء المشركين فلا يزيد على

ان يوجه الشعراء المسلمين للرد عليهم ، ولم يهدر لم احد منهم

إلا كعب بن الاشرف الذي أمعن فشيب بنساء المسلمين وأفحش ،

ومن هنا لنا ان نأخذ بما رواه ابن الاثير الذي ذهب الى الرسول

(ﷺ) انما أهدر لم كعب بن زهير لتشبيهه . بأم هانئ بنت

ابي طالب التي كان الرسول (ﷺ) يرغب في الزواج بها ثم لم

تقسم له^(١٨) .

وكان ان دخلت مزينة في الاسلام فخذلت كعباً الذي بقي

مطارداً حتى جاء هو واخوه بجير فنزلا موضعاً يقال له (ابرق

العزاف) يستطلعان اخبار الرسول (ﷺ) ، فقال بجير لكعب

اثبت حتى آتي الرجل فانظر ما يقول . فلما لقي بجير الرسول

(ﷺ) شرح صدره للإسلام فاسلم وأرسل الى كعب ان اقبل فإن

الرجل لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، ولكن كعباً أرسل الى اخيه شعراً

يعاتبه فيه على خذلانه له فاجابه بجير بشعر مثله^(١٩) .

وتضيق الارض بكعب فلا يجد الا ان يقبل على الرسول

(ﷺ) ليعلم إسلامه وينشده برده^(٢٠) .

ويذهب الدكتور طه حسين مذهباً متفرداً في اضاءة بعض

جوانب قصة اسلام كعب حين يقرر ان كعباً وبجيراً عندما وردا ابرق

العزاف كانا قد ائتمرا على اغتيال الرسول (ﷺ) وان الذي تطوع

للمهمة هو بجير على حين كانت مهمة كعب هي انتظاره لتسهيل امر

الهرب ، بيد ان بجيراً اسلم فاسقط في يد كعب وذلك هو سر طبيعة

عتاب كعب لبجير في ابياته التي وجهها اليه حيث يقول :

ألا أبلغنا عني بجيراً رسالة

فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك^(٢١)

ونحن نعترف بان طه حسين - لو صدق - ادنى الى التعبير عن

شخصية كعب العنيفة ولكننا نفتقد التوثيق التاريخي له .

ويبدو ان دخول كعب في الإسلام لم يبلغ من شخصيته هذا

الميل العنيف في الاندفاع والحدة ففي برده - وهي اولى قصائده

التي أنشدها بعد اسلامه - تبدو (سعاد) التي افتتح قصيدته بالنسيب بها كاذبة خداعة (سيط من دمها فجع وولع واخلاف وتبديل) ، وهي صيغة رأيناها شائعة في نصوصه الجاهلية التي اثبتت اكثرها في مواقف الشر والخصومة التي عكست آثارها على صور المرأة في مقدمات قصائده ، بيد ان ذلك لا يثلب من وجهة ما ذهب اليه الدكتور عناد غزوان من تحليله للبردة حين ذهب الى ان صورة (سعاد) هي معادل صورة (العصبية) التي كان كعب يعتمد على مساندتها في محاربته للإسلام ولكنها خذلته فتركته وحيداً امام تهديد الموت^(١) وتم حقيقة أخرى ينبغي لنا ان نتأملها وهي ان أولى قصيدتين قالهما كعب بعد اسلامه وهما (البردة) و (الرائية في مدح الانصار) ضمنا لوحتي رحلة على ناقه ، وفي كل لوحة منهما عودة الى الصحراء الموحشة التي كانت منفذه للتعبير عن احساسه بالانسلاخ من الانتماء الاجتماعي وانغماره في الانتماء الى عالم التفرد في اجواء الوحشة والانقطاع ، وذلك ما يفرينا بالظن بان كعباً عاد الى احساسه بالغربة وهو يعيش في مجتمعه الاسلامي الجديد الذي يبدو انه دخله أولاً فرغاً من إهدار الدم ، بيد ان هذا الاحساس لم ييم طويلاً ، فقد انغمر كعب في انتمائه الاسلامي الجديد وحسن اسلامه حتى انه ليتوجه الى قومه المزينيين الذين يبدو نقضوا اسلامهم فارتدوا يدعوه في قصيدة له الى ان يجمعوا امرهم ويوفوا بما عاقبوا الرسول (ﷺ) :

رحلتُ الى قومي لادعو جُلهم
الى أمر حزم أحكمته الجوامع
ليوفوا بما كانوا عليه تعاقدوا
بخيف مني والله راء وسامع

وتوصل أرحام ويفرج لهم
وترجع بالو القدم الزواحم
فابلغ بها افناء غُتمان كلها
وأوساً قبلها الذي انا صالح
سأدعوهم جهدي الى البر والتقى
وأمر القلا ما شأبعتني الا صالح
فكونوا جميعاً ما استطعتم لرائه
سيسلبكم ثوب من الله واسع

ومضمون القصيدة وتفاصيلها يقدمان اشارة حاسمة الى تمكن العقيدة من نفس كعب وتوجهه بانتماه كله الى هذا المجتمع الاسلامي الذي لم يعد الانتماء القبلي يضاهيه بآلة حال . وعلى الرغم من اننا لا نسمع لكعب شعراً إسلامياً بعد هذه العينية فالها وحدها كفيلاً بأن تمنحنا الاطمئنان الى تصورنا لطبيعة استقرار الرجل على انتماه الجديد .

لقد عانى كعب من واقع انتماه المزيج في الجاهلية ، وعانى من الواقع نفسه أبان بزوغ نور الإسلام وظلت نفسه المضطربة تبحث عن التعبير عن اندفاعها وحدتها من خلال انتماه يضمن لها ذلك التعبير في مجتمع لا وزن فيه الا للفعل الجماعي ، من هنا تحولت حياته الى سلسلة من الاضطراب بحثاً عن هذا الانتماه حتى وجدت استقرارها الأمثل في ظل العقيدة الاسلامية ، ولكن الاجل لم يدع له فرصة التعبير الواضح عن اطمئنانه الى هذا الانتماه الا في قصيدته العينية ، وما يدرينا لعل العمر لو امتد بكعب لسمعنا ما يؤكد هذه الحقيقة التي استتبطنها من نص فريد ، ثم ما يدرينا لعل فيما ضاع من شعره ما لو كشفت عنه الايام لاتاح لنا فرصة إقامة الاستنباط على أسس توثيقية جديدة .

الهوامش والمصادر

- (٩) ديوانه طبعة دار الكتب ، ١٩٥٠ م ، ٦٧ .
- (١٠) م . ن ، ١١٢ ، ٦٩ .
- (١١) الاغاني ، ٢ / ٦٢٨ .
- (١٢) الشعر والشعراء ١ / ١٣٩ .
- (١٣) ينظر المحبر ، لابن حبيب ، تحقيق ايلزة ليختن ، بيروت (د . ت) ، ٢٢٨ .
- (١٤) جمهرة اشعار العرب ، لابي زيد القرشي تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر ١٩٦٧ م ، ١ / ٧١ .
- (١٥) ينظر ديوانه ، ١٦٤ ، ٣٠٠ ، ٣٢١ .
- (١٦) ديوانه ٥٦ .
- (١٧) ينظر ديوانه ٢١٣ .
- (١٨) ينظر الاغاني ١٧ / ٨٤ - ٨٥ .
- (١٩) تنظر تفاصيل الرواية كاملة مع الشعر في ديوان زهير ٢٥٦ وما بعدها .

- (١) ينظر الاغاني ، لابي فرج الاصفهاني ، طبعة دار الكتب ، ١٠ / ٢٩١ - ٢٩٣ .
- (٢) ينظر شرح ديوان زهير ، طبعة دار الكتب ١٩٤٤ م ، ٣٢٥ والاغاني ١٠ / ٣١٢ .
- (٣) ينظر شرح ديوان زهير ٢١٣ والاغاني ١٧ / ٨٢ .
- (٤) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مصر ١٩٧٤ م ، ١ / ٥١ .
- (٥) م . ن ١ / ١٠٩ ، ١٠٦ .
- (٦) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٧ م ، ١ / ١٤١ ، ١٣٧ .
- (٧) ينظر السيرة النبوية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٧٧ م ، ١ / ١١٤ .
- (٨) ينظر المعمرن والوصايا ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مصر ١٩٦١ م ، ٨٣ .

- الرمث : نوع من الشجر يعمل يدخل في أباطه ، يجلل : يعمل عز
متنه ، الضراء الشجر الذي يوارى الانسان ، يعيل : يعيل
الجهاد : الصلب ، يمثل : ينتصب ، مشرعة : وتر ، حمل
حمل السيف شبه به لثقتة ، حمش : غراب ، اقزل : اعرج
معول : شبه منقاره به ، مرمل : ناقص الزاد ، شجاعى رملة :
حيثا رمل .
- (٢٩) ينظر مثلاً ديوانه ٩ - ١٨ - ٢٢ - ٢٦ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤ -
٩٧ - ١١٥ - ١١٨ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٥٩ - ١٦١ -
٢١٧ - ٢٢٢ - ٢٢٥ - ٢٢٧ .
- (٤٠) ديوانه ٥٥ . اكتلات : كلا ، حفظ .
- (٤١) م . ن ١٦ . أوب : رجح ، القور : الجبال ، العساقيل السراب ،
ورق : ذات لون رمادي ، شد النهار : ارتفاع النهار ، عيطل :
امراة طويلة ، نصف : بين الشابة والمسننة ، الضبعين :
المضدين ، تغرى اللبان : تشق وما حوله ، تراقبها : جمع ترقوة
وعنى بها الترقوتين وما حولهما ، رعابيل : متخرقة .
- (٤٢) م . ن ٤٠ . الخرق : الذي انخرق في الفلاة فذهب ، نياطه :
مايتعلق به من نهاية ، الكلال : الاعياء ، الصناع : المرأة
الحانقة .
- (٤٣) م . ن ٢٠٧ . نمتاضها : نتركها ، السمهري : الرمح ، قرونها :
ما تتناطح به أعداءها ، قنة : رأس جبل ، تتلث : موضع .
- (٤٤) تنظر تفاصيل الحادثة في ديوان كعب ٢٠٩ .
- (٤٥) م . ن ٢٠٥ . معود : هالك ، خلفكم : أولادكم ، تخدج : تضع
قبل تمام الجنين .
- (٤٦) م . ن ٢١١ . اليته : حلفته ، تولى : تقسم ، عتر الظباء : أي
نبحث الظباء بدلاً من النفر .
- (٤٧) ينظر الخبر والقصيدة كاملة في الاغانى ١٦ / ٦١ وبعض
ابيات القصيدة في ديوان كعب ٢٢٩ .
- (٤٨) ينظر الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، بيروت ١٩٦٦ م ، ٢ /
٩٢٧٤
- (٤٩) تنظر المقطوعتان في ديوان كعب ٣ ، ٤ .
- (٥٠) تنظر تفاصيل قصة إسلام كعب في السيرة النبوية لابن هشام
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٣٧ م ، ٤ /
١٤٩ .
- (٥١) ينظر تفصيل رأي الدكتور طه حسين في كتابه في الادب
الجاهلي ، مصر ١٩٢٧ م ، ٢٩١٤ .
- (٥٢) تنظر دراسته للبردة في مجلة الطليعة الادبية ، العدد ٥ ،
بغداد ١٩٧٩ م .
- (٥٣) ديوانه ١١٢ . اوس وعثمان ولدا عمرو بن اد بن طابخة
وامهما مزينة بنت كلب بن وبرة واليهما ينسب عقبها وزعم
الاصمعي ان القصيدة لاوس بن حجر ولا يعقل ذلك فاوس
تميمي وليس مزنياً .

- (٢٠) ديوانه ٢٠٩ .
- (٢١) تنظر تفاصيل الحادثة والنص في ديوان كعب ١٢٦
وما بعدها . توائم : توافق ، لحى : لام ، قاذعت : دافعت
وشاتمت ، وقد اخذنا برواية الاحوال لهذه الكلمة فهي اليق من
(قاذعت) بالبدال المهملة التي وردت في رواية السكري .
- (٢٢) ينظر الفاخر للمفضل بن سلمة تحقيق تشالز انبروز ، لايدن
١٩١٠ م ، ١٤٥ .
- (٢٣) ديوانه ١٥٣ . لم تعرج : لم تعطف . لم تؤامر : لم تشاور . امين
قيم عليها ، رجيماً : مكرراً .
- (٢٤) ديوانه ١٢٨ ، ثنى : مرة بعد مرة . ويب : ويح ، العين : بقر
الوحش واحدتها عيناء ، الملمعة الشوى : التي في قوامها يقع
تخالف سائر لونها .
- (٢٥) تنظر نصوص اخرى من هذا النمط في ديوانه ٧٠ ، ٤١ .
- (٢٦) ديوانه ٢١٣ .
- (٢٧) م . ن ١٥٣ . والمحارف : الذي لا ينمى له مال .
- (٢٨) م . ن ٩٢ . الخليط المزائل : الشريك المفاقر .
- (٢٩) م . ن ٨ . سيط : خلط ، ولع : كذب .
- (٣٠) م . ن ٤٢ . غير فاحش : دمث الخلق ، غايات التجار : اقصى
ثمن يطلبون . حصور : ضيق . يتبسل : يعبس .
- (٣١) م . ن ١٨٥ . حيا النار : لاحياء النار : رباته ترقبت له ،
مرقب : مكان شرف ، الاحزة : جمع حزيمة وهي المكان الفليظ .
لقباً : طريقاً في الجبل ، واغر : حاقد .
- (٣٢) اعتمدنا في استخراج حقائق المسرد على دواوين الشعراء
المحققة تحقيقاً علمياً فرجعنا الى ديوان النابغة تحقيق د .
شكري فيصل ، دمشق ١٩٦٨ م وديوان لبيد تحقيق د .
احسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ م ، وديوان الحطيئة تحقيق
نعمان امين طه ، مصر ١٩٥٨ م ، وطبعة دار الكتب لديوانى
زهير وكعب .
- (٣٣) ديوان كعب ٤٥ . صرماء : ارض لا نبت فيها ولا ماء ، منكاز :
لا يسلكها الا الذكور ، دويها : عزيز الجن فيها ، جنان الليل :
ظلمته .
- (٣٤) ينظر ديوانه ٩٤ .
- (٣٥) م . ن ٧٣ ، لاحب : طريق بين ، الراملات : الناسجات ،
المرنيات : الهزلى المعيبة ، لهيداً : لهدا الحمل فنقب جنبها
فتفسخ . النطف : الذي هجم الدبر على جوفه .
- (٣٦) ينظر ديوانه ١٢٤ .
- (٣٧) م . ن ٩٢ ، مستهلك : طريق ، الروامل : النواصح ، وتنظر
صورة مماثلة في الديوان ٧٦ .
- (٣٨) م . ن ٤٦ . متضائل : نحيف ، الطلس : الثياب . يمس :
العتلان مشي الثلب . جاوبت مسامحه فاه : أي تدخل الريح
من فمه وتخرج من مسامحه لخلاء جوفه ، الاقتار : الفقر ،

مجالس ابن الجوزي في بغداد

وآثارها الاجتماعية

أ. د. حسن عيسى الحكيم

جامعة الكوفة

ادرك ابن الجوزي معظم القرن السادس الهجري ، وعاش ظواهر اجتماعية خطيرة ، واضطرابات سياسية واسعة في ظل السيطرة السلجوقية على الخلافة العباسية ، وقد شهدت مدينة بغداد تيارات اجتماعية وفكرية متناحرة بالإضافة الى افتقارها للاستقرار السياسي ، فقد كانت تعاني من تضارب التيارات وصراعاتها الداخلية دون ادراك واع لخطورها على حاضر المجتمع ومستقبله ، وقد عاصر ابن الجوزي أحداث بغداد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، ورأى بأم عينيه اتساع الفتن الاجتماعية ، وأصبح من واجبه الشرعي ارشاد الناس الى الفضيلة ، وجرحهم الى جادة الصواب ، وذلك عن طريق مجالسه الوعظية ، واراد ابعاد الوعاظ والزهاد عن التكسب والحفاظ على رسالة الواعظ الانسانية في مراميها ، والدينية في اهدافها ، والنقية في غاياتها ، وقد تصدى للذين انحرفوا عن هذه الاغراض في كتابه « تلبيس ايليس » بجرأة وبسالة ، وقد اكتسبت مجالسه الوعظية ارضية اجتماعية واسعة النطاق ، ولم تحصل لغيره من اعلام عصره الذي كان زاخراً بالوعاظ والزهاد ، ولذا مارس النقد الاجتماعي من خلال تقويمه للعديد من الانماط السلوكية والفكرية للمجتمع البغدادي ، وتسليط الاضواء على أخطار بعض الانماط السلوكية التي كانت سائدة في المجتمع ، كما تبدو جراته في تناول موضوعات كان الآخرون يتجنبون الخوض فيها ،

السلوكية والنفسية لكثير من الناس ، وهذا يمكننا تحديد هذه الآثار بما يلي :

١ - الاثر الاجتماعي العام

قَدَّر ابن الجوزي حضار مجلسه بأكثر من مائة الف نسمة^(١) . في نص آخر قدر العدد بثلاثمائة الف^(٢) . وقد تكون في هذه الأرقام مبالغة وضخامة ، فهي مع ذلك تكشف عن كثافة جماهيرية واسعة ، وتعلق عميق بشخصيته ، وإذا تغفلت كلماته الوعظية في النفوس تساقط عليه الحضور معلنين التوبة ، وليس غريباً أن يصبح ابن الجوزي مناراً يهتدى به للسلوك القويم ، لأنه كان قريباً من فئات المجتمع البغدادي وشاعراً بمماناته ، وقد لعبت آراؤه المنبرية الوعظية دورها في التقاف المجتمع حوله وقدم ارشاداته بأسلوب بعيد عن التكلف والتصنع ، معزراً احاديثه بآيات من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وقد اشار ابن جبير الى هذه الخصائص بقوله : « أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ . آيات بينات من الذكر ، طارت لها النفوس اشتياقاً وذابت بها الانفس احتراماً ، الى أن علا الضجيج وتردد بشهقاته النشيج ، وأعلى الثائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كل يلقي ناصيته بيده فيجزأ ويمسح على راسه داعياً له ، منهم من يغشى عليه فيرفع في الانزع

وقد أسهم ذلك في بروزه كخطيب يمتاز بسعة كبيرة ، فهو خطيب بغداد وواعظها وفقهائها ومؤرخها حتى انه لقب بمال العراق وواعظ الافاق^(٣) . وقد عد مجالس وعظه واجباً دينياً يجب أن يؤدي بصورة صحيحة سليمة فيقول : « وما زالت نفسي تنازعني بما يوجب مجلس الوعظ وتوبة التائبين »^(٤) . وعن هذا الطريق تمكن ابن الجوزي من الاتصال بالجماهير مما أدى الى الالتصاق به في حله وترحاله . ولغيت مجالسه اصداء واسعة في المجتمع البغدادي ، وحول دروسه الوعظية الى كتب مستقلة لاقت هي الاخرى تقديراً خاصاً لدى قرائها والسمعيين بمسائلها^(٥) . وأشار ابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) الى هذه الظاهرة بقوله : « أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ولم يسمع بمثلا »^(٦) . ويقول ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) : « فشاهدنا هولا يملأ اللاغوس انابة وندامة ، ويذكرها هول القيامة ، فلو لم نركب شبح البحر ، ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابعة والوجهة المفلحة الناجحة »^(٧) . وكشف هذا الرحالة المعاصر لابن الجوزي عن تلك المجالس الوعظية وأقبال الجماهير البغدادية اليها في رحلته ، وتحدث عنها ابن الجوزي في كتبه ، وقد تركت في النفوس في حينها حاكمين ومحكومين أثراً عميقاً غيرت بعض الملامح

اليه»^(٨). وأشار ابن الجوزي الى مجلس عام ٥٧١ هـ، الذي عقده في يوم عرفة، بانه كان مجلساً عظيماً تاب فيه خلق كثير، وقطعت شعوراً كثيرة^(٩). ويشير هذا التأثير الاجتماعي الى عمق ثقافة ابن الجوزي، والاسلوب الادبي الجميل الذي يمتاز به، بحيث اذا وعظ اختلس القلوب، وتشققت النفوس دون الجيوب^(١٠). وكان يقول: «ما زالت اعظ الناس واحرضهم على التوبة والتقوى فقد تاب على يدي اكثر من مائة الف رجل» وينول: وقطعت من شعور الصبيان اللاهين اكثر من عشرة الاف طائفة^(١١). وكان قد تصدى لهؤلاء الصبية الذين استخفوا بالاعراف المرعية والاداب العامة بانحراف سلوكيتهم عن الطريق السوي، فاعانتهم هذه المجالس الى رشدهم وصوابهم، فاعلنوا التوبة، وندموا على طرقهم الملتوية، وكان هؤلاء التائبون ينتظرون انعقاد هذه المجالس ليقدموا نواصبيهم لابن الجوزي ليجزها، ويمسح برؤوسهم، ويدعو لهم^(١٢). ويبدو ان ابن الجوزي قد اثارت انتباهه بعض الانماط السلوكية لدى الشباب والصبيان الذين انحرفوا عن معايير المجتمع، لانهم عاصروا اوضاعاً نفسية واجتماعية سيئة، وتزداد معاناة هؤلاء من الفراغ الروحي والوازع الذيني، مما جعل هذه الشريحة من الناس تختار لنفسها حلولاً للخروج من هذه المعاناة، او اتباع نوع معين من السلوك تحدياً للواقع الاجتماعي وربود فعل سريعة عليه. كان يرتدوا نوعاً من اللباس غير المقبول اجتماعياً، واطالة شعورهم تشبهاً بالنساء، ولذا ركز ابن الجوزي على هذه الشريحة من الناس، فعادت الى صوابها ورشدها، فاعلنت التوبة اسفة بما بدا منها من انحلال وتقسخ، والعودة الى الدين وقيمه السامية، وقد جاءت مجالس ابن الجوزي لتعيد الثقة الى نفوس التائبين وغيرهم من الناس، فقد كانوا ينتظرون انعقاد هذه المجالس ليتزوبوا ب زاد روحي يدعو الى محاسبة النفس مما يخلق في نواخلها من احساسات تجعلها ترفض الذنوب والآثام، يقول ابن رجب: «ابنت النفوس سر شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين بالتوبة معلنين وطاشت الاسباب والمقول وكثر الوله والذهول»^(١٣). ولذا يكون الدين احد الوسائل التي تعزز الضبط الاجتماعي ويفرس في النفوس الفضائل والقيم والاخلاق.

ولم يكن ابن الجوزي مؤثراً في المجتمع البغدادي بخطبه المنبرية الوعظية، وانما في شعره ايضاً، فقد وصفه ابن جبير بقوله: «فاما نظمه فرضي الطباع، مهيارى الانطباع»^(١٤). ولكن في الحقيقة ان شعره لا يعدو مستوى نظم الفقهاء، وقد امتزج بالوعظ والزهد والقناعة، وهذا ناتج من عمق ثقافته الدينية وتضلعه بالخطابة ومنه^(١٥).

اذا رضيت بميسور من القوت
اصبحت في الناس حراً غير ممقوت
ياقوت نفسي اذا مارد خلفك لي
فلست اسي على در وياقوت
واوصي ان تكتب على قبره هذه الابيات:
يا كثير العفسو عمن
كثير المذنب لسيده

جاءك المذنب يرجو
الصفح عن جرم لسيده
انسا ضيف وجزاء
الضيف احسان اليه
وانشد عند نفيه الى مدينة واسط عام ٥٩٠ هـ قائلاً:
ياساكن الدنيا تاهب
وانتظر يوم الفراق
واعسذر الى دار الرحيل
فسوف يحسدى بالفراق
وابك المذنب بادمع
تنهل من سحب المـساق
يامن اضاع زمانه
ارضيت مما يغني بـساق
ويعود شعر ابن الجوزي في الوعظ والارشاد الى كونه محدثاً وفقهياً ومفسراً وخطيباً يستمع اليه الغفير من الناس، وحصل له من الحظوة في الوعظ ما لم تحصل لغيره من الوعاظ والخطباء، ومع هذا كان يعلن التوبة من خطاياهم، ويطلب الرحمة والمغفرة من الله تعالى قائلاً:

اتوب اليك يارحمن مما
جنيت فقد تعاضمت الذنوب
واما من هوى ليلي وتركى
زيسارتها فاني لا اتوب
وكان يطعم مجالس الوعظ احياناً باشعار من النسب، مبرحة التشويق بديعة الترتيق، تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها النسيبي زهداً بقوله^(١٦):
اين فؤادي اذابه الوجود
واين قلبي فمما صبا بعد
ياسعد زدني جوى بذكرهم
بالله قل لي فديت ياسعد

وهذا التلون في فن الخطابة عند ابن الجوزي جعل الناس ينشئون اليه، ويتنوقون خطبه، وحينما يصل في وعظه الى حد التذكر باليوم الآخر ومحاسبة النفس يجيش الحاضرون بالبكاء والنحيب، وان الكثير من هذه المجالس تعقد استجابة لطلب من اهالي محلة من محال بغداد، ففي عام ٥٦٩ هـ عقد ابن الجوزي مجالساً في الحرية حتى انقلبت بغداد، وعبر اهليها عبوراً زاد على نصف شعبات زيادة كثيرة، وقد استقبل بالسموع، وقد وصف هذا المشهد بقوله: «فما رأيت البرية الا مملوءة ضوئاً، وخرج اهل المحال والرجال والنساء، والصبيان ينتظرون، وكان الزحام في البرية كالزحام في سوق الثلاثاء»^(١٧).

وقد افتخر ابن الجوزي بانتهاء تفسيره للقرآن الكريم وهو على المنبر عام ٥٧٠ هـ وقد سجد اثناء وعظه شاكراً لله تعالى على اتمام تفسيره فيقول: «ما عرفت واعظاً فسر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن فالحمد لله النعم»^(١٨). وكان يشير الى ان مجالسه الوعظية قد حققت في الغالب غرضين اساسيين

هما : التوبة على يديه من قبل الناس وقص الشهور الطائلة للصبيان ، ففي عام ٥٧٢ هـ ، قدم اليه الحاضرون وهو في مجلس الوعظ تائباً فقطع شعره فقال ذلك التائب : ثلاثة اسابيع ارى رسول الله (ص) في المنام كأنه في كل مجلس يأتي اليك فيقبل صدرك ^(١١) .

٢ - اثر المجالس في الطبقة الحاكمة

جعلت مؤهلات ابن الجوزي العلمية طريقاً لتوثيق الصلات مع الطبقة الحاكمة ، وكان هذا طريقاً آخر لا يصلح صوته للمسؤولين في سبيل اسعاد الناس ورفع المظالم عنهم ، فقد كان الخليفة المستضيء بامر الله ، والوزراء والقادة ، يحضرون مجالسه ، لان عصر ابن الجوزي شهد حماساً دينياً ووطنياً من قبل الخليفة والسلطة الحاكمة من جهة ، والمجتمع البغدادي من جهة اخرى ، فهو قد عاصر جزءاً من فترة السلاجقة وحكمهم في العراق ، وقد صور طبيعة العلاقة بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية ، والصراعات القائمة بين اقطاب البيت السلجوقي ، وما ترك ذلك من احداث مؤلمة ادت الى مقتل الخليفة المسترشد بالله عام ٥٢٩ هـ ، والخليفة المستنجد بالله عام ٥٦٦ هـ ، والخليفة المستضيء بامر الله عام ٥٧٥ هـ واراد ان يفرز الثقة في نفوس الحاكمين من اجل التخلص من النفوذ الاجنبي مستغلاً حضورهم مجالس وعظه فيقول : « لم ير لواعظ قط مثل مجلس جمع الخليفة والوزير وصاحب المخزن وكبار العلماء » ^(١٢) ففي عام ٥٧٠ هـ حضر الخليفة مجلس الوعظ ، واخذ الناس اماكنهم في المجلس بعد صلاة الفجر ، واكثررت دكاكين ، وكان مكان محل رجل بقبراط حتى انه اكرى دكاناً لثمانية عشر بثمانية عشر قباطاً ، ثم جاء رجل فاعطاهم ستة قرايط حتى يجلس معهم ^(١٣) . وقد خصص ليوم عاشوراء مجالس خاصة ، وذلك لاهميته الدينية حيث استشهد فيه الامام الحسين عليه السلام واصحابه ، وترك هذا الحدث في نفوس البغداديين موقعاً اليماً ، وأثر الخليفة ان يحضر هذه المناسبة بنفسه ، ففي عام ٥٧١ هـ . اقبل الناس الى المجلس من نصف الليل وكان الزحام شديداً زائداً على الحد ، ووقف بعضهم على الطرقات وفي عام ٥٧٢ هـ امتلا المكان من وقت السحر ، ولما طلع الفجر ، وليس لاحد طريق فرجع بعضهم ، وقد امتلات الطرق بالناس ، وفي عام ٥٧٣ هـ حضر خلق كبير من نصف الليل بالاضواء فما طلع الفجر ولا يوجد لاحد موضع قفم ^(١٤) . وفي مثل هذه المجالس الحاشدة يستقبل ابن الجوزي حضور الخليفة والوزير والمسؤولين ، فيطرح عليهم مشاكل المجتمع ، ويدعو الى حلها بأسلوب وعظي ، غرضه تقويم السلوك للطبقتين الحاكمة والمحكومة ، وبذلك حقق غرضاً مهماً على الصعيد الاجتماعي والاداري ، فقد تطرق ذات يوم الى قضية حصلت بين الخليفة المستضيء بالله واحد افراد الحاشية ، مما ادى الى هرب ذلك الشخص فالزم الخليفة اخاه وصايره واخذ امواله ، فشكا الى ابن الجوزي ، ولما فهم قضيته طالبه بحضور مجلس الوعظ ، ولما اخذ الناس اماكنهم اخذ ابن الجوزي في الحديث مستعرضاً كون البريء لا يؤخذ بجريرة

المذنب ، وطلب من الخليفة تطبيق العدل بين الرعية قائلاً : ^(١٥) قفي ثم اخبرينا ياسعد
بذنب الطرف لم سلب الفؤاد
واين قضية حكمت اذا ما

جنى زيد به عمرو يقساد
يعاد حديثكم فيزيد حسناً

وقد يستحسن الشيء المعاد

وقد انتبه الخليفة الى حديث ابن الجوزي ، ومغزى هذه الابيات ، فاعاد المال الى صاحبه ، وكان قد استمع ذات يوم الى ابن الجوزي وهو ينشد تحت داره قائلاً :

ستقلك المناسيا عن ديارك
ويبدلك الردى داراً بدارك
وتترك ما عنيت به زماناً

وتتقل من غناك الى افتقارك

فدود القبر في عينيك يرعى

وترعى عين غيرك في ديارك

وقد تركت هذه الابيات في نفس الخليفة المستضيء اثراً

عميقاً ، فجعلته يمشي في داره ويرد : « اي والله وترى عين

غيرك في ديارك » وهو يبكي حتى الليل . وفي عام ٥٧٢ هـ حضر

الخليفة مجلس الوعظ وبعد الانتهاء من الحديث قام بعض

الحاضرين يتظلم في المجلس ، فبعث الخليفة في الحال من

كشف ظلامته ^(١٦) .

ووجه ابن الجوزي للخليفة المستضيء بامر الله حكماً

ومواعظ منها قوله : « يا امير المؤمنين ان تكلمت خفت منك ، وان

سكت خفت عليك ، فانا اقدم خوفاً عليك من خوفاً منك ، اقول

قول الناصح اتق الله ، خير من قول القائل انتم اهل بيت مغفور

لكم » ^(١٧) . ويكشف هذا القول عن تبرير اجتماعي للواقع الذي

يتخوف منه الناس من الطبقة الحاكمة عند مفاتحتهم للاخطاء

التي يقومون فيها ، مما يبعد اصابع الاتهام الموجهة نحو

الحاكمين فان ضعفها وعدم قدرتها في السيطرة على الاوضاع هو

سبب لمشكلات المجتمع البغدادي اذذاك ، وان جرأة ابن الجوزي

قد اماطت اللثام عن هذا التخوف مستغلاً حضور الخليفة وغيره

مجالس وعظه ، ويصل تاثير الخليفة البالغ بابن الجوزي عام

٥٧٤ هـ الى درجة تقديم الصدقات واطلاق السجناء ^(١٨) . وفي

رجب من هذه السنة حضر الخليفة المجلس المعقود تحت المنطرة

وكان الزحام شديداً ، فاستقل ابن الجوزي هذا الحشد الكبير ،

واراد اقناع الخليفة ان يسلك سلوك الرشيد تجاه رعيته بقوله :

« بالفت في وعظ امير المؤمنين ، فما حكيت بكاء الرشيد قال

لشبيان : عظمى ، فقال : يا امير المؤمنين ، لان تصحب من

يخوفك حتى يدركك الامن خير لك من ان تصحب من يؤمنك حتى

يدركك الخوف ، قال : فسر لي هذا ، فقال : ان يقول لك انت

مسؤول من الرعية ، فاتق الله انصح لك مما يقول انتم اهل بيت

مغفور لكم وانتم قرابة نبيكم ، فبكي الرشيد وبكى رحمه الله من

٣ - اثر المجالس في اهل الذمة

جذبت مجالس ابن الجوزي جماعة من اهل الذمة بمدينة بغداد ، فاستمعوا لمواعظه ونصائحه حتى دخلت في اعماق نفوسهم الى درجة اعلان اسلامهم ، وقدر من اسلم على يدي ابن الجوزي من اهل الذمة مائة الف نسمة^(٢٨) . فقد استطاع ابن الجوزي توليد قناعة ذاتية لدى اهل الذمة من خلال احاديثه المستمدة من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، وان هؤلاء بحكم معاشرتهم للمسلمين في بغداد جعلت مجالس ابن الجوزي مصدر جذب لهم مع بقية شرائح المجتمع البغدادي التي تشدهم الانماط والمعايير السلوكية اليومية ، فكان ابن الجوزي وهو على المنبر يتسلم رقاع الناس فيجيب عنها ، فيقول ابن جبير : « يتكثرون المسائل ، وتطير اليه الرقاع ، فيجاوب اسرع من طرفة عين ، وربما كان اكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل »^(٢٩) .

واستطاع ابن الجوزي ان يدخل في اعماق المجتمع البغدادي من مسلمين ونعميين ، وحاكمين وحكوميين . والى هذه الحقيقة اشار ابن جبير بقوله : « ما كنا نحسب ان منكلاً في الدنيا يعطي من ملكة النفس والتلاعب بها ما اعطى هذا الرجل »^(٣٠) ، وحينما وافته المنية ليلة الجمعة ، في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٥٩٧ هـ ، حملت جنازته على رؤوس الناس الى مقبرة باب حرب فدفن عند ابيه ، وكان يوماً مشهوداً بكثرة متبعيه حتى افطر جماعة من الناس من شدة الزحام وحرارة الجو^(٣١) ، وحزن عليه البغداديون حزناً عميقاً ، وبكوا عليه بكاءً شديداً ، وياتوا عند قبره طيلة شهر رمضان يختمون القرآن الكريم بالشموع والقناديل^(٣٢) .

● هامش البحث ●

- (١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٤٢
- (٢) ابن الجوزي : صيد الخاطر ص ٢٦
- (٣) الحكيم : ابن الجوزي ص ٢٧
- (٤) ابن رجب : النيل على طبقات الحنابلة ١ / ٤٩٠ .
- (٥) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩
- (٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٤ ، لفظة الكيد ص ٨١
- (٧) م . ن . ١٠ / ٢٤٣
- (٨) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨
- (٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٦٠
- (١٠) ابن رجب : النيل ١ / ٤١٣
- (١١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٢٧ ، ٢٨٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٤ / ٢٣٠
- (١٢) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨
- (١٣) ابن رجب : النيل ١ / ٤٩٠
- (١٤) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٧
- (١٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٢ / ٥٠٢
- (١٦) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩
- (١٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٤٣
- (١٨ - ٢٢) م . ن . ١٠ / ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

- (٢٣) اليافعي : مرآة الجنان ٣ / ٤٩١
- (٢٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٦٢
- (٢٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٤٥ ، الداودي : طبقات المفسرين ١ / ٢٧٢
- (٢٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٨٣
- (٢٧) م . ن . ١٠ / ٢٨٥
- (٢٨) ابن العماد : شذرات الذهب ٤ / ٣٣٠
- (٢٩) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨
- (٣٠) م . ن . ص ٢١٠
- (٣١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٦٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ٣٠
- (٣٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٢ / ٥٠٠

المصادر والمراجع

- ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد الكناشي الانلسي (ت ٦١٤ هـ)
- ١ - رحلة ابن جبير ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، دار مصر للطباعة . بلا تاريخ .
- ابن الجوزي : جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)
- ٢ - صيد الخاطر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م
- ٣ - لفظة الكيد الى نصيحة الولد ، مطبعة المنار ، مصر ١٣٤٩ هـ
- ٤ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية / حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٥٩ هـ .
- الحكيم : حسن عيسى علي (الدكتور)
- ٥ - ابن الجوزي ، اصدار هيئة كتابة التاريخ (نوابغ الفكر العربي) دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ١٩٨٨ م
- الداودي : شمس الدين محمد بن علي بن احمد (ت ٩٤٥ هـ)
- ٦ - طبقات المفسرين ، تحقيق علي محمد عمر ، مطبعة الاستقلال الكبرى / القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م
- الذهبي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)
- ٧ - كتاب تذكرة الحفاظ . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية / حيدر اباد الدكن ، الطبعة الثالثة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م
- بن رجب : زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد البغدادي الدمشقي (ت ٧٩٥ هـ)
- ٨ - كتاب النيل على طبقات الحنابلة مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م
- ابن الساعي : تاج الدين ابو طالب علي بن انجب الخازن (ت ٦٧٤ هـ)
- ٩ - الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م
- سبط ابن الجوزي : شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤ هـ)
- ١٠ - مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية / حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م
- ابن العماد : ابو الفلاح عبد الحي الحلبي (ت ١٠٨٩ هـ)
- ١١ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة القدسي / القاهرة ١٣٥٠ هـ
- ابن كثير : ابو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
- ١٢ - البداية والنهاية ، بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٦ م
- اليافعي : ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي المكي (ت ٧٧٨ هـ)
- ١٣ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يمتدح من حوائث الزمان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٣٨ هـ .

مشيخة الغزاة ودورها في جلاء الاندلس

د. مزاحم خلاوي الشاهري

قسم التاريخ - كلية التربية / جامعة الموصل

المقدمة :

ان منصب مشيخة الغزاة الذي استمر اكثر من مائة عام قد اسدى خدمات جليلة لفرناطة في ميدان المراقبة والجهاد ، لكن هذه الخدمات كانت تمتل وجها واحدا للدور الذي لعبه شيوخ الغزاة ، ان الوقائع السياسية الداخلية والخارجية لفرناطة ، قد زجت بعض قادته في معترك الحياة السياسية وجعلتهم عرضة لاهوائها ونزاعاتها الدائرة في الداخل والخارج ، فازهبت بالبعض منهم الى حتفه فيما اسعدوا بدورهم في اقامة وعزل بعض امراء بني نصر . لقد حاول بالبحث ان يقدم صورة دقيقة عن هذه الخطة العسكرية ، وبغية الاحاطة الدقيقة ، اعتمد البحث على المصادر التي عاصرت تلك الاحداث فكان في مقدمة من اعتمدنا عليه المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م وابن ابي زرع ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م وابن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ، غير ان الملاحظة التي تسترعي الانتباه ، ان بعضا منها قد اغفلت بعض شيوخ الغزاة^(١) ، واحيانا تباينت فيما بينها في السياق التاريخي لشيوخ الغزاة وفترات امارتهم ، الا اننا حاولنا قدر الامكان ان نصل الى تتبع تاريخي لهم ، ورصد فترات امارتهم ، والاحداث التي شاركوا فيها ، واثرا في الحياة الفرناطية على وجه التحديد .

هذا ومن الله التوفيق

مع هزيمة بولة الموحدين في موقعة العقاب Las Navas de Tolosa سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م . ومع ازدياد اسباب انحلالها ، واجه المغرب والاندلس تطورات سياسية خطيرة لم تقو الامارات الاربع الناهضة من جسد الدولة الموحدية على مواجهتها^(٢) وبالذات في الاندلس حيث تقوم مملكة غرناطة GRANADA وريثة الموحدين في تلك البقعة التي مثلت الجزء المتبقي من السيادة العربية في الاندلس .

واذا كانت رياح الغزو الاسباني تعصف في اوقات متفاوتة بمن المغرب العربي فان غرناطة ما برحت تعيش هول المواقف وتعاقب الكوارث القادمة من الممالك الاسبانية وعلى وجه الخصوص قشتالة Castilla التي قامت بقية الممالك الاسبانية في مهمة القضاء نهائيا على الوجود العربي الاسلامي هناك ، في وقت غاب عن غرناطة كل ناصر ، ولم يستجيب لاستغاثاتها احد من بلاد العرب المسلمين^(٣) .

في ظل تلك الاوضاع بزغ أمل جديد لبني نصر ، تمثل بظهور المرينيين ، ودعمهم العسكري والمادي لهم . ذلك الدعم الذي تعددت اشكاله^(٤) ، فكان من بينه ، منصب مشيخة الغزاة الذي يعتمد في تشكيلاته على المغاربة - جندا وقادة - المرابطين في ثغور غرناطة الشرقية والغربية .

مشيخة الغزاة بين التأسيس والاستقرار :

ترجع بدايات مشيخة الغزاة الى الاحداث التي وقعت في بلاد المغرب الاقصى ومفادها قيام اولاد اريس بن عبدالحق المريني^(٩) بالثورة على عمهم السلطان يعقوب بن عبدالحق بجبال غمارة لقناعتهم باحقيتهم بالامارة منه لكن الاخير تمكن من ارضائهم عن طريق ارسالهم الى الاندلس كقادة على رأس قوة تقدر بثلاثة الاف متطوع سنة (٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م) لاداء فريضة الجهاد ، وفور عبور قوتهم قاد عامر بن اريس حملة عسكرية على مدينة شريس Jerez ، فاقترح ريشها بالسيف ، وطرد القوات القشتالية منها^(١٠) .

بعدها رجعوا الى المغرب لينقلبوا على عمهم مرة اخرى سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م وذلك بسبب بيعة السلطان يعقوب لولده الامير عبدالواحد كولي للمهد على حكم المرينيين سيما وان الدولة الموحدية قد سقطت عاصمتها على ايديهم سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م^(١١) غير ان هذه المرة كان تدرهم قد اتسع وذلك بتضامن اولاد اريس بن عبدالحق وابناء عمومته اولاد عبدالله ورحو وابي عباد ، فالتحقوا بجبل غلودان من بلاد غمارة ، معلنين الثورة على عمهم ، الا ان حكمة السلطان يعقوب قد اذهب بريحهم ، فاخذ فورة غضبهم ، وتمكن من اقناعهم مرة اخرى ، فعفا عنهم وارسلهم الى الاندلس لقيادة المتطوعة المغاربة هناك^(١٢) ، فانبطت رياستهم ولاول مرة للشيخ موسى بن رحو ابن عبدالحق سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م . ثم لاخيه عبدالحق من بعده حيث انصرف الاول الى المغرب^(١٣) .

وتجدر الاشارة الى ان الثورة الاولى لمشيخة الغزاة وتسمية قادتهم كانت في اول امرهم من مسؤولية الدولة المرينية فواقع هذا المنصب لم يتوضح في نظام غرناطة الا بعد الدفعات التي ارسلها المرينيون للفترة الواقعة بين سنتي ٦٦١ / ١٢٦٢ م و ٦٧٦ / ١٢٧٧ م الى ان العبور الى الاندلس كان يمثل رغبة دينية بالدرجة الاولى وسياسية تدافع عليها ابناء الامراء والعامة من المغرب العربي بوجه عام^(١٤) .

وبطبيعة الحال فان اجازة المتطوعة وجهادهم في احواز غرناطة لم تكن بمشيئة الدولة المرينية وحدها ، بل كانت رغبة بني الاحمر حكام غرناطة ايضا . ففي واقع الحال حقق الغرناطيون لمرين اولهما ، كسب ود المرينيين حكام فاس من حيث توثيق الروابط العسكرية وتبادل وجهات النظر الحربية ، وليكون هؤلاء صلة الوصل^(١٥) ، وتاليهما تحقيق دعم عسكري ومادي لغرناطة في

وقت باتت تعاني بلاد الاندلس من غياب اي شكل من اشكال الدعم العسكري بعد زوال الموحيدين وانحسار دعم الحفصيين^(١٦) الذي استنزفوا بطلعات قليلة الكثير من المال والرجال لحدادة نشأة دولتهم^(١٧) .

على اية حال ، فقد انيطت مهمة قيادة المتطوعة لموسى ابن رحو ابن عبدالحق الذي عبر سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م ، ولم يلبث هناك فخلفه اخوه عبدالحق ثم تولاه ابراهيم بن عيسى ابن يحيى الوسنار من ثم لموسى مرة اخرى ولحمو بن عبدالحق من بعده « فكانت هذه الامارة متصلة في بني رحو الى ان انتقلت منهم الى اخوانهم من بني ابي العلاء^(١٨) .

ومهما يكن من امر فقد التقت رغبتا الدولتين في هذا المنصب ، ذلك المنصب الذي اصبح قوة عسكرية لها ثقلها وصنفا اساسا من صنفين في الجيش الغرناطي يخضع لادارة غرناطة ، وينفذ واجباتها ، ويرتبط رؤساؤه بحاكم غرناطة ، على ان يكون رؤساؤه من اسرة المرينيين ، يقول ابن الخطيب : « وجندهم صنفان اندلسي وبربري ، والبربري ترجع قبائله المرينية والزيانية والتجانية والمعجيبية .. الى اقطاب ورؤوس يرجع امرهم الى رئيس على رؤسائهم وقتل لمرقائهم من كبار القبائل المرينية يمت الى ملك المغرب بنسب^(١٩) .

على ان وجود مشيخة الغزاة وجندها المرتبطين بالسلطان النصري لم تمنع من تواجد قوات مرينية اخرى مرتبطة بحكام المغرب تتسلم اوامرهم من العاصمة فاس ، فالسلطان يوسف بن يعقوب على سبيل المثال ابقى في الاندلس ثلاثة الاف فارس بقيادة علي بن يوسف بن برناجن سنة ٦٨٥ / ١٢٨٦ ، مهمتها شن الغارات على المدن القشتالية حسب الخطة المرسومة من قبل المرينيين^(٢٠) .

اما عن طبيعة مشيخة الغزاة ، فهي من الخطط التي انشأت في هذه الفترة ، يعرف قائدها بـ « شيخ الغزاة » او « امير الغزاة »^(٢١) او لـ « امير الجند المغربي »^(٢٢) او « شيخ الدولة »^(٢٣) وعند تعيينه يصدر سلطان بني الاحمر مرسوما بذلك ، ويعلن على الملا ، وتحدد فيه واجباته بالاضافة الى خلاصة عن سيرة هذا الشيخ^(٢٤) .

كما تتفرع عن هذا المنصب كتائب يتولاها اشخاص يمتون بصلة قرى الى الاسرة النصرية او المرينية وينوبون عن كتائبهم في « عرض مسائلهم ، وقرى وافندهم واجراء عوائدهم »^(٢٥) .

اما عن مواقع هذه الكتائب فتشمل ثغور غرناطة التي تشكل قواعد تتواجد فيها قوات الغزاة ، ولكنها قاعدة مجموعة من المدن

الصغيرة ، فهناك القاعدة الغربية وهي مالقة Malaga تنتظم تحت مسؤولية قائدها مدنا مثل رنده .

ونكون وما اليها وكذلك المرية Almeria ووادي اش Guadix^(٢٢) .

اما عن اساليب قتالهم فقد كان له طابعه الخاص فهو يعتمد على اسلوب حربي اقتزن باسم زناته ، فابن الخطيب مثلا يصف احد امراء غرناطة « كان زناتي الشكل والركض والاله »^(٢٣) ، كما يلاحظ ايضا ان ملوك قشتالة اتخذوا فرقا الى جانب قواتهم تجاوب على طريقة الزناتيين « الخفيفة الحركة ذات الدروع الجلدية والركاب المرتفع وطريقة الكر والفر في القتال ، واطلقوا عليهم اسم (Jiuete) وهو لفظ مشتق من زناته^(٢٤) .

جهود شيوخ الفزاة العسكرية في بلاد الاندلس :-

ابلى شيوخ الفزاة بلاء حسنا في حماية ثغور غرناطة ، يتدافعوا في سوح الجهاد ، مستبسلين في صد الهجمات الخارجية ، فقد خاضوا معارك مهمة بوجه الممالك الاسبانية منذ الوهلة الاولى لعبورهم فقد تمكن قائدهم عامر بن ابريس ان

بخوض معركة ضد القوات القشتالية تمكن فيها من اعادة شريش لى احضان غرناطة وان ذلك لفترة قصيرة^(٢٥) ، كما شهدت سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ معركة قادها تاشفين بين معطي وطلحة بن محلى ضد القوات القشتالية التي زحفت تجاه غرناطة وقد تمكنوا من ايقاف زحفها^(٢٦) .

كما يظهر نور مشيخة الفزاة في عهد عبدالله بن ابي الملاء الذي خاض سلسلة من المعارك حتى استشهد وهو في عدة لجهاد سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ فقدم السلطان النصري اخاه عثمان بن ابي الملاء الذي كان قائدا على الحامية في مالقة المناطق المجاورة لها ، ليصبح بعد ذلك قائدا عاما للمحاربين من لمفارية^(٢٧) .

ثم تاتي سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ ليساهم المتطوعة لمفارية بقيادة اميرهم تحت لواء بني الاحمر في فتح قيجاطة ، حصار القنداق Alcaudete سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م^(٢٨) .

اما في سنة ٧٠٩ / ١٣٠٩ فقد تصدى شيوخ الفزاة قوات قشتالة المتوجهة نحو مرشانة ، وتمكن القائد عثمان

ابن ابي الملاء من القضاء على القوات القشتالية ، ثم تقدم باتجاه القوات القشتالية المحاصرة لسماته واسطوبته Estepona حيث اشتبك العباس بن رحو وعثمان بن ابي الملاء في معركة ضد القوات القشتالية في اسطوبنة وقتل قائدها « بيرش » واكثر من ثلاثة الاف قشتالي ، بعدها بعث ملك قشتالة فرديناندو الرابع الذي كان محاصرا لجبل طارق ببعض قوات لكنها فشلت حتى هلك سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م^(٢٩) .

على ان المعركة التي اظهرت مكانة مشيخة الفزاة وبورهم في حماية غرناطة هي المعركة الكبيرة التي حدثت في سنة ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م ، ومجرياتهما ابتدأت بزحف اعداد كبيرة من القوات القشتالية وتمكنت من الوصول الى مرج غرناطة ، وظن الكثير ان نهاية غرناطة قد اوشكت ، يقود الحملة اثنان من القادة هما الدون جوان والدون بدرو ، وهما من الاوصياء على عرش الفونسو الحادي عشر القاصر في حينها ، ومدعين بقوات عسكرية بلغت نحو خمسة وثلاثين الفا من الفرسان وعلى نحو الف من الرجال المقاتلة^(٣٠) .

وما ان عرف اهل غرناطة باخبار الحملة حتى ارسلوا صريخهم الى السلطان المريني عثمان بن يعقوب المعروف بابي سميد الذي لم يستجب في وقتها ، فلم يكن امام الفرناطيين غير الاعتماد على انفسهم ، فتقدم الشيخ عثمان بن ابي الملاء بفرسانه ومن التحق معه ، وباسلوتهم المتميز ، تمكنوا من اختراق الجيش القشتالي وخلخله صفوفه ، حتى تمكن المفارية من قتل قائدي الحملة بعد ان دامت ثلاثة ايام ، كما علقت جثة قائدها الدون بدرو على ابواب غرناطة دليلا على انتصار المسلمين ، وعبرة لمن يفكر في غزوها مرة اخرى^(٣١) . كما مكنت في حينها غرناطة من السيطرة على مدن مثل تشقار واورش وغالبيير ومارطوش^(٣٢) ، والسيطرة على مدينة مرتوس Martos سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م^(٣٣) .

على ان جهود شيوخ الفزاة لم تتوقف عند ذلك فبعد ان توفي عثمان بن ابي الملاء سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ خلفه ولده عامر ابن عثمان الذي سار على منهج ابيه و« عظم شأنه قوة وشكيمه »^(٣٤) . كما وصفه ابن الخطيب بـ « قريع بهره في النكراء والدهاء المسلم له في الرتبة عنقا ورايا وثباتا »^(٣٥) ، ثم تعاقب عليها بعده عدد من الشيوخ^(٣٦) حتى انتهت من نظام الجيش في غرناطة بمحوها من قبل السلطان محمد الخامس بامارته الثانية سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ وتولى قيادتها بنفسه^(٣٧) .

آثار مشيخة الغزاة على الحياة السياسية الداخلية والخارجية :-

فرضت الاوضاع الداخلية والخارجية لمملكة غرناطة واقمها على مواقف شيوخ الغزاة ودفعتهم مرة الى تبني مواقف املتتها طبيعة الاحداث ومرة ثانية الى اظهار نياتهم السياسية ان كان على الصعيد الداخلي المتمثل بفرناطة كما وصف حالهم ابن خلدون « لما تزاخمهم مناكب السلطان في قومهم وتغص بهم الدولة فينزعمون الى الاندلس مغتدين بها من بأسهم وشوكتهم في المداغة عن المسلمين ويخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان »^(٣٨).

او على الصعيد الخارجي ونعني بذلك في علاقتهم مع بني عمومته سلاطين بني مرين ، حيث اتبع بنو الاحمر اسلوب المناورة احيانا مع المرينيين ، فكان شيوخ الغزاة اداة لسياسة غرناطة في الاستظهار بهم على ابناء عمومته^(٣٩).

على ان رياح السياسة النصرية كثيرا ما تحولت الى عواصف اقتلست بعضهم من خلال نفس الاداة التي حركوها في اوقات اخرى ، والسبب في ذلك يعود الى ضعف النصرين بسبب الظروف الداخلية والخارجية من جانب وقوة شيوخ الغزاة من جانب اخر . الامر الذي مكنهم احيانا من استخدام قوة السيف ضد النصرين ومقاسمتهم اكثر الجباية في الاعطية والارزاق دون ان يظهروا اي رد فعل وذلك للحاجة القتالية التي لا تستطیع غرناطة الاستغناء عنها^(٤٠).

على اية حال فان المتتبع لتاريخ بني الاحمر سيلحظ ذلك ، فعلى صعيد تأثيرهم في الحياة الداخلية ، يظهر ذلك واضحا اثناء حكم نصر بن محمد (٧٠٨ - ٧١٣ / ١٣٠٨ - ١٣١٣) فبينما كان عثمان بن أبي العلاء قائدا على حامية مالقة ، داخله ابن عم السلطان اسماعيل بن فرج واقنعه بالخروج على السلطان ، فوافق عثمان بن أبي العلاء ، وزحف تجاه غرناطة سنة ٧١٣ / ١٣١٣ ، وتم لهم ما ارادوا ، وخلصوا السلطان ، وتمت البيعة لابني الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٣ - ٧٢٥ / ١٣١٢ - ١٣٢٤) وجزاء ذلك عين السلطان الجديد عثمان ابن العلاء اميرا عاما على الغزاة وانتقل معه الى العاصمة فيما خلع امير الغزاة عبدالحق بن عثمان^(٤١) ايضا والتحق بسلطانه الذي اقام في وادي آش^(٤٢).

ثم تتكرر النزاعات مرة اخرى ، ففي عهد السلطان محمد الرابع (٧٢٥ - ٧٢٣ / ١٣٢٥ - ١٣٢٣) الذي نصب بعد

اغتيال ابيه ، وهو لما يزل لم يبلغ الحلم ، حصل ان استبد بامره وزيره محمد بن المحروق الذي حاول مضايقة عثمان بن أبي العلاء ، فاضطر الاخير الى مفادرة غرناطة حيث استقر بمقرسى الحرية في ١٨ صفر سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م وبيلما هو يكثر من معاوئيه في حصن اندراش من ضواحي المرية ، اتصل بملك قشتالة الذي شجعه وحثه على القتال ، فاحتل حصن ويرده وما اليه من الحصون ، وقامت معارك عديدة مع الوزير الغرناطي انتهت بمقتل الاخير وعودة عثمان بن أبي العلاء اميرا على الغزاة حتى وفاته سنة ٧٣٠ / ١٢٢٩^(٤٣) . ليخلفه في مكانه ولده عامر ، على ان السلطان محمد الرابع^(٤٤) لم يسلم من بطش شيوخ الغزاة ، فحينما عبر الى المغرب سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ للقاء السلطان علي بن عثمان المريني^(٤٥) بشأن جبل طارق وسيطرة قشتالة عليه واثناء دعوته الى الاندلس عرف بنو العلاء ان في المباحثات التي جرت بين الطرفين امرا ضدهم^(٤٦) ، لذلك دبوا له مكيدة ، فنصبوا له كمينا بضفة وادي السقائين ، وبينما كان السلطان في طريقه قتلوه في يوم الاربعاء الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٧٣٧ / ١٣٣٦ .

واعلنوا عن تعيين اخيه السلطان يوسف الاول (٧٣٣ - ٧٥٥ / ١٣٣٢ - ١٣٥٤)^(٤٧) الا ان الاخير خشي على نفسه من اسرة بني العلاء وشيخها عامر بن عثمان ، فتحين الفرصة بهم ، وتمكن من القاء القبض عليهم ، وغربهم الى افريقية حيث نزلوا عند السلطان الحفصي أبي يحيى^(٤٨) ، ثم عين بدلا عنه الشيخ يحيى بن عمر سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ وظل ملازما لابني الحجاج ، موديا واجباته بكفاية عالية حتى اذا هلك السلطان في عيد الفطر سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤^(٤٩) ، وبويع بدلا عنه ولده محمد بن يوسف ٧٥٥ - ٧٦٠ / ١٣٥٤ - ١٣٥٨ ، استمر الحاجب رضوان وشيخ الغزاة يعملان على تسيير شؤون الحكم حتى نشبت الفتنة التي دبرها ابن عم السلطان محمد ابن اسماعيل الذي نصب اخا السلطان اسماعيل بدلا عنه ، وقتل الحاجب رضوان ، وعين ادريس بن عثمان شيخا للغزاة بدلا عن يحيى الذي تردد في مبايعة السلطان الجديد^(٥٠) وقد هرب يحيى مضطرا الى تخوم قشتالة^(٥١).

لكن موجة الاضطرابات لم تهدأ اذ اطاحت باسماعيل الثاني الذي دام حكمه اقل من سنة ، ليسيطر على الحكم محمد السادس الملقب بالغالب بالله^(٥٢) ، حيث قام بانقلاب في ٨ شعبان سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ وقد حاول ملاحقة السلطان المخلوع محمد

الخامس وذلك عن طريق الاتصال بالسلطان المريني أبي سالم^(٥٢) الذي طلب منه حجزه عنده في فاس لقاء اعتقال اولاد عمه من مشيخة الغزاة ، لكن هذا الاتفاق ذهب سريماً اذ سرعان ما انقلب سلطان المغرب عليهم ، مقدماً للسلطان النصري محمد الخامس كل الدعم لاستعادة عرشه^(٥٣) ، وما ان استعاد عرشه حتى عين الشيخ يحيى بن عمر اميراً على الغزاة وقربه اليه لكن الملفت للنظر انه سرعان ما انقلب عليه وادعاه السجن هو وولده^(٥٤) ، وليعلم عن تعيين الشيخ علي بن بدر الدين بن محمد بن رحو ، يقول ابن الخطيب^(٥٥) ، وقبض عليه وعلى ابنه فاركه الادهم الحرون واسكنه الطبق بقصبة المنكب سنة ٧٦٤ هـ فاستلبه جاحاً عريضاً وملكا كبيراً واحاق به مكروها مبيراً ثم ب وفاة الاخير قام بتعيين الامير عبدالرحمن بن أبي يفلوسن^(٥٦) .

لقد ادرك محمد الخامس من خلال استقراء ذكي للاحداث الداخلية والخارجية ان الفرض الاساسي من وجود مشيخة الغزاة قد انتهى بل انهم شكلوا عبئاً عليه ، ومنافسة له في ملكه ، لذلك استقل ضعفهم ، ورغبة البلاط المريني ، فاعلن عن محوها من بلاده وقاد تشكيلاتها بنفسه سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ وحتى مورت سنوات ليقودها ابناؤه^(٥٨) من بعده .

اما مصير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فلم يكن افضل من حظ انذي سبقه ال سرعان ما تحركت خيوط الاتفاقات بين البلاطين النصري والمريني ، فاعتقلته تحسيناً للعلاقات الجديدة مع سلطان المغرب عبدالعزيز بن أبي الحسن ، ثم اطلق سراحه بعد ان آل الامر الى الوزير أبي بكر بن غازي ، ليورسله الى المغرب داعياً له ، ومزوداً بقوة عسكرية لا يستهان بها^(٥٩) .

ومن المؤسف ان تلاحظ ان الظروف السياسية قد جاءت بعض شيوخ الغزاة للهرب والاقامة في بلاط قشتالة وبرشلونة ، فهذا يحيى بن عمر بن رحو يهرب ومعه اكثر من مائتي فارس ليقيم في عهد ملكها بدور الاول الملقب بالقاسي^(٦٠) .

في حين ان شيخ الغزاة ادريس بن عثمان بن أبي الملاء كان قد امضى سنوات في برشلونة عند بطرس الرابع ، وبقيت صلاتهما قائمة حتى انه اراد ان يحول محمد الخامس عن محالفة قشتالة له وتقريبه الى صديقه^(٦١) ، كذلك كانت هذه الاقامة سبباً في استمرار الرسائل وتبادل الهدايا والتشاور في مجريات الامور^(٦٢) . يضاف الى ذلك فقد سعت غرناطة في اوقات انشغال

المرينيين باوضاع بلادهم الداخلية الى دفع شيوخ الغزاة للمطالبة بعرض البلاد ، ولعل المثال الواضح هو الدعم الذي لقيه عثمان ابن أبي الملاء عندما احتل سبتة ، وظل مقاوما ثلاثة سلاطين مرينيين تعالوا عليه لئلا يظفروا به لهربه في الاخير وعموده الى الاندلس^(٦٣) .

على ان هذا الدعم حالما يتحول في اوقات اخرى الى ضعف وتصل عن شيوخ الغزاة من قبل أبي نصر ، فعلى سبيل المثال سعى السلطان عثمان بن يعقوب^(٦٤) المعروف بابي سعيد الى ارسال عثمان بن أبي الملاء واولاده له ، فرفض بنو الاحمر طلبه ، في حين استجابوا لطلب ولده علي بن عثمان واعتقلوا اسره بني الملاء وجربوهم من وظائفهم وانتهى مصيرهم رغم جهودهم بنفيهم خارج الاندلس ، حيث نزلوا عند السلطان الحفصي^(٦٥) طالبين شفاعته وكرمه في التماس العفو عنهم من قبل الخليفة المريني أبي الحسن الذي استجاب اول الامر لكنه سجنهم في فاس حتى اطلق سراحهم بعد ذلك ولده السلطان أبو عنان^(٦٦) .

من كل ما تقدم يتبين ان بني الاحمر قد تعاملوا مع شيوخ الغزاة حسب طبيعة المناخ السياسي السائد مع المرينيين ، وتحديدًا وفق مبدأ ايهما انفع واكثر اهمية وتأثيراً في الاحداث الداخلية والخارجية لمملكة غرناطة .

يضاف الى ذلك ، ان اهمية هذه الخطة العسكرية قد اذهبت بحسناتها الاحداث الداخلية التي رز فيها شيوخ الغزاة ، كما ان دورهم الواضح خلال مائة عام في حماية القواعد الشرقية والغربية للاندلس قد تلاشى ، وسبب فراغا وتصدعا في المواجهة العربية ، وللتلليل على ذلك يكفي ان نشير الى ان الفتنة التي وقعت بين الوزير محمد المحروق وعثمان بن أبي الملاء قد اتاحت لقشتالة فرصة في اجتياح ثغر البيرة والحصون المجاورة له^(٦٧) .

واخيراً فان ما قدموه للمتطوعة المغاربة في خطة مشيخة الغزاة تعد ظاهرة سياسية وعسكرية لها اهميتها ، اظهرت من جانب حالة التضامن بين العرب والمسلمين من اجل حماية اخر صرح عربي في اندلس الحضارة العربية . كما كشفت عن حالة غرناطة السياسية والعسكرية والهجمات التي تتعرض اليها ، بل ان معاناتها العسكرية قد تكون وجها يسوغ مواقف حكامها من اجل استمرار الوجود العربي الاسلامي في الاندلس .

جدول بامراء بني نصر وشيوخ ماثيخة الغزاة

محمد بن الاحمر « الغالب بالله »	عامر بن ابريس + عبدالله بن ابي العلاء
٦٣٥ - ٦٧١ / ١٢٣٧ - ١٢٧٢ م	
محمد الثاني الفقيه	موسى بن رحو + عبدالحق بن رحو + ابراهيم الوسناني + موسى بن رحو
٦٧١ - ٧٠١ هـ / ١٢٧٢ - ١٣٠١ م	
محمد الثالث - المخلوع	حمو بن عبدالحق
٧٠١ - ٧٠٨ هـ / ١٣٠١ - ١٣٠٨	
نصر « ابو الجيوش »	حمو بن عبدالحق + عبدالحق بن عثمان
٧٠٨ - ٧١٣ هـ / ١٣٠٨ - ١٣١٣ م	
ابو الوليد اسماعيل الاول	عثمان بن ابي العلاء
٧١٣ - ٧٢٥ هـ / ١٣١٣ - ١٣٢٤ م	
ابو عبدالله محمد الرابع	عثمان بن ابي العلاء + يحيى بن عمر بن رحو + عثمان بن ابي العلاء + عامر بن عثمان بن ابي العلاء
٧٢٥ - ٧٢٣ هـ / ١٣٢٤ - ١٣٢٢	
يوسف الاول « ابو الحجاج »	عامر بن عثمان + يحيى بن عمر بن رحو
٧٢٣ - ٧٥٥ هـ / ١٣٢٢ - ١٣٥٤ م	
محمد الخامس « المغني بالله »	يحيى بن عمر
٧٥٥ - ٧٦٠ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٥٨ م	
اسماعيل الثاني	يحيى بن عمر + ابريس بن عثمان
٧٦٠ - ٧٦١ هـ / ١٣٥٨ - ١٣٥٩ م	
ابو عبدالله بن ابي الوليد	ابريس بن عثمان
بن ابي محمد المعروف « البرميخو »	
٧٦١ - ٧٦٣ هـ / ١٣٥٩ - ١٣٦١ م	
محمد الخامس الفني بالله	يحيى بن عمر + علي بن بدر الدين + عبدالرحمن بن علي بن يفلوسن
٧٦١ - ٧٩٢ / ١٣٦١ - ١٣٨٩	

الهوامش

- (١) وهم الحفصيون في تونس والزيانيون في الجزائر والمريثيون في المغرب الأقصى وغرناطة في القسم الجنوبي من اسبانيا ، جوليان - شارل اندريا - تاريخ افريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر (تونس : ١٩٨٥ / ٢ / ١٧٣) .
- (٢) فقد العرب المسلمون في الاندلس خلال فترة حكم مؤسس غرناطة من المدن والحصون مائة وخمسة ، منها في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م نحو اربعين سورا واكثرها في غرب الاندلس ومن جعلتها شريش والمدينة والقلمة ويجير ، ابن عذارى - البيان المغرب في اختصار ملوك الاندلس والمغرب ، نشر محمد بن تاويت واخرون ، معهد مولاي الحسن (تطوان : ١٩٦٤) ٢ / ٤٧٠ عنان - محمد عبدالله - نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتتصرين ٣٧٠ (القاهرة : ١٩٥٨) ١٦ .
- (٣) محمد - مزاحم علاوي - الدور السياسي والعسكري ليعقوب ابن عبدالحق المريثي في بلاد الاندلس ، مجلة المؤرخين العرب - الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب (بغداد : ١٩٨٩) عدد ١٨ وما بعدها ، الدولة المريثية في عصر ابي الحسن علي ابن عثمان رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب في جامعة الموصل ١٩٨٥ ، ٥٣ - ٦٨ .
- (٤) لم يذكر ابن الخطيب شيئا عن منصب شيوخ الغزاة حتى عهد الامير ابي الوليد اسماعيل بن فرج وهو السلطان الخامس الذي حكم للفترة من ٧١٢ هـ - ٧٢٥ هـ وكذلك تجاهل بعض الشيوخ المجالين له في عهد محمد الخامس في امارته الثانية من بينهم علي بن بدر الدين ت ٧٦٨ هـ / ١٢٧٠ واخرهم عبدالرحمن بن علي ابن يفلوسن الذي تولاهما حتى سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م ، قارن ابن الخطيب - الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان نشر مكتبة الخانجي (القاهرة : ١٩٧٤) ٣٨ / ٢ - ٣٩ للوحة البدرية في الدولة النصرية - ص ٢١ ، دار الافاق الجديدة (بيروت) ١٩٨٠ ، ٨٠ ، ١٣٠ وابن خلدون - العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الاعلمي (بيروت ، ١٩٥٩) ٧ / ٣٦٦ وما بعدها .
- (٥) قتل ادريس بن عبدالحق ووالده في معركة بالقرب من وادي سبور على بعد اميال من تافر طاست مع عرب رياح وكان ادريس هو الابن البكر لابييه ، ابن مرزوق - المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن ، تحقيق ماريانا خيسوس بيفيرا ، الشركة الوطنية (الجزائر : ١٩٨١) ١١١ - ١١٢ .
- (٦) ابن ابي زرع - الانيس المطرب بروض القرطاس ، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط ١٩٧٣) ٣٠٣ ، الذخيرة السنية في اخبار الدولة المريثية ، نشر دار المنصور (الرباط : ١٩٧٣) ١٠٠ - ١٠١ .
- المقرى - نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب تحقيق احسان عباس (بيروت : ١٩٦٨) ١ / ٤٤٨ .

- (٧) سقطت الدولة الموحدية وعاصمتها مراكش سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م فاختر المريدون فاسا عاصمة لهم بدلا من مراكش ، وكان هذا على يد مؤسس دولتهم السلطان يعقوب بن عبدالحق : مجهول - الحل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق د. سبيل زكار وعبدالقادر زمامة دار الرشاد الحديث الدار البيضاء : ١٩٧٩) ١٧١ .
- (٨) الناصري - الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى تحقيق جعفر ومحمد الناصري الدار البيضاء (٥٤ - ٩٥٩) ٢ / ٢٣ - ٢٩ - ٣٠ .
- (٩) ابن خلدون العبر : ٧ / ٣٦٨ .
- (١٠) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٦٦ .
- (١١) المقرى - نفع الطيب ١ / ٤٥٢ ، شبانة كمال محمد - يوسف الاول بن الاحمر ، نخبة البيان العربي (الرباط : ١١٦٩) ٨٢ .
- (١٢) قامت الدولة الحفصية في تونس واعلن عن تأسيسها واستقلالها عن الدولة الموحدية ابو زكريا الحفصي سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م للمزيد ينظر جوليان - شارل اندريا - تاريخ افريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر (تونس : ١٩٨٥) ٢ / ١٧٣ وما بعدها .
- (١٣) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٦٦ .
- (١٤) العبر - ٧ / ٣٦٧ - ٣٦٨ .
- (١٥) اللوحة البدرية : ٣٩ .
- (١٦) ابن ابي زرع - الانيس المطرب : ٣٧٦ - ٣٧٩ - ٣٨٠ .
- (١٧) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٦٨ .
- (١٨) ابن الخطيب - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب نشر وتعليق د. احمد مختار العبادي ، دار الشؤون الثقافية في بغداد : بلا ، ١١ .
- (١٩) ابن الخطيب - نفاضة الجراب تحقيق احمد مختار العبادي ، دار الكتاب « القاهرة بلا » ٢ / ٦٩ - ٧٠ .
- (٢٠) قدم لنا ابن الخطيب في ريحانة الكتاب بعض المراسيم التي تصدر عن السلطان النصري منها الظهير القاضي بتعيين يحيى بن عمر وادريس بن ابي العلا وابي الحسن علي بن بدر الدين ينظر : ٢ / ٦٤ - ٦٩ .
- (٢١) ابن الخطيب - ريحانة الكتاب ونجعة المنتخب : تحقيق محمد عبدالله عنان ، نشر مكتبة الخانجي (القاهرة : ٨١) ٢ / ٨٩ .
- (٢٢) ابن الخطيب - نفاضة الجراب : ٢ / ٧٠ .
- (٢٣) العبادي - مقدمة نفاضة الجراب : ١٧ .
- (٢٤) العبادي : مقدمة نفاضة الجراب : ١٧ .
- (٢٥) ابن ابي زرع - الذخيرة السنية : ١١٢ : عنان - محمد عبدالله - نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتتصرين ط ٢ (القاهرة : ١٩٥٨) ٤٠ .
- (٢٦) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٦٨ .
- (٢٧) المقرى - نفع الطيب : ١ / ١٤٩ - ٤٥١ .
- (٢٨) ابن الخطيب - اللوحة البدرية : ٥٣ - ٥٤ ، يضيف مارمول ان معركة وقعت بين جيان وارجلونه قتل فيها الدون انريق ، وبحلول فصل الربيع حاصر العرب مدينة جيان ودخلوا ارباضها ، وقتلوا عاملها هنريق بيريدي ارانا وهو عامل الدون فرناده ثم فتحوا قيجاطه ينظر ، افريقيا ، ترجمة محمد حجي واخرون ، نشر مكتبة المعارف

- (٥١) العبادي احمد - مختار - فترة مضطربة في تاريخ غرناطة - صحيفة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد - ٥٩ - ٦٠) م ٧٨ / ٦٦ .
- (٥٢) ثلثه المصادر الاسبانية بابي سعيد البرميخو وذلك نسبة الى لون لحيته وشعره ، ينظر العبادي - فترة مضطربة في تاريخ غرناطة : ٤٣ .
- (٥٣) اصبح ملكا على المغرب (٧٥٩ - ٧٦٣ هـ / ١٣٥٧ - ١٣٦١ م) .
- (٥٤) ابن الخطيب - نفاضة الجراب : ١٨٢ وما بعدها .
- (٥٥) يذكر المقرئ ان عثمان بن يحيى بن عمر كان قد لحق اياه حيث استقر في بلاط قشتالة ، ازهار الرياض في اخبار عياض - نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي (الرياض ، ١٩٧٨) ٣٠٨ / ١ - ٣٠٩ .
- (٥٦) اللوحة البديرة : ١٣٠ المقرئ - ازهار الرياض : ١ / ٣٠٩ ، وينهب ابن خلدون الى ان اعتقال يحيى بن عمر كان تدبيراً من ابن الخطيب حرصاً على اخلاء الجوله ، العبر : ٤ / ١٧٥ .
- (٥٧) ابن خلدون - العبر : ٣٧٧٦ / ٧ ، المقرئ - ازهار الرياض : ٢١٠ / ١ .
- (٥٨) العبر : ٦٧٨ / ٧ ، وينظر الى الظهيرين اللذين اعلنهما السلطان محمد بتوليته ولديه عبدالله والاسعد .
- ابن الخطيب - ربحانة الكتاب ونجمة المنتخب ٧٢ / ٢ - ٨٠ .
- ٧٢ / ٢ - ٨٠ فرحات - غرناطة في ظل بني نصر : ٤٩ .
- (٥٩) تمكن عبدالرحمن ان يقاسم ابا بكر ملك المغرب ، فاستقر بمرآكش ليكون وادي ملوية حداً فاصلاً بين الحاكمين للمزيد ينظر ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٩٩ - ٢٧٨ .
- (٦٠) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٧٤ - ٣٧٥ .
- (٦١) ابن الخطيب - الاحاطة : ١ / ٥٢٩ - ٥٣٠ ، فرحات غرناطة في ظل بني نصر : ٨٩ .
- (٦٢) من بين الرسائل رسالة موجهة من الدون خايم الثاني ملك اراغون الى شيخ الغزاة انريس بن عثمان مؤرخة في ١٨ ربيع الثاني ٨٢١ هـ للمزيد ينظر حمادة محمد مسافر الوثائق السياسية والادارية في الانلس وشمال افريقيا ط ١ مؤسسة الرسالة (بيروت : ٤٦٠ - ١٩٨٠) .
- (٦٣) ينظر عن هذه الاحداث ابن ابي زرع - الانيس المطرب : ٣٨٨ - ٣٨٩ ، العافية عبدالقادر - الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون واحوازا - وزارة الاوقاف مطبعة ففالة (المحمدية - ١٩٨٣) ٢٩ - ٣١ .
- (٦٤) حكم الدولة المرينية للفترة الواقعة بين سنتي ٧١٠ - ٧٢١ هـ / ١٣١٠ - ١٣٣١ .
- (٦٥) هو ابو يحيى بن ابي زكريا ، حكم الدولة الحفصية منذ سنة ٧١٧ هـ وحتى ٧٤٧ هـ للمزيد عنه ينظر ابن القنفذ - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية تحقيق محمد الشانلي النيش وعبدالمجيد التركي الدار التونسية للنشر (تونس ١٩٧٨) : ١٦٠ - ١٦٨ .
- (٦٦) الناصري - الاستقصا : ٣ / ١٣٩ .
- (٦٧) ابن الخطيب - الاحاطة : ١ / ٥٣٥ - ٥٣٦ .

- (الرباط : ١٩٨٤) ١ / ٣٩٥ .
- (٢٩) ابن خلدون - العبر : ٧١ / ٢٤٩ ، فرحات يوسف شكري - غرناطة في ظل بني الاحمر ، ١٧ المؤسسة الجامعية للدراسات (بيروت : ١٩٨٢ : ٢٩ - ٤٠ .
- (٣٠) الناصري - الاستقصا : ٣ / ١٠٩ - ١١٠ .
- (٣١) ابن الخطيب / اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام تحقيق لبيبي بنوفسسال دار المكشوف (بيروت ، ١٩٥٦) ٢٩٥ ابن خلدون - العبر : ٤ / ١٧٣ ، ٧ / ٢٧١ ، الحجي عبدالرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : ١٧ (دمشق ١٩٧٦) ٥٢٥ . فرحات - غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤١ .
- (٣٢) مارمول - افريقيا : ١ / ٣٩٨ .
- (٣٣) المقرئ - نفح الطيب ١ / ٤٤٩ ، فرحات : غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤١ .
- (٣٤) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٢٧٢ .
- (٣٥) اللوحة البديرة : ٣ / ١٠٥ .
- (٣٦) تولاها بعد ذلك يحيى بن عمر ثم انريس بن عثمان بن ابي الملاء ثم علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو ثم اخرهم عبدالرحمن بن علي ابي يفلوسن الذي اعتقله رغبة في توثيق العلاقة مع القائم بحكم المغرب انذاك ابي بكر بن غازي للمزيد ينظر العبر : ٧ / ٣٧٤ - ٣٧٧ ، المقرئ - نفح الطيب : ٥ / ٨٤ - ٩٥ .
- (٣٧) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٢٧٨ ، في حين يشير العبادي انه الفاها سنة ٧٧٥ / ١٣٧٣ . ينظر نفاضة الجراب - المقدمة : ١٧ .
- (٣٨) العبر : ٤ / ١٧١ - ١٧٢ .
- (٣٩) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٦٧ .
- (٤٠) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٧٧ .
- (٤١) توفي في سنة ٧٣٨ هـ / في تلمسان للمزيد ينظر ابن الخطيب - الاحاطة : ٣ / ٥٣٧ .
- (٤٢) ابن خلدون - العبر : ٤ / ١٧٣ - ٧٠ / ٣٧١ ، فرحات - غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤٠ .
- (٤٣) ابن الخطيب - اعمال الاعلام : ٢٩٦ - ٢٩٧ .
- (٤٤) وصفه ابن الخطيب بانه « كان شرها لسانه غير جزوع » وقد توغرت عليه صدور رؤساء جنده المخافرة ، اللوحة البديرة : ٩٦ .
- (٤٥) هو ابو الحسن علي بن عثمان حكم المغرب الاقصى من سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣١ م ولغاية ٧٥٢ / ١٣٥٢ م وقد اعتبره المؤرخون اقوى ملك في القرن الرابع عشر الميلادي للمزيد ينظر محمد مزاحم علاوي - الدولة المرينية في عصر ابي الحسن : ٣٣ وما بعدها .
- (٤٦) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٧٢ .
- (٤٧) ابن الخطيب - اعمال الاعلام : ٣٩٨ ، اللوحة البديرة : ٩٧ .
- (٤٨) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٧٢ ، ابن الخطيب - اللوحة البديرة : ١٠٥ .
- (٤٩) ابن الخطيب - اعمال الاعلام : ٢٠٦ .
- (٥٠) ابن خلدون - العبر : ٧ / ٣٣٤ وما بعدها .

مقام الاطباء عند الخليفة

المتوكل على الله

٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م

١. د. بهجت كامل عبد اللطيف

قسم التاريخ - كلية الآداب / جامعة بغداد

ابو الفضل جعفر بن محمد (المعتصم) ابن الرشيد بن المنصور بن محمد بن عبد الله بن العباس ولد عام ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م ونقب بعد توليه الخلافة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م بالمتوكل على الله^(١). نشأ في ظروف غير اعتيادية شهدت الخلافة العباسية اتسعت بعدم الاستقرار وتحول في السلطة الى الموالي الاثراك على حساب العرب بالدرجة الاولى الذين هم سادة الاسلام وبنات دولته وحضارته^(٢). يضاف الى ذلك التحول في الاتجاه الديني للخلافة على اثر اعلان الاعتزال مذهباً رسمياً للخلافة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م^(٣). كما بلغت الحبكة الشعبية اوج نشاطها الادبي والفكري والاجتماعي خلال هذه الحقبة^(٤).

والتقدير^(٥).

ويكفي المتوكل فخراً ان عصره شهد في مجال العلوم الدينية بزوغ التفاسير الاولى للقرآن الكريم ومنها على سبيل المثال تفسير ابن ابي شيبة ت ٤٣٥ هـ / ٨٥٠ م^(٦) وتفسير اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ت ٢٢٨ هـ / ٨٥٢ م^(٧) وتفسير الاشج ابي سعيد عبد الله بن سعيد الكندي ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م^(٨). وفي علوم الحديث مسند الامام احمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م^(٩) وصحيح البخاري ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م^(١٠)، وصحيح مسلم ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م^(١١) وابن ماجه ت ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م^(١٢).

ان تردد العلماء والادباء والشعراء على بلاط الخليفة كان مدعاة للتنافس والتناظر فيما بينهم خصوصاً وان تشجيع الخليفة لهم كان له الاثر الكبير في الاندفاع نحو التنافس والتناظر. وقد

تعد خلافة المتوكل على الله من حيث النشاط العلمي والفكري امتداداً لمدة ازدهار التي شهدتها الخلافة العباسية ايام هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م، والمأمون ٢٠٨ - ٢١٨ هـ / ٨٢٣ - ٨٣٣ م فقد كان لرعاية الخليفة المتوكل العلماء والادباء والشعراء وكرمه اثر كبير في دفعهم الى مواصلة التردد الى عاصمة الخلافة^(١٣). وكانت مظاهر حب الخليفة للملم والادب وتشجيعه للمشتغلين بها ان اقدم الكثير منهم على التأليف والكتابة في موضوعات للخليفة او لوزيره او لكبار الموظفين من ذلك اهداء حبيش بن موسى الضبي ت بعد ٢٤٧ هـ / بعد ٨٦١ م كتابه الاغاني للخليفة المتوكل واهداء الشاعر البحتري ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٨ م كتابه الحماسة للفتح ابن خاقان وقبله قام الجاحظ ت ٢٥٥ / ٨٦٨ م باهداء معظم كتبه الى كبار المسؤولين في الخلافة طمعاً في الوصول والمنال

كان للطباء مكانتهم وبورهم في هذه المجالس العلمية والمناظرات الأدبية بما عرف من تشجيع الخلفاء بصورة عامة والمتوكل على الله بصورة خاصة للطباء وترجمة العلوم الطبية^(١١) فقد عرف عن العرب اهتمامهم بالطب والاطباء منذ قديم الزمان^(١٢). وكان الطب قبل الاسلام يمارسه العرافون والسحرة ويقوم على التعاويذ والطلاسم وكانت الحجامة اكثر الوسائل استعمالاً ومن اقوالهم « اخر الداء الكي . والكي يشفي من كل الامراض »^(١٣).

وبعد ظهور الاسلام وقيام الدولة العربية الاسلامية كان اغلب اطباء من الذين تخرجوا من مدرسة جنديسابور واشهرهم الحارث ابن كلدة نحو ٥٠ هـ / ٦٧٠ م وولده النضر ت ٢ هـ / ٦٢٤ م^(١٤) وان تناقل الروايات التاريخية لزيارة الحارث لكسرى واجابته على مسائل كسرى الطبية والفلسفية تدل على مدى اهتمام العرب المسلمين بالطب وتشجيعهم له^(١٥). وقد ترك الاسلام الباب مفتوحاً امام العلماء للعمل بحرية دون النظر الى جنسهم او ديانتهم لذلك اسهم اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم جنباً الى جنب مع العرب والمسلمين في دفع عجلة التقدم العلمي والحضاري في الدولة العربية الاسلامية وكان للطب نصيبه الوافر في هذا التقدم ويعود الفضل في ذلك اضافة الى ما ذكر الى سخاء الخلفاء والامراء وسعة صدرهم وتحررهم من التعصب وعطفهم على العلماء والمترجمين مسيحيين كانوا ام يهودا ام صابئة ام مسلمين^(١٦).

ومن الامثلة على رعاية خلفاء بني العباس لاطبائهم ما روي ان الخليفة المنصور ١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٣ - ٧٧٥ م لاحظ يوماً ان صحة طبيبه جورجيس بن جبرائيل قد ساءت وظن ان سبب ذلك يعود الى منع الخليفة له من شرب النبيذ . فامر وزيره ان يذهب بنفسه الى قطريل ويجلب ما يمكنه من الشراب وتقديمه الى جورجيس^(١٧). وفي عام ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م مرض جورجيس مرضاً صعباً . وكان الخليفة يرسل اليه في كل يوم الخنم حتى يعرف خبره ولما اشتد مرضه ، امر به الخليفة فحمل على سرير الى دار العامة ، وخرج اليه الخليفة ماشياً وراءه^(١٨). ومنها موقف الخليفة هارون الرشيد مع طبيبه جبرئيل بن بختشوع الذي كان موضع تقدير الخليفة وحبه حتى انه كان يدعوه له في الموقف التفت يوماً الى طبيبه قال « يا جبرئيل تعرف مرتبتك عندي ، قال يا سيدي وكيف لا اعلم ، قال له : دعوت لك الله في الموقف دعاء كثيراً ثم التفت الى بني هاشم فقال (عسى انكرتم قولي له ، فقالوا) ياسيدي ذمي ، فقال : نعم ولكن صلاح بدني وقوامه به وصلاح المسلمين بي فصلاحهم بصلاحه ويقائه ، فقالوا « صدقت يا امير المؤمنين »^(١٩).

كان المعتصم ٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م يحب طبيبه سلمويه النصراني وينعته بابي ، فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم ويكى عنده قال « تشير علي بعدك بما يصلحني .. »^(٢٠) فلما مات سلمويه امتنع المعتصم عن الطعام يوم موته ، وامر ان تحضر جنازته الدار ، يصلي عليه بالشمع والبخور على زي

النصارى الكامل ففعل بحيث يصبرهم ويباهي في كرامته ، وحزن عليه حزناً شديداً وبلغ اهتمام المعتصم بطبيبه ان قدمه على رجال بلاطه وفي بعض الاحيان على قاضي قضاته لاعتقاده ان الطبيب يحكم في النفس والنفس بالنسبة له اشرف من المال والملك . ومن مظهر تقدير الخليفة لطبيبه انه اذا ورد له كتاب يقتضي توقيعاً^(٢١) وكان سلمويه حاضراً امره ان يوقع بخطه ، وكان كل ما يرد على الامراء والقواد من صدور امر وتوقيع من الخليفة فيخط سلمويه^(٢٢) وكان الخليفة يامر ايضاً بتلاوة رسائله على سلمويه ومناظرته فيها فان كان استوعب رأيه امر الخليفة بختمها وايصالها^(٢٣).

هذه شذرات من مواقف بعض خلفاء العصر العباسي لاطباء زمانهم والتي تسلط الضوء وتعطي الدليل القاطع على مدى اهتمامهم بهذه المهنة وسعيهم الحثيث الى تطويرها وتسخيرها لخدمة المجتمع الاسلامي . فلا غرابة ان تجد هذه المكانة تتعزز اكثر واكثر طوال خلافة المتوكل على الله الذي عرف عنه حبه للعلماء والادباء ومجالس البحث والمناظرة . وكان من مظاهر اكرامه لاطبائه انهم اذا حضروا مجلس الخليفة جلسوا معه على السدة ، مما يدل على علو منزلة الطبيب وانبساطه معه . فقد روى ان الطبيب بختشوع بن جبرائيل « دخل يوماً على المتوكل وهو جالس على السدة في وسط الدار الخاصة فجلس بختشوع على عادته معه على السدة وكان عليه دراعه ديباج رومي وقد انفتق ذيلها قليلاً ، فجعل المتوكل يحدث بختشوع ويعبث بذلك الفتق حتى بلغ حد النيفق* ودار بينهما كلام اقتضى ان سال المتوكل بختشوع بماذا تعلم ان المشوش يحتاج الى الشد والقيادة ؟ قال اذا بلغ في فتق دراعه طبيبه الى حد النيفق شددناه فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وامر له في الحال بخلع سنه ومال جزيل^(٢٤) ويعلق ابن العبري ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م على هذه الحادثة ويقول (هذا يدل على لطف منزلة بختشوع عند المتوكل وانبساطه معه)^(٢٥).

والمتوكل هو الذي امر وزيره وقال (اكتب في ضياع بختشوع فان ضياعي وملكي وان محله منا محل ارواحنا في ابداننا)^(٢٦) وبلغ بختشوع من عظم الحال والمنزلة وكثرة المال ما لم يبلغه احد من سائر اطباء الذين كانوا في عصره . وكان كما يقول ابن ابي اصيبعة ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م « يضاها المتوكل في اللباس والفرش »^(٢٧) وبلغت منزلته عند المتوكل على الله انه عندما مرض امر امير المؤمنين ابنه « المعتز » ان يموده وهو اذ ذاك ولي العهد فعاده ومعه اثنان من كبار رجال المتوكل^(٢٨). وبلغ من رعاية وتقدير الخليفة لطبيبه بختشوع ان امر بسجن شاعره علي بن الجهم^(٢٩) ت ٢٤٩ هـ / ٨٦٢ م عندما هجا بختشوع^(٣٠). وبالرغم من ان الخليفة المتوكل على الله اطلقه بعد عام من هذه الحادثة لكنه عاد ونفاه الى خراسان^(٣١). ومن مناهر اكرامه ايضاً انه اصبح لثياب بختشوع اثرها في عيون الناس وتبرهن على المبالغة في الاكرام والسخاء على اطباء وتمنى حتى الخلفاء ان يلبسوا مثل هذه الثياب . ومن ذلك

ان الخليفة المعتمد ٢٥٢ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م ، كان قد اعتل في ايام المتوكل عليه من حرارة امتنع معها من تناول الاطعمة والادوية فشق ذلك على المتوكل هذا العمل لبختشوع وزاد في اكرامه^(٢٥) وروى « ان المتوكل اشتفى في بعض الاوقات الحارة ان ياكل مع طعامه خردلاً فمنعه الاطباء من ذلك لحدة مزاجه وحرارة كبده وغائلة الخردل . فقال بختشوع : انا اطعمك اياه وان ضرك علي ؟ فقال افعل فامر باحضاره قرعة وجعل عليها طيناً في تدور واستخرج ماءها وامر بان يقشر الخردل ويضرب بماء القرع . وقال ان الخردل في الدرجة الرابعة من الحرارة والقرع في الدرجة الرابعة من الرطوبة فيعتدلان فكل شهوتك . وبات تلك الليلة ولم يحس بشيء من الازى ، واصبح كذلك فامر ان يحمل اليه ثلثمائة الف درهم وثلاثون تختاً من اصناف الثياب^(٢٦) .

وبالرغم من كل مظاهر الاكرام والرعاية فان بختشوع لم يسلم من دسائس الواشين والحساد الذين نجحوا في الايقاع بينه وبين الخليفة فنكبه الخليفة وقبض على املاكه ووجه به الى مدينة السلام . وعندما عرض بعد ذلك للمتوكل قولنج استحضره الخليفة واعتذر وعالجه وبرأ وانعم عليه ورضي عنه ، واعاد ما كان له^(٢٧) .

ثم جرت على بختشوع حيلة اخرى فنكبه نكبة قبض فيها جميع املاكه ووجه به الى البصرة^(٢٨) وورد في الطبري ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م انه نفى الى البحرين بعد ان قبض ماله وفي ذلك قال اعرابي^(٢٩) :

ياسخطة جاءت على مقدار
ثار له الليث على اقتدار
منه ويختشوع في اغتزار
لما سمى بالسسادة الاقمار
بالامراء القادة الابرار
ولاة عهد السيد المختار
وبالمسؤولي وبني الاحرار
رمى به في موحش القفار
بساحل البحرين للصفار

ويذكر الطبري في حوادث سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) ان بختشوع المتطلب ضرب مائة وخمسين مقرعة واقفل بالحديد وحبس في المطبق^(٣٠)

ومن بين الاطباء الذين حظوا برعاية الخليفة المتوكل الطبيب يوحنا بن ماسويه ت ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م وكان طبيباً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب وله كلام حسن وتصانيف مشهورة وكان مبعلاً حظياً عند الخلفاء^(٣١) .

وروى ابن ابي اصيعة « كانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من اطعمتهم الا بحضرته »^(٣٢) ختم يوحنا بن ماسويه بصناعة الطب الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل . ومن نوابر يوحنا مع الخليفة المتوكل ان الخليفة اقتصد يوماً فقال

لخاصته وندمائه اهدوا الي يوم قصدي ، فاحتفل كل واحد منهم في هديته ، واهدى اليه الفتح بن خاقان جارية لم ير السروان مثلها حسناً وظهرتاً وكمالاً فدخلت عليه ومعه جام ذهب في نهاية الحسن وبن بلور لم ير مثله فيه شراب يتجاوز الصفات ورقعة فيها مكتوب :-

اذا خرج الامام من الدواء
واعقب بالسلامة والشفاء
فليس له دواء غير شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء
وفض الخاتم المهدي اليه
فهذا صالح بهد الدواء

واستطرد المتوكل ذلك واستحسنه ، وكان بحضرته يوحنا ابن ماسويه فقال يا امير المؤمنين الفتح والله « يقصد الفتح بن خاقان » اطلب مني فلا تخالف ما اشار به^(٣٣) ومن نوابره ايضاً ان المتوكل قال له يوماً بعث بيتي بقصرين . فقال له : اخر الغذاء يا امير المؤمنين اراد المتوكل تعشيت فضرني لانه تصحيفها ، واجابه ابن ماسويه بما تضمن العلاج^(٣٤) وعقب ابن حمون ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م ابن ماسويه بحضرة المتوكل فقال له ابن ماسويه لو ان مكان ما فيك من الجهل عقلاً ثم قسم على مائة خذفساء لكنت كل واحدة منهن اعقل من ارسطو طاليس^(٣٥) .

وروى ان ابن ماسويه دخل يوماً على المتوكل ، فقال للمتوكل لخدمه : خذ بول فلان في قارورة واثت به الى ابن ماسويه فاتي به فلما نظر اليه قال هذا بول بغل لا محالة . فقال له المتوكل : كيف علمت انه بول بغل : قال ماسويه : احضرني صاحبه حتى اراه ويتبين كذبي من صدقي فقال المتوكل هاتوا الغلام . فلما مثل بين يديه قال له ابن ماسويه : ايش اكلت البارحة قال خبز شعير ، وماء قزاح . فقال ابن ماسويه هذا والله طعام حماري اليوم^(٣٦) . اما الطبيب اسرائيل بن زكريا الطيفوري الذي اختص بوزير المتوكل على الله الفتح بن خاقان . فقد كان المتوكل يرى له الكثير ويعتمد عليه ، وله عند المتوكل المنزلة المكيّة . ومن ذلك ان اسرائيل بن زكريا وجد على امير المؤمنين المتوكل لما احتجم بغير اذنه ، فافتدى غضبه بثلاثة الاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين الف درهم وهبها له وسجل له عليها^(٣٧) .

وحكى ان المتوكل على الله قد عاده يوماً وقد غشي عليه فصور يده تحت راسه مخدة ، ثم قال للوزير « يا عبد الله حياتي معلقة بحياته ان عدمته لا اعيش : هذا دليل قاطع على المكانة العالية التي وصل اليها ابن زكريا في نفس الخليفة وعلى مدى اهتمام خلفاء بني العباس بالطب ورجاله . ويقال ان اسرائيل بن زكريا اعتل يوماً ما فوجه اليه الخليفة سميد بن صالح حاجبه وموسى بن عبد الملك كاتبه يعودانه^(٣٨) .

وبلغ ابن زكريا من علو المنزلة بعد ان انس به المتوكل وجعله في مرتبة بختشوع ومن عظم قدره كان متى ركب الى دار الخلافة يكون موكبه مثل موكب الامراء واجلاء القواد ، وبين يديه

اصحاب المقارع ، ولم يكتف تقدير الخليفة عند هذا القدر من مظاهر الابيه والتكريم فقد اقطعه قطيعة بسامراء حسب اختياره وبعد ان اختار المكان الذي بيده دفع اليه الخليفة ثلثمائة الف درهم للنفقة عليه^(١١) .

ويأتي على رأس قائمة الاطباء الذين اكرمهم الخليفة المتوكل على الله الطبيب حنين بن اسحاق الذي اختير في بادىء الامر للترجمة واؤتمن عليها ووضع للخليفة كتاباً نحاريير عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا^(١٢) .

ومن مظاهر تكريم الخليفة له انه كان يلبس زناراً ويلفت مكانته عند الخليفة انه لما استدعى في احدى الليالي دفع المتوكل على الله للخادم الذي هداه الى محله ثلاثين الف درهم . وقد حسنه الطبيب بختشوع بن جبرائيل على علو مكانته وعلمه وفضله وما هو عليه من جودة النقل واحتال عليه بخديعة عند الخليفة وتم مكره عليه حتى اوقع المتوكل به وحبسه . ويرجع السبب في علو منزلة حنين الى علمه وحذاقته في الترجمة وصداقه مع الخليفة فقد روى انه لما قوى امر حنين وانتشر ذكره بين الاطباء واتصل خبره بالخليفة امر باحضاره فلما احضر اقطع

اقطاعات حسنة وقرر له جار جيد وكان يشهره بزيور الروم وكان الخليفة يسمع بعلمه ولا يأخذ بقوله دواء يصفه حتى يشار فيه غيره واحب امتحانه حتى يزول ما في نفسه عليه ظناً منه ان ملك الروم ربما كان عمل شيئاً من الحيلة به^(١٣) .

فاستدعاه يوماً وامر بان يخلع عليه ، واضطر توقيعاً فيه قطاع يشتمل على خمسين الف درهم ، فشكر له حنين هذا الفعل ، ثم قال بعد اشياء جرت اريد ان تصف لي دواء يقتل عدواً نريد قتله ولم يمكن اشفاه ونريده سراً فقال حنين يا امير المؤمنين : اني لم اتعلم الا الانوية النافعة وما علمت ان امير المؤمنين يطلب مني غيرها ، فان احب ان امضي واتعلم فعلت ذلك فقال هذا شيء

يطول ، ورغبه هدده وهولا يزيد على ما قاله الى ان امر بحبسه في بعض القلاع ووكل به من يوصل خبره اليه وقتاً بوقت ويوماً بيوم فمكث سنة في حبسه دأبه النقل والتفسير والتصنيف ... فقال حنين قد قلت لامير المؤمنين اني لم احسن الا الشيء النافع ، ولم اتعلم غيره فقال الخليفة فاني اقتلك . قال حنين لي

رب ياخذ بحقي غدا في الموقف الاعظم . فان اختار امير المؤمنين ان يظلم نفسه فليعمل فتبسم الخليفة وقال له يا حنين طب نفساً وثق اليك هذا الفعل كان منا لا متحانك لانا حزننا من كيد الملوك واعجبنا بك ، فاردنا الطمانينه اليك والثقة بك لننتفع بعلمك ...^(١٤) .

وكان الاطباء يحسدون حنين على علمه وفضله وما هو عليه من علو المنزلة . فقد روى ان المتوكل خرج يوماً وبه خمار فقع في مقعده فاخذته الشمس وكان بين يديه الطيفوري النصراني وحنين ابن اسحاق فقال له الطيفوري يا امير المؤمنين الشمس تضر

بالخمار فقال المتوكل لحنين ما عندك فيما قال ؟ فقال حنين يا امير المؤمنين الشمس لا تضر بالخمار فلما تناقضا بين يديه كسغهما عن صحة احد القولين . فقال حنين يا امير المؤمنين

الخمار حار للخمر ، والشمس لا تضر بالخمار انما تضر بالمخمور فقال المتوكل لقد احرز من طبائع الالفاظ وتحديد المعاني ما فاق به تضرراً فوجم لها الطيفوري ، فلما كان في غد ذلك اليوم اخرج حنين من كمره كتاباً فيه صورة المسيح مصلوباً وصور ناس حوله ..

فقال له الطيفوري يا حنين هؤلاء صلبوا المسيح ؟ قال نعم . فقال له ... عليهم . قال حنين لا افضل ، قال الطيفوري ولم ؟ قال لانهم ليسوا الذين صلبوا المسيح انما هي صور ، فاشتد ذلك على الطيفوري ورفعه الى المتوكل يسأله اباحة الحكم عليه بديانة النصرانية .

فبعث الى الجاثليق والاساقفة وسئلوا عن ذلك ، فاجابوا اللعنة على حنين فلمن سبعين لمة يحضره الملا من النصارى وقطع زناره ، وامر المتوكل ان لا يصل اليه نواء من قبل حنين حتى يستشرف على علمه الطيفوري ...^(١٥) .

ومع هذا فلم يسلم حنين من مكائد حسانه ودياسهم لان الخليفة فضله على سائر اطبائه ، فقد صار حنين حظياً عند المتوكل وفضله على بختشوع وعلى غيره من سائر المتطبيين ، ولم يزل على ذلك في ايام المتوكل الى ان مرض حنين فيما بعد

المرض الذي توفي فيه . وذلك في سنة اربع وستين .. ووصف حنين موقفه حسانه منه في رسالة الفها فيما اصابه من المحن والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من اشرار اطباء زمانه المشهورين يقول فيها « انه لحقني من اعدائي ومضطهدي

الكافرين بنعمتي الجاحدين لحقي ، الظالمين لي ، المعتدين علي من المحن والمصائب والشعور ما منعني من النوم واسهر عيني واشغلني عن مهماتي . وكل ذلك من الحسد لي على علمي وما وهبه الله عز وجل لي من علو المرتبة على اهل زماني واكثر اولئك اهلي واقربائي ، فانهم اول شروري وابتهاء محنتي ...^(١٦) » . والخلاصة ان الطب من الاركان الاساسية التي ارتكزت

عليها الخلافة ولهذا اهتم الخلفاء العباسيون بصورة عامة والمتوكل بصورة خاصة بهذه الصناعة واغدقوا على اطبائهم الاموال واجزلوا لهم العطاء والمنح وقلدوهم المناصب العالية واصبحت لهم منزلة رفيعة بين رجال البلاط وعلمائه وكان الجميع يرغبون منهم بالينل والاكرام ، بقطع النظر عن طوائفهم وشيمهم

والنسابهم وقد شهد جميع الاطباء على اختلاف مللهم ونحلهم عهداً عظيماً من الحرية والثقة والاطمئنان^(١٧) . وقد رفع هذا التقدير والاحترام والمتابعة المتواصلة من لدن الخليفة المتوكل على الله الى ازدهار صناعة الطب وكان لمدرسة حنين بن اسحاق دورها الرائد^(١٨) .

(الهوامش والاحالات)

- ١ - محمد بن حريز الطبري (ت. ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك، لندن، بريل ١٨٨١ ج ٣، ص ١٣٦٩ م. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن عبد المسمودي ت ٢٤٦ هـ / ٩٥٧ م: مروج الذهب ومعدن الجواهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٧، ج ٤ ص ٨٥، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م: تاريخ الخلفاء تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٢٨٢ / ١٩٦٤ ط ٢، ص ٣٤.
- ٢ - بهجت كامل عبد اللطيف، (الحسن العربي في سياسة المتوكل على الله العباسي، بحث القى في ندوة سامراء في التراث العربي جامعة تكريت نيسان ١٩٩٢، مجلة المشرق العربي، العدد ٥٣ سنة ١٩٩٦، ص ١٤٩ - ١٦١.
- ٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣ ص ١١١٢ فما بعدها: قارن الميون والحدائق في اخبار الحقائق مؤلف مجهول لندن بريل ١٨٦٩، ص ٣٧٦، ص ٢٧٧ - زهدى جار الله: المعتزلة، بيروت الاحلية للنشر والتوزيع ١٩٧٤ ط ٢ ص ١٦٢.
- ٤ - سيرة المختار اللبني: الزندقة والشمونية وانتصار الاسلام عليها، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨: عبد الله سلوم السامرائي: الشمونية، حركة مضادة للاسلام والامة العربية، بغداد، دار الرشيد ١٩٨٠: منظمة المؤتمر الاسلامي الشمونية ونورها التخريبي في الفكر العربي الاسلامي، بغداد مطبعة الرشاد ١٤٠٨ / ١٩٨٨: هيئة كتابة التاريخ: وقائع للندوة القومية لمواجهة النص الشموني، بغداد ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- ٥ - يونس احمد السامرائي: سامراء في ادب القرن الثالث الهجري، بغداد مطبعة الارشاد ١٩٦٨ م: احمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١ م ط ١: عماد اسماعيل النعيمي: الخليفة المتوكل على الله العباسي، بغداد هيئة كتابة التاريخ ١٩٩٠.
- ٦ - ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م: الحيوان شرح وتحقيق يحيى الشامي، بيروت دار مكتبة الهلال ١٩٨٦ ط ١ ج ١ المقدمة ص ٦: ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م: معجم الانبياء، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ط ٤، ج ٧ ص ٢٢ - ٢٢١: النعيمي عماد اسماعيل ص ٨٣.
- ٧ - ابو الفرج محمد ابن اسحق بن النديم ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م: الفهرست في اخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين واسماء كتبهم، طهران مطبعة الاسدي، ١٩٧٠، ص ٢٧: احمد عبد الباقي ص ١٦٠.
- ٨ - ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م: تاريخ بغداد او مدينة السلام، بيروت دار الكتاب العربي (ت. د.) ج ٦ ص ٤٤٨: ابو العباس شمس الدين احمد ابن محمد ابن خلكان ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م، وفيها الاعيان وابناء الزمان، تحقيق احسان عباس بيروت دار الثقافة (ت. د.) ج ١، ص ١٩٩ - ٢٠١: احمد عبد الباقي ص ٢١١.
- ٩ - ابن النديم: حاجي خليفة مصطلحي بن عبد الله ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٠٦ م. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، قام بتصحيحه محمد شريف بالتقايا ووفعت الكليس، استانبول، مطبعة الحكومة، ١٩٤١، ج ١، ص ٢٣٩: احمد عبد الباقي، ص ١٦٠.
- ١٠ - ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م: مناقب الامام احمد بن حنبل تصحيح محمد امين الخانجي الكتبي، بيروت
- ١١ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢ ص ٤ - ٣٦: ابن خلكان وفيها الاعيان ج ١، ص ٤٥٥: ابو الغداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ / ١٢٧٢ م البداية والنهاية، بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٧ / ١٩٨٧ ط ٢ ج ١١، ص ٢٧ - ٣١.
- J. Robson = AL. Bukhari Muhammad B. game 'IL', Encyclopaedia of Islam Vol., 1.
- ١٢ - الخطيب البغدادي ج ١٣، ص ١٠٠: ابن خلكان ج ٢، ص ٩١: ابن كثير ج ١١، ص ٣٦ - ٣٨: احمد عبد الباقي، ص ١٦٠.
- ١٣ - ابن خلكان ج ١ ص ٤٨٨، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والامم، بغداد الدار الوطنية ١٩٩٠، ج ٥، ص ٩٠.
- ١٤ - حذيفة الخطيب: الطب عند العرب، بيروت الاحلية للنشر والتوزيع ١٩٨٨، ص ٧٢: جورج شحاته قنوازي: المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٤، ط ٢، ص ١٠٢: رشيد حميد حسن الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٦، ص ١٥٦.
- ١٥ - امين اسعد خير الله: الطب العربي، بيروت، ١٩٤٦، ص ٣٦: كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي، بغداد، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ١٩٨٤، ص ٢٤٧ وما بعدها: عبد الحميد العلوجي: تاريخ الطب العراقي، بغداد، مطبعة اسعد ١٢٨٧ / ١٩٦٧ ص ١٤ - ١٥.
- ١٦ - امين اسعد خير الله، ص ٢٤: كمال السامرائي ص ٢٣٠ - ٢٤٥.
- ١٧ - ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي المعروف بابن جلجل توفي بعد ٢٧٧ هـ ٤٨٧. طبقات الاطباء والحكماء تحقيق فؤاد سيد القاهرة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٥٥، ص ٥٤ - ٥٥: موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن ابي اصيبعة ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م: عيون الانبياء في طبقات الاطباء، بيروت دار الثقافة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ط ٣، ج ٢، ص ١٢: ابو الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبري ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م: تاريخ مختصر الدول بيروت دار الرائد اللبناني ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١٥٦: ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن حجر المسقلائي ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م: الاصابة في تمييز الصحابة، بيروت - دار احياء التراث العربي (ت. د.) ج ١، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.
- ١٨ - امين اسعد خير الله: الطب العربي، ص ٤٣ - ٦٣: احمد عبد الباقي، ص ٥١٩ - ٥٢٦: حذيفة الخطيب ص ١٨٠ - ١٨١: كمال السامرائي ج ١، ص ٣٦٨ فما بعدها.
- ١٩ - امين اسعد خير الله، ص ٤٩.
- ٢٠ - ابن ابي اصيبعة ج ٢، ص ٣٨، قطريل، اسم قرية بين بغداد وعكبرا، ينسب اليها الخبر، وما زالت مقبرة للبطالين وحالة للخمادين - ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٧٦ / ١٩٥٧، ج ٤، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

- ١ - محمد بن حريز الطبري (ت. ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك، لندن، بريل ١٨٨١ ج ٣، ص ١٣٦٩ م. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن عبد المسمودي ت ٢٤٦ هـ / ٩٥٧ م: مروج الذهب ومعدن الجواهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٧، ج ٤ ص ٨٥، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م: تاريخ الخلفاء تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٢٨٢ / ١٩٦٤ ط ٢، ص ٣٤.
- ٢ - بهجت كامل عبد اللطيف، (الحسن العربي في سياسة المتوكل على الله العباسي، بحث القى في ندوة سامراء في التراث العربي جامعة تكريت نيسان ١٩٩٢، مجلة المشرق العربي، العدد ٥٣ سنة ١٩٩٦، ص ١٤٩ - ١٦١.
- ٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣ ص ١١١٢ فما بعدها: قارن الميون والحدائق في اخبار الحقائق مؤلف مجهول لندن بريل ١٨٦٩، ص ٣٧٦، ص ٢٧٧ - زهدى جار الله: المعتزلة، بيروت الاحلية للنشر والتوزيع ١٩٧٤ ط ٢ ص ١٦٢.
- ٤ - سيرة المختار اللبني: الزندقة والشمونية وانتصار الاسلام عليها، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨: عبد الله سلوم السامرائي: الشمونية، حركة مضادة للاسلام والامة العربية، بغداد، دار الرشيد ١٩٨٠: منظمة المؤتمر الاسلامي الشمونية ونورها التخريبي في الفكر العربي الاسلامي، بغداد مطبعة الرشاد ١٤٠٨ / ١٩٨٨: هيئة كتابة التاريخ: وقائع للندوة القومية لمواجهة النص الشموني، بغداد ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- ٥ - يونس احمد السامرائي: سامراء في ادب القرن الثالث الهجري، بغداد مطبعة الارشاد ١٩٦٨ م: احمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١ م ط ١: عماد اسماعيل النعيمي: الخليفة المتوكل على الله العباسي، بغداد هيئة كتابة التاريخ ١٩٩٠.
- ٦ - ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م: الحيوان شرح وتحقيق يحيى الشامي، بيروت دار مكتبة الهلال ١٩٨٦ ط ١ ج ١ المقدمة ص ٦: ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م: معجم الانبياء، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ط ٤، ج ٧ ص ٢٢ - ٢٢١: النعيمي عماد اسماعيل ص ٨٣.
- ٧ - ابو الفرج محمد ابن اسحق بن النديم ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م: الفهرست في اخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين واسماء كتبهم، طهران مطبعة الاسدي، ١٩٧٠، ص ٢٧: احمد عبد الباقي ص ١٦٠.
- ٨ - ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م: تاريخ بغداد او مدينة السلام، بيروت دار الكتاب العربي (ت. د.) ج ٦ ص ٤٤٨: ابو العباس شمس الدين احمد ابن محمد ابن خلكان ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م، وفيها الاعيان وابناء الزمان، تحقيق احسان عباس بيروت دار الثقافة (ت. د.) ج ١، ص ١٩٩ - ٢٠١: احمد عبد الباقي ص ٢١١.
- ٩ - ابن النديم: حاجي خليفة مصطلحي بن عبد الله ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٠٦ م. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، قام بتصحيحه محمد شريف بالتقايا ووفعت الكليس، استانبول، مطبعة الحكومة، ١٩٤١، ج ١، ص ٢٣٩: احمد عبد الباقي، ص ١٦٠.
- ١٠ - ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م: مناقب الامام احمد بن حنبل تصحيح محمد امين الخانجي الكتبي، بيروت

٢١ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ٢٩ - ٤٠، أبو الحسن جمال الدين علي ابن يوسف، القفطي ت ٦٤٦ هـ / ١٢٢٩ م: تاريخ الحكماء لا يترك ١٩٠٣، ص ١٥٩ - ١٦٠، حنيفة الخطيب، ص ٧٣.

٢٢ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ٤٨، أمين أسعد خير الله، ص ١٥٠.

٢٣ - ابن النديم، ص ٤١٢ - ٤١٣: ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١١٠٦.

ابن القفطي ص ٣٨٧ - ١٣٨٨ حنيفة الخطيب، ص ٨١ - ٨٢.

٢٤ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٠٦.

٢٥ - المصدر نفسه والصفحة.

٢٦ - المصدر نفسه والصفحة.

٢٧ - المصدر نفسه ج ٢، ص ١٦٩، ابن المبري ص ١٢٤٩، ابن القفطي، ص ١٠٣.

• النيفق، القميص والسراويل وهو فارسي مغرب. الموضع المتسع منها العامة تقول نيفق: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م: لسان العرب، اعداد وتصنيف يوسف طباط، بيروت دار لسان العرب (ت. د) ج ٢، ص ١٦٩٤.

٢٨ - تاريخ مختصر الدول، ص ٢٤٩.

٢٩ - ابن أبي أصيبعة ج ٢، ص ٦٨ - ٦٩.

٣٠ - المصدر نفسه ص ٦٧.

٣١ - المصدر نفسه ص ٦٨، ويذكر ابن القفطي انه « لما ولي المتوكل صلحت حال بختشوع حتى بلغ في الجلالة والرفعة وعظم المذلة وحسن الحال وكثرة المال وكمال المرومة ومباراة الخليفة في اللباس والزى والطيب والفرش والضيافات والتفخيم في الففقات مبلغاً يفوق الوصف » تاريخ الحكماء ص ١٠٢.

٣٢ - أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الاصبهاني، ت ٣٥٦ هـ / ٦٧ م: كتاب الاغانى، القاهرة، دار الكتب ١٣٥٧ / ١٩٣٨، ص ٢٠٣، فما بعدها، ابن خلكان وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٣٥٥ - ٣٥٨: قارن المصمودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ١١١ حيث يذكر نفى الخليفة لملي بن الجهم الى خراسان دون ان يذكر السبب وان النفي وقع ٢١٣ هـ.

٣٣ - أبو الفرج الاصبهاني، ج ١٠، ص ٢٠٦ - ٢٠٧: أبو الحسن علي بن اسر الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الاثير، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م: الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر ١٣٩٨ / ١٩٧٨ م، ج ٥، ص ٢٩١.

٣٤ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٤٣٧ م، أبو الفرج الاصبهاني، ج ١، ص ٢٠٦: ابن الاثير، ج ٥، ص ٢٩١: ابن خلكان، ج ٣، ص ٣٥٥ ابن خلكان يذكر ان سبب النفي يعود الى هجائه للخليفة المتوكل على الله.

٣٥ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ٦٨: ابن القفطي، ص ١٠٢، وتذهب الرواية الى القول (ان المعتز بالله اعتل في ايام ابيه المتوكل علة من حرارة امتنع معها من اخذ شيء من الانوية والاغذية فشق ذلك على المتوكل كثيراً واغتتم ضماً شديداً فصار اليه بختشوع والاطباء عنده وهو على حالة من

الامتناع وقوة المرض فحادثه ومازجه فابطل المعتز يده في كم جبة وشيء ايماني مثقلة كانت على بختشوع وقال ما احسن هذا الثوب فقال له بختشوع بامولانا ماله والله نظير في الحسن وشمته علي الف دينار كل ثفاحتين وخذ الجبة فدعا المعتز بثفاحتين واكلهما فقال بختشوع تحتاج الجبة الى ثوب يكون معها وعندى ثوب هوان لها فاقرب شربة سكرجهين وخله لغرب شربة سكرجهين واخذهما فوافق لذلك الدفعا طبعه المعتز بهي ... »

٣٦ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ٦٨.

٣٧ - المصدر نفسه، ص ٦٢ - ٦٣.

٣٨ - المصدر نفسه، ص ٦٣.

٣٩ - تاريخ الرسل والملوك ج ٣، ص ١٤٣٧.

٤٠ - المصدر نفسه، ص ١٤٤٧.

٤١ - ابن جليل ص ١٦٥، ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٢٣: ابن المبري، ص ٢٢٧.

٤٢ - عيون الانباء في طبقات الاطباء ج ٢، ص ١٢٤، ويضيف قائلاً وكان (يوحنا بن ماسويه) يقف على رؤوسهم ومعه البرالى بالجوار ممشحات الهاضمة والمسحنة الطابخة والمقوية للحرارة الفريزية في الشتاء وفي الصيف بالاشربة الباردة والجوارششات، انظر كذلك ابن جليل، ص ٦٥ - ٦٦.

٤٣ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٢٢ - ١٢٣.

٤٤ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٢٣.

٤٥ - المصدر نفسه ص ١٢٣: ابن القفطي ص ٣٨٢، ويقول ابن القفطي (كان في حياته يوحنا بن ماسويه - بمقد مجلساً للنظر ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن اتم عبارة ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة باحسان عبارة واجتمع اليه اهل العلوم والادب وكان يدرس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون » ص ٣٨١ - ٣٨٢.

٤٦ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٢٣.

٤٧ - المصدر نفسه، ص ٩٣ - ٩٤.

٤٨ - المصدر نفسه، ص ٩٤.

٤٩ - المصدر نفسه والصفحة.

٥٠ - المصدر نفسه، ص ١٤٤.

٥١ - المصدر نفسه، ص ١٤٧ - ١٤٨.

٥٢ - المصدر نفسه، ص ١٤٤ - ١٤٥: ابن المبري، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

٥٣ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٤٨ - ١٤٩.

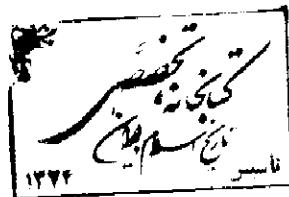
٥٤ - المصدر نفسه ص ١٤٩، فما بعدها: ابن المبري، ص ٢٥١: عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ط ٤، بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٣، ص ٢٧٩، علي عبد الله الدفعا، اعلام العرب والمسلمين في الطب ط ٤، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨ / ١٩٨٧، ص ٦٦.

٥٥ - حنيفة الخطيب، ص ٧٢.

٥٦ - ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٤٩: ابن المبري ص ٢٥١، عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ص ٢٧٩، علي عبد الله، الدفعا اعلام العرب والمسلمين في الطب، ص ٦٦.

الطب العراقي وأثره في الطب اللاتيني

د/محمود العام قاسم محمد
باحث في الطب العربي الإسلامي



المتتبع لحركة الترجمة بين اللغات عبر مراحل انتقال الحضارات يجد تفاوتاً بيناً في تآثر المترجمين ببعض العوامل أو الضغوط المعقائدية واللغوية والاخلاقية . وإذا قارنا بين الترجمات العربية للمؤلفات اليونانية ، وبين الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية نجد فرقاً شاسعاً في تأثير تلك الضغوط على الترجمات بين الاثنين . لقد تناولنا أوجه التباين هذه بشكل مفصل في كتابنا (انتقال الطب العربي الى الغرب ... معابره وتأثيره) . نكتفي هنا بذكر صفة من صفات النقلة اللاتين حيث « اتخذت عملية اخذ اللاتين من علوم المسلمين صفة الانتحال ، ولقد بين هذا عدد من العلماء المتخصصين في بحوث كثيرة ان اظهروا كيف انتحل علماء لاتين لانفسهم بحوثاً اخذوها من كتب العلماء المسلمين ، او انتحلوا كتباً كاملة ترجموها الى لغتهم ، زاعمين انها من ابداعهم وتاليفهم ، كما انهم نقلوا كتباً عربية اخرى ، ثم زعموا انها لمشاهير من الاغريق مثل ارسطو طاليس وجالينوس وروفس وسواهم »^(١) . كما وان كثيراً من التراجمة نسوا او تناسوا ان يذكروا اسم المؤلف الاصيل او حرفوا اسمه في اللاتينية حتى صار يصعب معرفة اسمه الاصيل . ومن الامثلة على انتحال الكتب والافكار الطبية العربية انتحال ما يكل سرفيتوس لافكار ابن النفيس حول الدورة الدموية الرئوية ، ومن الامثلة على انتحال الكتب الطبية العربية ونسبتها الى انفسهم التماساً بذلك الشهرة لانفسهم ، ما قام به قسطنطين الافريقي عندما قام (بالتعاون مع يوحنا فلانوس) بترجمة كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي ابن العباس المجوسي ، وكتاب العشر مقالات في العين لحنين بن اسحاق المبادي ونشرهما باسمه لا باسم مؤلفيهما الحقيقيين . على ان كتاب المجوسي قد ترجم مرة اخرى الى اللاتينية بعد اربعين سنة باسم مؤلفه الحقيقي من قبل اصطيغان البيزي .

١ - رسالة الكندي عن الانوية المركبة او (اختيارات ابي يوسف الكندي للانوية المجربة وهي الاقريانين) : وقد اخذ عنها الرازي في كتاب الحاوي . ترجمت هذه الرسالة من قبل جيزارد الكريموني^(٢) وطبعت الترجمة اللاتينية تحت اسم Gradibus (De medicinarum Compositorum) ويقال ان الذي ترجمها (ارنالدوس فيلانوفانوس الاسباني المولد بين سنتي ١٢٣٤ او ١٢٥٠ م) ، وبعد هذا الكتاب محاولة لتقدير الانوية المركبة Posology على اساس رياضي والنظرية التي يذهب اليها الكندي في هذا التقدير ان وزن الدواء يتناسب

وبعد هذه المقدمة القصيرة ندخل في صلب الموضوع الذي سوف نحاول فيه القاء الضوء على كتب ومؤلفات الاطباء العراقيين التي ترجمت الى اللاتينية ، والتي كانت - مع مؤلفات الاطباء العرب الآخرين - عاملاً ايجابياً بالغ الاهمية في دفع عملية النهوض الطبي الاوربي الحديث ، علماً بان تناولنا لتلك المؤلفات سيكون حسب التسلسل الزمني لحياة مؤلفيها .
الاول - ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي (عاش على الأرجح ١٨٥ - ٢٥٢ هـ / ٨٠١ - ٨٦٤ م) مؤلفاته المترجمة للاتينية :

هندسياً مع تأثيره على البدن^(١)، وعارض الكندي أطباء آخرين منهم ابن رشد، ومناقشة الخلاف الفلسفي في ذلك ليس محله هنا بل نكتفي بذكر هذه الحقيقة فقد « نهب الأستاذ ليون جوتييه في بحث له عن رواد علم النفس الطبيعي، وفي فصل عن الكندي وابن رشد في كتابه باللغة الفرنسية عن ابن رشد، إلى أن الكندي سبق قيير Weber، وفشنر Fechner، اللذين ظهرا في القرن التاسع عشر بنظرية التناسب الهندسي (أي اللوغاريتم) بين المؤثر والاحساس. ولكن نظرية الكندي لم تلق في زمانه صدى فماتت إلى أن ظهرت مرة أخرى بطريقة تجريبية على يدي العالمين الالمانيين^(٢) ».

٢ - رسالة في ماهية النوم : ترجمها جيرارد الكريموني إلى اللاتينية^(٣).

٣ - رسالة في الحيلة لدفع الاحزان : ترجمها إلى الإيطالية وعلق عليها ولز. ونشرت الترجمة في أعمال الاكاديمية الملكية داي لينجي في روما سنة ١٩٢٨.

الثاني - يوحنا بن ماسويه (توفي ٢٤٢ هـ / ٨٥٧ م) : كان معروفاً عند اللاتين في القرون الوسطى باسم Mesua وفي عصر النهضة باسم يوحنا الدمشقي Juhannus Damscemus ونشرت كتبه المهمة بعنوان Canones Universales في البندقية سنة ١٤٧١ م واهم كتبه المترجمة للاتينية هي^(٤) :

١ - الفصول .

٢ - السموم .

٣ - الكناش : قام بترجمته جيرارد الكريموني إلى اللاتينية، وطبع في البندقية سنة ١٤٩٧ م.

٤ - نوار الطب : ترجمته اللاتينية نشرت في بولونيا سنة ١٤٨٩ م بعنوان Aphorismi Johannis Damasceni وفي مديولانيا سنة ١٤٨١ م . ومع كتاب المنصوري في الطب للرازي طبعت متعددة في البندقية ١٤٨٤، ١٤٩٢، ١٥٠٠ م . وفي ليدن سنة ١٥٠٥ م . وترجم أيضاً للعبرية .

٥ - كتاب الحميات : قام بترجمته بطرس الاسباني Petrus Hispanus إلى اللاتينية (شتاشنايرد ١٤٦٤ م) .

الثالث - حنين بن اسحاق (١٩٤ - ٢٦٠ هـ / ٨٠٩ - ٨٧٣ م) :

١ - كتاب العشر مقالات في العين^(٥) : ترجم لهذا الكتاب ترجمتان لاتينيتان مختلفتان، احدهما من ترجمة قسطنطين الافريقي^(٦) الذي نسبته لنفسه، وطبعت تسع مقالات منه ضمن (كليات اسحاق الاسرائيلي) سنة ١٥١٥ م تحت عنوان (كتاب قسطنطين الافريقي في العين Liber de Oculis Constantini Africani اما الثانية فقد انجزها (نيميتريوس)^(٧) الذي نسبها خطأ إلى جالينوس وطبع تحت عنوان (كتاب جالينوس في العين) في البندقية ضمن الجزء الثامن من مجموعة جالينوس المطبوعة بتسعة اجزاء سنة ١٥٤١ - ١٥٤٥ م تحت عنوان Galeni Opera et Officina

Ferres, Ventitis وترجمه المستشرق الدكتور ماكس مايرهوف في القاهرة سنة ١٩٢٨ م للانكليزية والذي قال في مقدمته « انه اقدم كتاب مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون »^(٨) .

٢ - المدخل إلى صناعة الطب او مسائل في الطب للمتعلمين : يقول الدوميلي^(٩) انه من كتب حنين بن اسحاق الاصيله، لعب دوراً اساسياً في طب العصور الوسطى، وقد ضم إلى المجموعة المشهورة Articella التي اخرجتها مدرسة ساليرنو. وذكره الشهروزي في نزهة الارواح وحاجي خليفة في كشف الظنون وابن النديم في الفهرست ويروكلمان في الذيل بعنوان (مسائل في الطب للمتعلمين) .

نقله مرقص الصقلي إلى اللاتينية في النصف الاول من القرن الثاني عشر^(١٠). ثم ترجمه أيضاً روفينو Rufino للاتينية^(١١). وقد طبعت ترجمته بعنوان (Johannitii in Tegni Galenic Isagage) في البندقية سنة ١٤٨٧ م، وفي ليزيك سنة ١٤٩٧ م^(١٢)، ثم طبعت طبعت أخرى .

٣ - نوار الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء : ترجمه يهوذا بن سلمان (او سلومو) الجزيري من العربية إلى العبرية، ونشر هذه الترجمة العبرية لوفينتال في فرانكفورت سنة ١٨٦٠ م ثم ترجمه لوفينتال إلى الألمانية معتمداً على النسخة العبرية هذه ونشرها في برلين سنة ١٨٩٦ م^(١٣).

٤ - كتاب في التجربة الطبية : وهو مقالة واحدة لجالينوس، ترجمه حنين من اليونانية إلى السريانية، ونقله حبش عن الترجمة السريانية إلى العربية^(١٤). وذكر الدوميلي « وفي الطب التجريبي De Medicinis Expertis ترجمه فرج بن سالم إلى اللاتينية »^(١٥).

٥ - كتاب مقدمة المعرفة : اصل هذا الكتاب لابقراط وفسره جالينوس. وترجم حنين النص اليوناني لابقراط إلى العربية. اما تفسير جالينوس فترجمه عيسى بن يحيى. وقد ترجمت الصيغ العربية لكتاب مقدمة المعرفة للاتينية بقلم قسطنطين الافريقي (٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م)^(١٦).

٦ - رسالة في البول : ترجمها يهودي من برشلونة هو ابراهيم الطرسوسي^(١٧).

الرابع - حبش بن الحسن بن الاعسم : تلميذ حنين وابن اخته. كان حظه من الترجمات كتابين^(١٨)

سبق ان نقلها هو إلى العربية عن اليونانية وهي :

١ - كتاب جالينوس المعروف بـ (قوى الاطعمة De Vibilis Olementorum) : ترجمه اكيوريوس البستوي Accurius إلى اللاتينية حوالي ١٢٠٠ م .

٢ - الابواب (٩ - ١٥) من كتاب تدبير التشريح لجالينوس : ترجمها إلى اللغة الالمانية ماكس سيمون Max Simon ونشرها في لايبزيك سنة ١٩٠٦ م بعنوان Galen Selben Bucher Anatomie des

الخامس - اسحاق بن حنين (توفي ٢٩٨ هـ / ٩١١ م) : كتاب الانوية المفردة : ترجمه للاتينية نقولا الدمشقي، وطبع

سنة ١٨٤١ م^(١١).

السادس - قسطنطين لوقا البعلبكي البغدادي (توفي ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) :

الفرق بين النفس والروح : قام بترجمته الى اللاتينية جنديسالفيني في مدرسة الترجمة في طليطلة (التي اسست عام ١١٢٠ م)^(١٢).

السابع اسحاق بن عمران (توفي ٢٩٤ هـ / ٩٠٢ م) : مقالة في المالدخوليا : ترجمها قسطنطين الافريقي ونسبها لنفسه باسم (كتاب قسطنطين في المالدخوليا)^(١٣).

جاءت آراء ابن عمران في هذا المرض مبنية على تجاربه الشخصية ومشاهداته ودراساته على المرضى اضافة لما كتبه سابقوه ، وهو كتاب قيم في بابه اعتمد عليه الغربيون في فهم مسببات وعلاج هذا المرض .

الثامن - ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١ - ٣١٤ هـ / ٨٦٥ - ٩٢٧ م) :

١ - الحاوي Al - Hawi : ان اول من قام بترجمة هذا الكتاب من العربية الى اللاتينية هو طبيب يهودي من صقلية اسمه (فرج بن سالم) ويعرف في العالم الغربي باسم (فراجوت Ferragius) بامر من شارل الاول (ملك نابولي وصقلية) حيث فرغ من ترجمته عام ١٢٧٩ م^(١٤) . نشرت هذه الترجمة باسم (Liber Elhavi) في برشيا Brescia سنة ١٤٨٦ م .

ونشرت له ترجمة لاتينية اخرى باسم (Continens Rasis) في البندقية سنة ١٥٤٢ م^(١٥) وطبع في البندقية طبعات اخرى في السنوات (١٥٠٠ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٩) وهذا يعني انه طبع حتى سنة ١٥٤٢ خمس طبعات اضافة لطبع اجزاء منه كثيرة منفصلة .

ان هذا الكتاب كان من الكتابات الهامة في مجال الطب اثرت تأثيراً بالغاً على الفكر العلمي في اوربا ، فقد كانت ترجمة فرج لهذا الكتاب احدى تسعة كتب لتدريس الطب في جامعة باريس حتى سنة ١٢٩٥ م .

وقصة لويس الحادي عشر مع كتاب الحاوي تشير الى قيمة هذا الكتاب في ذلك العصر ، فقد اراد هذا الملك ان يضع نسخة من الحاوي في مكتبته ، وطلب من مكتبة الجامعة اعارته نسخة ليستنسدها له نسخة منها . وبعد مناقشات عديدة بين الاساتذة قررت الجامعة اعارته الكتاب بعد الحصول على كفالة مالية ، شكلت من ١٢ طقماً فضيماً للمائدة ومائة ريال من ذهب^(١٦) .

والجدير بالذكر ان كتاب الحاوي هذا هو الذي جعل المشتغلين بالطب في اوربا يعدون الرازي اعظم اطباء الطب السريري (الكلينيكي) في العصور الوسطى . وما زال الغربيون يعترفون بفضل الرازي ويقدرّون اثره حتى « ان جامعة باريس تحتفظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين في قاعاتها الكبرى احداها للرازي والاخرى لابن سينا » وان « جامعة برستون الامريكية اطلقت اسمه على افخم اجنتحتها تقديراً لفضله »^(١٧) .

٢ - المنصوري : ترجم الى اللاتينية بقلم جيرارد الكريموني بعنوان (Liber ad Almansurem) وطبعت هذه الترجمة في ميلانو سنة ١٤٨١ م ، والبندقية سنة ١٤٩٠ م ، وليون ١٥٢٠ م ، وبازل ١٥٤٤ م^(١٨) واصبح احد كتب التدريس في كليات الطب في اوربا . كذلك قام بترجمته شمعون بن اسحق (سنة ١٢٤٦) الى العبرية في مرسيليا وكان ذلك حافزاً قوياً الى النهضة الطبية عند العبرانيين^(١٩) .

اما الجزء التاسع المعنون (Nonus Almansuris) فقد طبع منفرداً مع تعليقات وهوامش في البندقية سنة ١٤٨٣ م ، ١٤٩٠ م ، ١٤٩٣ م ، ١٤٩٧ م ، وفي ليون سنة ١٥١٠ م ، وفي بال سنة ١٥٤٤ م ، وفي بادوا سنة ١٤٨٠ م . وشرحه اندريا فيزالبيوس^(٢٠) ونشره عام ١٥٣٧ م .

وتجدر الإشارة هنا الى رسالة وجهها فيزالبيوس الى طبيب الامبراطور كارلوس جاء فيها « انه ابتداءً باعادة النظر في ترجمة مؤلفات الرازي والقصد في ذلك انقاذ اولئك الذين يترشحون مثلي لنيل شهادة الطب وهو عمل جبار . وفي الوقت ذاته لكي اتيح الفرصة للاطباء الذين يبحثون عن الدواء الناجح لكي يجدوه خالياً من الاخطاء الفاضحة التي ارتكبها بحقه الناقلون اللاتينيون »^(٢١) . ان هذا الكلام ان دل على شيء فإنما يدل على الحجم الكبير الذي كانت تشغله مؤلفات الرازي في علم الطب في اوربا في ذلك الوقت .

٣ - كتاب الجدري والحصبة : ترجم هذا الكتاب في عصر النهضة الى لغات كثيرة هي^(٢٢) .

أ - ترجمة اغريقية (يونانية) عملها جاك كويل نشرت في باريس سنة ١٥٤٨ م .

ب - ترجمة لاتينية بواسطة فالّا (G - Valla) نشرت في البندقية سنة ١٤٨٩ م تحت عنوان De variois et Morribil- Lis Ou de peste وكذلك ترجمت لاتينية تحت عنوان Liber de pesti Lentia ، وقد طبعت الترجمة اللاتينية التي كتبها فالّا نحو اربعين مرة بين سنتي ١٤٩٨ و ١٨٦٦ على سبيل المثال البندقية ١٤٩٨ ، بازل ١٥٢٩ ، وستراسبورك ١٥٤٩ ، ولندن ١٧٤٧ ، وجوتنكن ١٧٨١ .

ج - ترجمة فرنسية من عمل جاك روليه طبعت سنة ١٧٦٣ في باريس . ترجمة فرنسية اخرى من عمل لوكريك وليفيوير طبعت في باريس سنة ١٨٦٦ .

د - ترجمة انكليزية فيد وجانيك سنة ١٧٦٦ . وترجمة اخرى من عمل جرينهل طبعت في لندن ١٨٤٨ م .

هـ - ترجمة المانية من عمل كارل اوبيتس نشرت في لايبزك سنة ١٩١١ تحت عنوان Uber Die Poken Und Die Masern ، لقد نال هذا الكتاب شهرة عظيمة في اوربا لاهميته العلمية حيث ان الرازي في هذا الكتاب ولأول مرة في تاريخ الطب فرق بين مرضي الجدري والحصبة ووصف كلا منهما على حدة بصورة تفصيلية خلافاً لمن سبقه من الاطباء اليونان والعرب اذ انهم كانوا يعدون المرضين واحداً^(٢٣) .

aniratione .

١١ - مقالة فيما ينبغي ان يقدم من الاغذية والفواكه وما يؤخر منها : ترجم الى اللاتينية بعنوان De Fructum Edendorum Lempore Atque Ardime

١٢ - مقالة في الادوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها وجهة استعمالها : ترجم الى اللاتينية تحت عنوان Permatatione Medicam Entorum .

١٣ - رسالة في العطش وازدياد الحرارة لذلك : ترجم الى اللاتينية تحت عنوان De Oimmaderato Calore .

١٤ - كتاب المدخل الى الطب : ترجمه الى اللاتينية جيرارد الكريموني وهو يؤلف القسم الثاني عشر من الحاوي ترجمه تحت عنوان Liber Introduc Torius In Medicina a Parvus التاسع - ابو القاسم عمار بن علي الموصلي (توفي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م) :
عرفه الاوربيون باسم (Cana Mosali)

كتابه - المنتخب في علم العين وعلاها ومداواتها بالادوية والحديد :

ترجمه ناثان الهامتي Nathan Ha - Meati الايطالي بالتماس من الطبيب اسحق بن مريكي في القرن الثالث عشر^(٣٧) وايضاً ترجمه الى اللاتينية دأود هرمينوس . وطبعت الترجمة اللاتينية غير الحرفية للكتاب لدأود الارمني باعتناء بول بانسر ونشرت في باريس سنة ١٩٠٤ ضمن القسم الرابع من مجموعة في طب العيون .

اتخذ هذا الكتاب للتعليم في طب العيون في جامعات اوربا حتى القرن الثامن عشر . كما وان للكتاب اهمية خاصة من حيث احتوائه كثيراً من الملاحظات والاشارات المبتكرة فقد ذكر فيه ست طرق لاجراء عملية القرح للماء النازل في العين (مرض الساد Cataract) كانت احداها بالمص^(٣٨) .

العاشر - ماسويه المارديني البغدادي (توفي ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) :

يدعى الاصغر تفریقاً له عن (يوحنا بن ماسويه) . عرفته اوربا بكتبه

١ - المبادئ العامة والخاصة للطب : لموسى الاصغر وكان في مقدمة من ترجم لهم الى اللاتينية وقد طبع في البندقية سنة ١٤٧١ م باسم De Medicinis Loxativis Antidotaium Sive Gabraddin Medicaminum Compositum .

٢ - مجموعة مختصرة للوصفات الطبية : ترجمت الى اللاتينية^(٣٩) .

٣ - جراحة ماسويه : ترجمه فرج بن سالم الى اللاتينية^(٤٠) .

٤ - كتاب الفصول في الطب او المرشد : ترجمه الى اللاتينية موسيس بوتون تحت عنوان Aphorismi Rasis طبع في لينن ١٤٨٩^(٤١) ، وترجم الى العبرية كذلك .

٥ - رسالة تدبير الصبيان^(٤٢) :

أ - ترجمت للاتينية في مدرسة جيرارد كريمونا من قبل سومون وطبعت باللاتينية لأول مرة سنة ١٤٨١ . بعد ذلك طبعت مرات عديدة وعلى الاغلب كانت تلحق بكتاب المنصوري للرازي او فصول الطب لابن الهيثم .

ب - ترجمت قديماً للعبرية ايضاً .

ج - في العصر الحديث ترجمت منها فقرات للالمانية من قبل بيير ولانكليزية من قبل روهرا ومن قبل ستيل سنة ١٩٥٩ وترجمت الرسالة بكاملها للايطالية . وقام بترجمتها بكاملها قبل سنوات رادبل Samuel x . Radbill عن الايطالية للانكليزية ونشرها في مجلة امراض الاطفال الامريكية (عدد ٥ مجلد ١٢٢ سنة ١٩٧١) . ان اهمية هذه الرسالة تتجلى في اولاً - كونها اول مؤلف مستقل في طب الاطفال حيث لاول في تاريخ الطب فصل الرازي بين طب الاطفال والامراض النسائية وجعله يأخذ شكلاً مستقلاً بذاته .

ثانياً - لان جميع الكتاب الاوربيين في امراض الاطفال من القرن الخامس عشر حتى السابع عشر ساروا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية لرسالة الرازي ، وان اول كتاب طبع في طب الاطفال في اوربا وهو كتاب (بيكالارونس سنة ١٤٧٢) اعتمد كلياً على رسالة الرازي هذه .

ونظراً لفقدان الاصل العربي من هذا الكتاب قمنا باعادة ترجمته من الترجمة الانكليزية لرادبل الى العربية ونشر بشكل محدود (طبع رونيوس سنة ١٩٧٩ م) وان شاء الله نسوف يصدر بطبعة جديدة ومحقة قريباً .

٦ - مقالة الحصى المتولد في الكلى والمثانة : ترجمت الى اللاتينية وطبعت في باتافيا سنة ١٥١٠ م . وقد قام الدكتور دي كوننج بترجمتها الى الفرنسية ونشرها مع النص العربي في لينن سنة ١٨٩٦ تحت عنوان Traite Surle Calcul Dans Les Reins et Dans la Vessie

٧ - كتاب اقرباذين Antidotrium : ترجمه ابراهيم الكسلري اليهودي Abraham Kaslari الى اللاتينية سنة ١٣٤٩ م . كما ترجمه الى العبرية موسى بن صمويل بن طيون (١٢٤٠ - ١٢٨٣ م) .

٨ - كتاب تقسيم الملل او كتاب التقسيم والتشجير : ترجمه الى اللاتينية جيرارد الكريموني تحت عنوان Antidotarium Divisio Morborum Introductio In Medicam Opporismi Medici وترجم الى العبرية ايضاً .

٩ - كتاب القولنج : ترجم للاتينية تحت عنوان De Vini Potu Ejusque Speciebus

١٠ - كتاب منافع الاغذية ودفع مضارها : ترجم تحت عنوان De Alimentorum Correctione non de victus hum

الحادي عشر - الحسن ابو علي بن الحسن بن الهيثم
(٣٥٤ - ٤٣٠ هـ / ٩٦٥ - ١٠٣٨ م)

كتاب المناظر^(١١) : الترجمة اللاتينية لا يعرف تاريخ ومن قام بترجمتها والمحتمل انها عملت في اسبانيا في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي او في اواخر القرن الثاني عشر . جاء ذكرها لأول مرة في مقال « المثلثات » لجوردانوس دي فيموري (ما بين ١٢٢٠ - ١٢٣٠ م) وكذلك يوجد لكتاب المناظر ترجمة ايطالية عن اللاتينية ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادي . ولهذا الكتاب اهمية كبيرة حيث انه يحوي آراء جريئة مبتكرة في علم الضوء كانت ينبوعاً لديكارث ونيوتن .

كما ان ابن الهيثم جاء بنظرية جديدة في الابصار حيث قال ان الرؤيا تحصل من الصورة الضوئية المنبعثة من المرئيات ، لا ان الضوء يخرج من العين ليلامس المرئيات ويصيرها كما كان يمتقد قبل ابن الهيثم . كما اشار الى ان الابصار يكون بواسطة الشبكية وقال ان المرئيات تنتقل الى الدماغ بواسطة عصب البصر وان وحدة النظر بين الباصرتين عائد الى تماثل الصور على الشبكيتين .

الثاني عشر - يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي
(توفي ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م)

١ - منهاج البيان فيما يستعمله الانسان : ترجم لاتينية سنة ١٥٣٢ م .

٢ - تقويم الابدان : ترجمه فرج بن سالم الى اللاتينية وطبعت هذه ستراسبورج سنة ١٥٣٣^(١٢) ، وترجم للامانية مرتين الاولى من قبل هيروم والاخرى من قبل هانس شويته Hans Schotte .
الثالث عشر - علي بن عيسى البغدادي الكحال :

عاش ومارس الطب في بغداد في النصف الاول من القرن الحادي عشر . عرف لدى اللاتين باسم (Jesu Haly) . مؤلفه (تذكرة الكحالين) خير ما كتب في طب العيون . واكتسب هذا الكتاب شهرة واسعة في اوربا . ترجم الى اللاتينية باسم (Liber Memorialis) وكذلك الى العبرية ، طبع هذا الكتاب مع ترجمة لاتينية حديثة للقسم الاول منه باعثناء الاستاذ هل ونشر في برسدن سنة ١٨٤٥ م^(١٣) .

بقي هذا الكتاب مع كتاب عمار الموصلي « من احسن الكتب المدرسية في امراض العيون حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر »^(١٤) .

ومما تجدر الاشارة له هنا بان علي بن عيسى في كتابه هذا لأول مرة كما يقول هاملتون بين العلاقة بين الشرايين الصدغية الملتببة (Temporal Arteritis) واعراض الرؤية عند وصفه لعملية سل الشرايين الصدغية^(١٥) .

الرابع عشر - ابو الحسن المختار بن عبدون بن بطلان البغدادي (توفي ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) :

كتاب تقويم الصحة : ترجم لاتينية أولاً من قبل جيرارد الكريموني ، ثم ترجم في القرن الثاني عشر ونشرت الترجمة في سنة ١٥٣١ م في مدينة ستراسبورج^(١٦) بعنوان Takulni Sanitatis Elluchasem Elimthar Medico de Baldath
الخامس عشر - يوحنا بن سرافيون (من ابناء القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) :

كتابه الابوية المفردة ترجم عدة ترجمات لاتينية ، منها ترجمة جيرارد الكريماني وترجمه اندريا الباكو ، وترجمه سميان الجنوي التي انجزها بمعاونة ابراهيم الطرسوسي البرشلوني ونشرت هذه الترجمات اللاتينية في البندقية خلال السنوات ١٤٧٩ ، ١٤٩٧ ، ١٥٠٧ ، ١٥٣٠ ، ١٥٥٠ ، وفي فيارا سنة ١٤٨٨ وفي ليون سنة ١٥١٠ وفي بال بسويسرا سنة ١٥٤٣^(١٧) .

السادس عشر - عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ - ٦٢٩ هـ / ١١٦٢ - ١٢٣١ م) :

كتاب الاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر / ترجمة لاتينية بوكوك الاكبر ثم نشرها توماس هايد متناً وترجمه في اوكسفورد (سنة ١٧٠٢ م) ثم ظهرت الطبعة التي اعدھا وايت عام ١٧٩٨ باللغة اللاتينية . ثم ترجم الى الالمانية وترجمه سلفستر سلي الى الفرنسية سنة ١٨١٠^(١٨) . للكتاب اهمية خاصة فهو مبني على مشاهداته الشخصية . ومن اهم ما جاء من مشاهداته الطبية اثباته بان عظم الفك الاسفل عظم واحد وليس عظمين كما ذكر جالينوس وغيره من اطباء .

وبذلك ناتي على ذكر مؤلفات اطباء العراقيين المعروفة والتي تشكل جزءاً يسيراً من المؤلفات العربية التي ترجمت الى اللاتينية علماً بان الاحاطة بالمؤلفات العربية المترجمة جميعها امر بطول وهو ليس موضوع بحثنا في هذه العجالة ، كما وان ليس من المستطاع احصاء جميع مؤلفات اطباء العراقيين والعرب في العالم اللاتيني لان عدداً هائلاً من المخطوطات ما تزال في المكتبات تنتظر الكشف والدراسة .

واخيراً انهي البحث بقول الاستاذ فؤاد سيزكين « كلما امكن الانسان في دراسة المصادر الاصلية للنهضة الاوربية ازداد تصوره ان هذه النهضة المزعومة اشبه ما تكون بالولد الذي نسب الى غير ابيه الحقيقي »^(١٩) .

■ المصادر ■

- الكويت، ١٩٨١، ص ١٠٤.
- ٢٤ - مايرهوف، المصدر السابق ص ٤٦٥ (مصدر سابق).
- ٢٥ - بروكلمان، المصدر السابق ص ٢٧٤.
- ٢٦ - محمد، الدكتور محمود الحاج قاسم: الطب عند العرب والمسلمين... تاريخ ومساهمات - الدار السعودية للنشر، جدة ١٩٨٧، ص ٢٨٥.
- ٢٧ - عاشور، سميد عبد الفتاح: المندلية الاسلامية واثرها في الحضارة العربية ص ١٥٢.
- ٢٨ - بروكلمان، ج ٤ ص ٢٧٧.
- ٢٩ - الملوجي، عبد الحميد: تاريخ الطب العراقي - مطبعة اسعد، بغداد ١٩٦٧ ص ٥٢٧.
- ٣٠ - اندريا فيزاليوس: A Vesalius (١٥١٤ - ١٥١٦ م) جراح فرنسي، درس الطب في باريس وبانوكا، كان يعرف العربية، ذكر في الطبعة الثانية من كتابه بنية الجسم الانساني وصفا للدورة الدموية وتشريح القلب بعد ان اطلع على كتاب التشريح لابن النفيس الذي جلبه الباكو الى بانوكا وكتاب سرفيتوس الحاوي على آراء ابن النفيس حول الدورة الدموية والتي نقلها سرفيتوس نون الاشارة لابن النفيس.
- ٣١ - الحايك، سيمون، مقال مجلة تاريخ العلوم العربية العددان ١، ٢، مجلد ٩ السنة ١٩٩١ ص ١٣٧.
- ٣٢ - بروكلمان، ج ٤ ص ٢٧٧.
- ٣٣ - محمد، د. محمود الحاج قاسم - تاريخ طب الاطفال عند العرب - مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد (الطبعة الثالثة ١٩٨٩) ص ١٠٣.
- ٣٤ - بروكلمان، ج ٤ ص ٢٧٩.
- ٣٥ - محمد، د. محمود الحاج قاسم - تاريخ طب الاطفال عند العرب (مصدر سابق) ص ١٦١.
- ٣٦ - قائمة مؤلفات الرازي المترجمة الى اللاتينية اعتباراً (٦ - ١٤) نقلها عن كتاب الرازي للدكتور فرات فائق خطاب، ص ١٥٣ - ١٥٥.
- ٣٧ - مايرهوف، العلم والطب ص ٥٠١.
- ٣٨ - خطاب، فرات فائق - الكحالة عند العرب ص ٢٨ - ٢٩.
- ٣٩ - مايرهوف: تراث الاسلام - ص ٤٧٥ (مصدر سابق).
- ٤٠ - الدوميلي: ص ٤٥٠.
- ٤١ - اوجزنا هذه الفقرة عن مقدمة الدكتور عبد الحميد صبرة لكتاب المناظر لابن الهيثم ص ٤٦ - ٤٧.
- ٤٢ - الملوجي، الطب العراقي ص ٥٣٢ (مصدر سابق).
- ٤٣ - خطاب، د. فرات فائق: الكحالة عند العرب، منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية، ١٨٧٥ ص ٢٨.
- ٤٤ - مايرهوف: تراث الاسلام - ص ٤٧٦ (مصدر سابق).
- ٤٥ - محمد، د. محمود الحاج قاسم - الطب عند العرب تاريخ ومساهمات (مصدر سابق) ص ٢٠٩.
- ٤٦ - الملوجي: الطب العراقي، ص ٥٣٢ (مصدر سابق).
- ٤٧ - الملوجي: المصدر نفسه، ص ٥٢٣.
- ٤٨ - البغدادي، عبد اللطيف: الافانة والاعتبار - تحقيق د. علي محسن عيسى، دار الحكمة للنشر والترجمة، بغداد ١٩٨٧، ص ٣٢ - ٣٣.
- ٤٩ - سيوكين، د. فؤاد: محاضرات في تاريخ العلوم - ص ٨٦.

- ١ - سيوكين، الدكتور فؤاد: محاضرات في تاريخ العلوم - الرياض ١٩٧٩، ص ٢١.
- ٢ - جيرارد الكريموني، ويسمى الطليطلي كذلك (١١١٤ - ١١٨٧ م) قدم من ايطاليا واستوطن اسبانيا. وهو اشهر المترجمين من العربية الى اللاتينية، حتى ينسب اليه ترجمة ما يقرب من مائة كتاب.
- ٣ - الاهواني، احمد فؤاد: الكندي فيلسوف العرب - سلسلة اعلام العرب^(١)، مطبعة مصر، ص ٢٣١.
- ٤ - المصدر نفسه: ص ٢٣٦ نقلًا عن Paris, 1948 pp. 85 - 112 Leon Gaethier: Ibn Roched.
- ٥ - المصدر نفسه: ص ٢٤٦.
- ٦ - بروكلمان، كارل: تاريخ الادب العربي - نقله الى العربية د. يعقوب بكر، د. رمضان عبد التواب، دار المعارف، الطبعة الثانية، ج ٤، ص ٢٦٥ - ٢٦٦. الملوجي، عبد الحميد: مطبعة اسعد، بغداد ١٩٦٧، ص ٥٣٥.
- ٧ - خطاب، الدكتور فرات فائق: الكحالة عند العرب - وزارة الاعلام العراقية، ١٩٧٥، ص ٢٥.
- ٨ - قسطنطين الافريقي (١٠٢٠ - ١٠٨٧ م): ولد في تونس انتقل الى ايطاليا. يأخذ البعض عليه عدم نزاهته حيث كان ينقل من الكتب العربية وينسبها الى نفسه.
- ٩ - نيميتريوس: يوناني من اهاني صقلية.
- ١٠ - ابن اسحاق، حنين: العشر مقالات في العين - ماكس مايرهوف، القاهرة ١٩٢٨، ص ٧.
- ١١ - الدوميلي: العلم عند العرب - ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف، القاهرة ١٩٦٢، ص ١٤١.
- ١٢ - الصامرائي، الدكتور كمال: مختصر تاريخ الطب - دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٠، ج ١، ص ٤٤٣.
- ١٣ - «رولفينو» باحث من مدينة السندريا في ايطاليا، عاش في مرسية باسبانيا «مايرهوف، ماكس: تراث الاسلام، ترجمة جرجيس فتح الله، دار الطبعة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٥٣٣.
- ١٤ - بروكلمان: تاريخ الادب العربي - ج ٤، ص ١٠٥.
- ١٥ - المصدر نفسه: ج ٤، ص ١٠٨.
- ١٦ - الصامرائي، عامر رشيد / الملوجي، عبد الحميد: آثار حنين بن اسحاق - دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٤، ص ١٦٠.
- ١٧ - الدوميلي: ص ٤٥.
- ١٨ - الصامرائي، د. كمال: مختصر تاريخ الطب - ج ١، ص ٤٥٣ (مصدر سابق).
- ١٩ - المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٣٠.
- ٢٠ - الملوجي، عبد الحميد: الطب العراقي - مطبعة اسعد، بغداد ١٩٦٧، ص ٥٢١.
- ٢١ - الصامرائي: مختصر تاريخ الطب - ج ١، ص ٤٦٠ (مصدر سابق).
- ٢٢ - مايرهوف: تراث الاسلام - ص ٤٩٦ (مصدر سابق).
- ٢٣ - لولمان، مانفريد: الطب الاسلامي: ترجمة الدكتور يوسف الكيلاني،

(زيد بن عمرو بن نفيل)

حياته وما تبقى من شعره

أ.د. ايهم عباس القيسي
كلية الآداب - جامعة بغداد

منذ أن خلق الانسان ، وهو يخاف مظاهر القوة في الطبيعة ، لايمانه بمدى قدرتها على التأثير فيه . فكان يرى في كل حركة ، او ظاهرة طبيعية قوة تسيرها ؛ ولهذا كانت تصرفاته نحوها تأخذ شكل الخوف طوراً ، وشكل الطاعة والخضوع اطواراً اخرى .

فكانت اصوات الظواهر الطبيعية المنبعثة من الرياح والرعود ، وما تحدثه من اصوات واصداء ، تنثر في نفسه هواجس الخوف والتردد ، فكان يلجأ الى التقرب منها تارة ، وقد يتحول هذا الخوف منها الى نوع من التقديس والمُعظيم تارة اخرى . وقد يتطور هذا التقديس او الخضوع لتلك الظواهر بمرور الزمن الى شعائر تعارس من خلالها طقوس ومراسيم معينة .

وقد اسبغ الله تعالى على الانسان نعماً وفيرة ، وخصه بافضال سابقة ، فوهبه العقل الراجح والذهن المتقد ليذكر الخير والشر . غير ان العقل البشري لا يقوى بمفرده على ادراك الامور العظيمة التي يعجز الانسان عن ادراكها الا عن طريق الوحي ، الذي لولاه لما استطاع العقل البشري الوصول اليها . فاقتضت حكمة الله تعالى ان يبعث الانبياء والرسل ليوضحوا للبشر طريق الحق والهداية .

فكان التوحيد جذراً يضرب في اعماق هذه الارض ، ويفوص في ضمير انسانها ، وكانت الحنيفية عقيدة العرب منذ ان حمل ابراهيم الخليل (ع) رسالة ربه الى البشر قال تعالى (ملة ابيكم ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)^(١) .

غير ان تطاول الزمن عليهم وابتنعاهم عن خط الشروع الاول الذي ابتدأه ابراهيم الخليل (ع) ، جعلهم ينحرفون عن خط التوحيد ، وكان كل ما بقي من طقوسها ما يؤكد عبادة الله وتاكيد وحدانيته ، والايمان بان الله هو الرازق ، المحيي المميت الغالب على امره ، وفي ذلك يقول الله عز وجل (ولئن سألتهم من خلق

وكانت السماء دائماً وعلى فترات قد تطول وقد تقصر ، تمد يدها الى البشرية من خلال نبوة نبي او رسالة رسول لتصحيح مسار البشرية بعد انحرافه عن مسلك التوحيد ، الذي كان يمثل سمة واضحة وركناً اساسياً من الاركان التي قامت عليها الرسالات ، فكانت معظم جهود الانبياء والمرسلين تنصب في تأكيد عقيدة التوحيد وترسيخ وحدانية الله تعالى واثبات قدرته . وكانت الارض العربية ميداناً كريماً ومهداً طاهراً تشرف باستقبال رسل الله ، وتطمطر باريج قيم السماء ، وهي تلهج بنكر الله تعالى وتسبح باسمه .

السموات والارض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ، فاني يؤفكون (١) .

لقد اكدت كل الدلائل ان ديانة التوحيد كانت اصيلة في الجزيرة العربية ، اما عبادة الاصنام فهي طارئة حملت اليهم من خارجها ، ومما يروى في هذا السياق (ان عمراً بن لُحي من خزاعة ، كان قد ساد قومه بمكة واستولى على امر البيت ، ثم سار الى مدينة (البلقاء) من عمل دمشق من ارض الشام ، فرأى قوماً يعبدون الاصنام ، فسألهم عنها ، فقالوا : هذه ارباب نتخذها ، نستنصر بها فللتنصر ، ونستسقي بها فنسقي ، وكل ما نسالهم نعطى ، فطلب منهم صنماً يدعوونه فُبل ، فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ، ومعه إساف ونائلة ، ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ، ففعلوا ذلك) (٢)

فترسخت هذه المعتقدات في نفوسهم ، على الرغم من ايمانهم بوجود الله ، فكانوا يشركون معه آلهة اخرى ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك على لسانهم ، فقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) (٣) وتقدم لنا الاخبار والاشعار التي وصلت الينا مجموعة من المعتقدات التي سادت التفكير العربي قبل الاسلام ، ويغلب عليها الجانب التوحيدي المتمثل في جملة امور منها ، الاخبار التي تروى عن اولئك الموحدين الذين انطبعت فكرة عبادة الاله الواحد في تفكيرهم ، وهم يتدبرون ما خلق الله تعالى ، فكانوا يسخرون من الاصنام وعبادتها ، ويترفعون عن تقديسها وينتهجون طريق التوحيد ، والمصادر التي بين ايدينا تذكر لنا مجموعة من اولئك الموحدين .

وقد روى ابن هشام (ان قريشاً اجتمعت يوماً في عيد لهم عند صنم من اصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً ، فخلص منهم اربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض ، قالوا - اجل - وهم ورقة بن نوفل وعبيد الله ابن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل : فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء الا لقد اخطاوا دين ابيهم ابراهيم ! ما خجر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لانفسكم (ديناً) ، فإنكم والله ما انتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين ابراهيم) (٤) .

وتحدثنا الاخبار عن مجموعة اخرى من اولئك الموحدين (٥) ، الذين انتشروا في ارجاء الجزيرة ، وكانوا يمثلون اتجاهاً واضحاً اسهم في نشر التوحيد ان الوقوف عند حياة اولئك الموحدين من الشعراء ، واستجلاء كوامن عقيدتهم من خلال الاخبار والاشعار المتناثرة في بطون المصادر والمظان الادبية والتاريخية يسهم في الكشف عن حقيقة التوحيد في المجتمع العربي قبل الاسلام ، ويوسع من دائرة الاعتقاد بالله والايمان بقدرته ، ويلقي اضواء جديدة على طبيعة التفكير الذي ساد العقل العربي قبل الاسلام . ويفصح عن

جوهر المعتقدات التي آمن بها العرب قبل الاسلام ، والتي عبر عنها هؤلاء الشعراء من خلال شعرهم الذي اتخذوه وسيلة يعبرون بها عن معتقداتهم واذكارهم .

ويبرز اسم زيد بن عمرو بن نفيل في جميع الاخبار والروايات التي تتحدث عن اولئك الموحدين ، حيث عرف بايمانه العميق وتامله الصائق خطا قومه ، حينما انحرفوا عن دين ابراهيم الخليل (ع) ، وراح بفكره الثاقب وبصيرته الواعية يبحث عن الدين الحق ، فاهتدى الى الحنيفية التي تلمس بها طريق الايمان والهداية .

وتضن علينا المصادر والمظان التي بين ايدينا بالروايات والاخبار التي يمكن ان تساعدنا في تكوين صورة واضحة لشخصية زيد ، وتلقي بعض الضوء على نشأته وتكوينه . اذ ان معظم الروايات التي بين ايدينا لا تقدم لنا سوى اشارات موجزة ولمحات خاطفة ، عن شخصيته ومسيرة حياته وما نظمه من شعر في توضيح عقيدته .

فهو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد المزئي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب (٦) . واهمه جيداء بنت خالد بن جابر ابي حبيب بن نهم . وكانت جيداء عند نفيل بن المزى ، فولدت له الخطاب ابا عمر بن الخطاب وعبد نهم ، ثم مات نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيدا ، وكان هذا نكاحاً ينكحه اهل الجاهلية (٨) ، وهو مباح عندهم ، ولم يكن من الحرمات التي كانوا ينتهكونها .

وزوجه هي ام سميد فاطمة بنت بعجة بن خلف الخزاعية ، وكانت من السابقين الى الاسلام (٩) . ويذكر ابن اسحاق زوجة اخرى له تدعى صفية بنت الحضرمي ، وكانت كلما رآته قد تهيا للخروج واراناه أدنت به الخطاب بن نفيل عمه ، وكان يعاقبه على فراق دين قومه (١٠) .

وابنه سميد بن زيد وهو احد العشرة المبشرة بالجنة وكنيته ابو الاعور (١١) . وقد اقطعه الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رض) ارضاً بالكوفة فنزلها وسكنها الى ان مات ، وسكنها من بعده ابناؤه الاسود بن سميد ، وعبد الرحمن وزيد (١٢) .

وتحدثنا الاخبار عن بنت له تدعى عاتكة بنت زيد وكانت تحت عمر بن الخطاب (رض) (١٣) . ولا تعدنا مصادرنا التاريخية بمعلومات وافية عن نشأته سوى اشارات موجزة . ومنها ولعه بالحكمة ، وتحريمه على نفسه الخمر والزنى واكل ما يذبح على الاصنام ، ومجاهرته بعداء الاوثان ، وكان يتحنف بحراء فراراً من سفهاء مكة (١٤) ، ويكره وأد البنات ولا يعلم ببنت يراد وأنها الا قصد اباها وكفاه مؤولتها ، فيربيهما حتى اذا ترعرعت عرضها على ابيها فان لم يأخذها بحث لها عن كفء فزوجها به (١٥) .

وتذكر الاخبار ترعوسه بني عدي في حرب الفجار الاول (١٦) ، وانه كان على بني عدي في يوم شمطة وكان بين قريش وهوازن ، فالتقوا بشمطة في اول النهار ، وكانت على هوازن ، فصبروا ثم استمر القتل في قريش ، وانهزم الناس ، ويقال ان النبي (ص) حضر هذا اليوم مع عمومته يحفظ عليهم ويناولهم الذيل (١٧) .

وتذكر الاخبار ايضاً ان زيدا التمس دين ابراهيم (ع) ولكنه لم يقتصر ، ولم يتهود ، واعتزل الاوثان ، والميتة والدم ونهى عن المومودة^(١٨) .

غير ان هذا الطريق الذي انتهجه زيد لم يرق لعمه الخطاب ابن نفيل الذي اخرج به الى اعلى مكة ، ووكل به شاباً من شباب قريش وسفائهم وقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة . فكان لا يدخلها بالاسرأ منهم ، فاذا علموا بذلك آذلوا به الخطاب ، فاخرجوه وآذوه ، مخافة ان يفسد عليهم دينهم وان يتابعه احد منهم على فراقه .

وكان زيد اجمع الخروج من مكة ليضرب في الارض يطلب الحنيفية دين ابراهيم ، فكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما رآته قد تهيأ للخروج او اراده ، أذنت به الخطاب بن نفيل ليرده عن ذلك . ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والاحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم اقبل فجال الشام كلها ، حتى انتهى الى راهب بميمنة من ارض البلقاء ، كان ينتهي اليه علم النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم ، فقال : انك لتطلب ديناً ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد اظلك زمان يخرج في بلادك التي خرجت منها لبي يبعث بدين ابراهيم الحنيفية ، فالحق به فإنه مبعوث الان ، هذا زمانه^(١٩) .

وكان زيد قد شام اليهودية والنصرانية فلم يرض منهما شيئاً ، وتوثقت بينه وبين ورقة بن نوفل صداقة حميمة ، حملت ورقة بن نوفل على بكائه بعد وفاته ، فقال :

رَبِّسْتُ وَأَنْعَمْتُ ابْنَ عَمْسِرٍ وَإِنَّمَا تَجَلْبَبْتُ تَكْشُوراً مِنَ النَّارِ حَامِياً^(٢٠)

وتذكر الاخبار ان زيدا بعد ان فارق دين قومه ، خرج ملتمساً دين ابراهيم (ع) ، فجال بلاد الشام والتقى بعض رهبانها ، فلصحوه بالعودة الى مكة ، حتى اذا توسط بلاد لخم غنوا عليه فقتلوه^(٢١) . وكان مقتل زيد بن عمرو قبل المبعث بنحو خمس سنين^(٢٢) .

وتشير الروايات الى ان النبي (ص) قد رآه قبل مبعثه^(٢٣) . وان الرسول (ص) كان يترحم عليه ، ويقول فيه قد رأيته في الجنة يسحب نبيلاً^(٢٤) . وعن سعيد بن زيد قال : انه قال للنبي (ص) ان ابي كان كما رأيته ، وكما بلك فاستغفر له . قال نعم ، فإنه يبعث يوم القيامة امة وحده^(٢٥) .

ويبدو ان زيدا قد اطلع على اصول الديانة النصرانية واليهودية ، ولكنه لم يؤمن بهما ، فخرج يسأل اهل العلم والرهبان ، حيث يروى خبر ذلك فيقول : (وقفت على راهب بالشام وهو في صومعته ، فذكرت له اغترابي عن قومي وكراحتي عبادة الاوثان ، واليهودية والنصرانية ، فقال لي : اراك تريد دين ابراهيم يا اخا اهل مكة ، انك لتطلب ديناً ما يؤخذ اليوم به ، وهو دين ابيك ابراهيم ، وكان حنيفاً لم يكن يهودياً ، ولا نصرانياً ، وكان يصلي ويسجد الى هذا البيت الذي ببلادك ، فالحق ببلادك ، فإن نبياً يبعث من قومك في بلادك يأتي بدين ابراهيم ، وهو اكرم

الخلق)^(٢٦) .

وتشير الاخبار الى ان زيدا كان من اوائل الموحدين الذين ادركوا بحسهم الصائق وايمانهم الراسخ انحراف الناس عن خط التوحيد ، فراحوا يتلمسون طريق الحنيفية . ومما يروى عن اسماء بنت ابي بكر (رض) ، انها قالت : (لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره الى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش : والذي نفس زيد بن عمرو بيده ، ما اصبح منكم احد على دين ابراهيم غيبي ، ثم يقول : اللهم لو اني اعلم اي الوجوه احب اليك عبدتك به ، ولكني لا اعلمه ثم يسجد على راحلته)^(٢٧) .

وكان يعيب على قريش عبادتها الاوثان ، ويقول : (يا معشر قريش ، ايّرسل الله قطر السماء ، ينبت بقل الارض ويخلق السائمة فتزعى فيه فتذبوحها لغيره)^(٢٨)

وتشير معظم الاخبار والروايات التي وصلت اليها الى ان زيدا قد توفي قبل مبعث الرسول (ص) بسنوات عديدة ، فهو لم يدرك الاسلام وقد وهم الدكتور شوقي ضيف حين ظن انه اسلم ، وكان من الصحابة الاولين المتقدمين^(٢٩) . واغلب الظن ان هذا الرأي الذي ذهب اليه الدكتور شوقي ضيف جاء نتيجة الوهم الذي وقع فيه حين خلط بينه وبين ابنه سعيد الذي كان من اوائل المسلمين ، وقد تزوج فاطمة بنت الخطاب اخت الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) ، وكان من العشرة المبشرين بالجنة .

ان ما يمكن قوله في عقيدة زيد انه من الموحدين الذين ابتعدوا عن عبادة الاوثان ، وحرم على نفسه مثل غيره من الموحدين الخمر والزنى ، وسعى في طلب التوحيد دين ابراهيم ، ولم يكتف بما اهتدى اليه بعقله ، بل سأل اهل الذكر والعلم . ولم يكن زيد بن عمرو بن نفيل او فر حظاً من سابقه في ضياع مجموعة غير قليلة من اخباره واشعاره . ولعل اتجاه زيد وما عرف عنه من اهتمام بامور التوحيد واستغراقه في تأمل الكون ، وعدم بروزه شاعراً الا في غرض واحد ، لعله يخدم الفكرة والمبدأ الذي انقطع اليه وهو التوحيد ، يدعم ذلك ان معظم المصائر التي بين ايدينا لم تشر الى شاعريته او وجود ديوان خاص به ، سوى الاشارات التي ترد هنا وهناك الى بعض نماذج شعره ، والتي اعتمدها المؤرخون والاعخباريون واصحاب السير والمغازي في توثيق الاحداث التاريخية وتوضيح حقيقة الديانة التوحيدية .

وقد اشار الاستاذ فؤاد سركين الى ان مجموع شعر زيد لا يتعدى الاربعين بيتاً^(٣٠) . في حين بلغ ما وجدته من شعره ستة وستين بيتاً .

وتجابه الباحث في شعر زيد ظاهرة اختلاط شعره بشعر غيره من الشعراء ولا سيما الذين عرفوا بميلهم الى التوحيد مثل ورقة ابن نوفل ، وامية بن ابي الصلت ، وغيرهما من الذين لجمعهم احساس واحد بوحداية الله تعالى ، ويربطهم شعور صائغ بمفهوم قدرته .

ويمثل التوحيد السمة الاساسية التي ينطبع بها شعر زيد ،

فقد ألمه ما وصل اليه حال الناس من الشرك والضلالة ، وحاول جاهداً بشعره ان يوضح الحقيقة الناصحة ، وان يكشف حالة الضلالة والشرك التي انصاق اليها الناس ، وان يحذرهم من عاقبة ما يفعلونه .

لقد حاول زيد ان يلتصق طريق الحنيفية بطريقته ، وتمنى ان يشهد مبعث النبي (ص) ، هو واصحابه من الموحدين الذين كانوا يجمعهم احساس صائق بسمو الفاية التي سخروا حياتهم من اجلها ، فراحوا يبحثون ، ويسألون عن طريق الحق ، رافضين عبادة الاوثان ، ذاكرون فضل الله وعظيم نعمائه على البشر . وزيد الذي سخر شعره للبحث عن طريق الهداية جاء شعره مرداناً بهذه الحقيقة ، فتمثلت مبادئ التوحيد اتجاهاً واضحاً في شعر زيد ، استعان به في رسم ابياته وقوافيه . فهو يسبح لله^(٢١) ، ولا يعبد الهاً غير الله تعالى ، ويتقيه لانه هو الذي يغني^(٢٢) . ويتمجب من المشركين الذين يشركون مع الله الهاً آخر ، ويسخر من اللات والعزى ومن الذين يعبدها^(٢٣) . ويؤكد عبادته الرحمن ليفغر له ذنبه^(٢٤) . ويسلم وجهه لمن اسلمت له الارض وجهها^(٢٥) .

ويكاد يمثل الاتجاه التوحيدي الاتجاه الاساسي في شعر زيد الذي بين ايدينا ، ويغلب عليه طابع النظم التقريري ، الذي يفتقد الى الخيال المتدفق والروح الشعرية الاخانة ، ولا يلتقي مع الشعر الا من خلال وزنه وقوافيه . فهو شعر ينطبع بمسحة دينية . فالشاعر اراد من خلال شعره ان يقرر جملة حقائق ابركها بمقله وطول بحثه ، وهي على العموم نماذج يغلب عليها طابع المباشرة في التناول ، والسهولة في التعبير والبساطة في النظم . وقد استخدم زيد في شعره اوزان الطويل والبسيط والكامل والوافر والمقارب والرجز ، وهي عموماً اوزان تتميز بمقاطعها المتعددة وافتتاحها لاستيعاب الافكار المتعددة .

ان محاولة جمع ما تناثر من اخبار زيد بن عمرو بن نفيل واشعاره ، تعييننا في توضيح آفاق الحياة الدينية التي عاشها العرب قبل الاسلام ، وتفصح عن حقيقة الاتجاه التوحيدي الذي جسده اولئك الموحدون ، وهم يسجلون بشعرهم صورة الايمان الراسخ بالله ، الذي ابركوه بنظيرتهم النقية وبصيرتهم النافذة . وفي الوقت نفسه تسهم في القاء الضوء على ما انطمس من اخبار اولئك الصفوة واشعارهم .

وهم بلا شك كانوا يمثلون قاعدة غير قليلة مهتد السبيل لتقبل الحدث العظيم الذي اضاء جوانب الجزيرة فتورها ، وبدد مجاهل الظلمة في ربوعها فاضاءها ، فكان الاسلام دين الحق والهداية والرحمة .

(شعره)

[١]

قال زيد بن عمرو بن نفيل (البسيط)

١ - نُسَبِّحُ اللهَ تَسْبِيحاً نَجْوً بِهِ

وَقَبَّلْنَا سَبَّحَ الْجُودِي وَالْجُمْدُ

- ٢ - لَقَدْ نَضَحْتُ لَأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ
أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَنْفِرُكُمْ أَحَدٌ^(١)
- ٣ - لَا تَعْبُدُنَّ الهَاً غَيْرَ خَالِقِكُمْ
فَإِنْ نَعَوْكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا خَدَدٌ^(٢)
- ٤ - سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَاناً يَوْمَ لَهُ
وَقَبَّلْنَا سَبَّحَ الْجُودِي وَالْجُمْدُ^(٣)
- ٥ - مُسَخَّرُ كُلِّمَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ
لَا يَدْبِسِي أَنْ يُنَاوِي مُلْكَهُ أَحَدٌ^(٤)
- ٦ - لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ
يَبْقَى الْإِلَهَ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ^(٥)
- ٧ - لَمْ تَقْنِ عَنْ هُزْمِ يَوْمِ خَزَائِنُهُ
وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادَ فَمَا خَلُّوا
- ٨ - وَلَا سَلِيمَانَ إِذْ تَجَرَّى الرِّيحُ بِهِ
وَالْأَنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا بَيْنَنَا تَرْدُ
- ٩ - أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ لِعَزَّتِهَا
مَنْ كُلِّ أَوْبِ إِلَيْهَا وَافِدُ يَفْدُ
- ١٠ - حَوْضُ هُنَالِكَ مَوْبُودٌ بَلَا كَذِبُ
لَا بُدَّ مِنْ وَزْنِهِ يَوْمَ كَمَا وَزَّلُوا

[٢]

قال زيد بن عمرو بن نفيل (البسيط)

- ١ - أَنْظُرْ إِذَا مَا نَظَرْتَ اللهَ فَاتَّقِهِ^(١)
وَعَفِّهِ إِنَّ خَيْرَ الْكُشْبِ مَا طَهَّرَا
- ٢ - يَنْمِي الْقَلِيلُ إِذَا مَا كَانَ فَضْلُ تَقَى
إِنَّ الْخَبِيثَ الَّذِي يَغْفَى وَإِنْ كَثُرَا

[٣]

(الوافر)
وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم في ذلك :

- ١ - أَرْثَاً وَاحِداً أُمَ أَلْفِ رَبِّ
أَدِينُ إِذَا تَقَشَّمَتِ الْأُمُورُ
- ٢ - عَزَلْتُ السَّلَاتِ وَالْعُرَى جَمِيعاً
كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصُّبُورُ
- ٣ - فَلَا الْعُرَى أَدِينُ وَلَا ابْتَنَّتِيهَا
وَلَا ضَنْقَنِي بَنِي عَمْرٍو أُرُورُ
- ٤ - وَلَا هُبْلَا أَدِينُ وَكَانَ رِثَاً
لَنَا فِي النَّهْرِ إِذْ جَلَمِي يَسِيرُ^(٢)
- ٥ - عَجِبْتُ وَفِي اللَّيَالِي مُعْجِبَاتُ
وَفِي الْأَيَّامِ يَفْرِفُهَا الْبَصِيرُ
- ٦ - بَانَ اللهُ قَدْ أَفْنَى رَجَالاً
كَثِيراً كَانَ شَانَهُمُ الْفُجُورُ
- ٧ - وَأَبْقَى آخِرِينَ بِبُرِّ قَوْمٍ
فَيَزِيلُ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصُّغِيرُ^(٣)

- ٨ - وَبَلَدَا الْمَرْءَ يَفْتَرُ ثَابَ يَوْمًا
كما يَتَرَوَّخُ الْفَضَنُ الصَّطِيرُ
٩ - وَلَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي
لِيُغْفِرَ ذُنُوبِي الرَّبُّ الْغَفُورُ
١٠ - فَتَقْوَى اللَّهَ وَتُكْمَ احْفَظُوهَا^(١)
مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا لَا تَبُورُوا^(٢)
١١ - تَرَى الْإِبْرَارَ دَارَهُمْ جَنَّاتٍ
وَالْكَفَّارَ حَامِيَةً سَمِيرُ
١٢ - وَخِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا
يُلَاقُوا مَا تُضِيقُ بِهِ الْمُنُورُ

[٤]

- (الخفيف)
١ - تِلْكَ عَرَسَايَ تَنْطَقَانِ بِهِجْرٍ
وَيَقُولَانِ قَوْلَ أَمْرٍ وَعَثَرٍ
٢ - تَسْلَانِ الطَّلَاقُ أَنْ زَاتَانِي
قُلٌّ مَالِي قَدْ جِئْتَانِي بِكُفْرٍ^(١)
٣ - فَلَمَلِي أَنْ يَكْتَرِ الْمَالُ عِنْدِي
وَيَخْلِي مِنَ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي
٤ - وَيَ كَأَنَّ مِنْ يَكُنْ لَهُ نَضْبٌ يُخْ
سَبَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَمُشْ عَيْشَ حُرٍّ^(٢)

[٥]

(المتقارب)

يقال زيد

- ١ - وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا يَقَالُ
٢ - نَحَامَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ
عَلَى الْمَاءِ أَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالُ
٣ - وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
لَهُ الْمُنَزُّ تَحْمِلُ عَذْبًا وَلَا^(١)
٤ - إِذَا هِيَ سَبَقَتْ إِلَى بَلَدٍ
أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالًا^(٢)

[٦]

(الرجز)

قال زيد

- ١ - عُنْتُ بِمَا عَازَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ
٢ - مُسْتَقْبِلُ الْكَفْبَةِ وَهُوَ قَائِمٌ
٣ - يَقُولُ أَنْفِي لَكَ عَانٍ رَاغِمٌ
٤ - مَهْمَا تَجَسَّمَنِي فَإِنِّي جَاهِلٌ^(١)

[٧]

(الرجز)

- قال زيد بن عمرو بن نفيل
١ - لَا هُمْ إِنِّي خَزَمٌ لَا جِلَّةَ
٢ - وَإِنْ بَنَيْتِي أَوْسَطَ الْمَجْلَسِ
٣ - عِنْدَ الصُّفَا لَيْسَتْ بِهَا مَضَلَّةَ

[٨]

وكان الخطاب عمه قد وكل صفية بنت الحضرمي وهي امرأته . وقال : اذا رأيته قد هَمَّ بأمر فأندبني به . فقال زيد (مجزوء الكامل)

- ١ - لَا تُخْبِسْنِي فِي الْهَمِّ
نَ صَفِي مَا ذَابِي وَدَائِي^(١)
٢ - إِنِّي إِذَا خَفْتُ الْهَمَّ
نَ مُشِيْعٌ نَلُّ رِجَائِي^(٢)
٣ - نَغْمُؤُصْ أَبْوَابُ الْفُلُ
كَ وَجَائِبُ الْخُرْقِ نَابِي^(٣)
٤ - قَطَاعُ أَشْبَابٍ تَزِي
لَ بِغَيْرِ أَقْرَانٍ صَمَائِي^(٤)
٥ - وَإِنَّمَا أَخَذَ الْهَمُّ
نَ الْغَيْرُ إِذْ يُوهِي إِفَائِي^(٥)
٦ - وَيَقْسُوْلُ إِنِّي لَا أُنَلُ
بُضْكَ جُنْبَيْنِي ضَلَائِي^(٦)
٧ - وَأَخِي ابْنُ أُمِّي تَمَّ عَمُّ
ي لَا يُؤَاوِيْنِي خُطْبَائِي^(٧)
٨ - وَإِذَا يُعَسَايِنِي بِشُو
و قَلْتُ أَعْيَانِي جَوَائِي^(٨)
٩ - وَلَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ مَسَا
عِنْدِي مَقَاتِلُهُ وَتَائِي^(٩)

[٩]

(الطويل)

- وقال زيد بن عمرو بن نفيل :
١ - إِلَى اللَّهِ أَهْدِي مِنْحَتِي وَثَنَائِيَا
وَقَوْلًا رَصِينًا لَا يَبِي الثُّهْرَ بَاقِيَا^(١)
٢ - إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مَسْدَانِيَا^(٢)
٣ - إِلَّا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالْوَدَى
هَلْ تُنْكَ لَا تُخْفِي مِنَ اللَّهِ خَافِيَا^(٣)
٤ - وَإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ
فَسَلِّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا
٥ - حَنَانِيكَ إِنْ الْجَنِّ كَانَتْ رِجَامُهُمْ
وَأَنْتَ إِلَهِي رَبَّنَا وَرَجْسَانِيَا^(٤)
٦ - رَضِيْتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أَرَى
أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا^(٥)

- ٧ - أدينُّ لربِّ يُشْتَجَابُ ولا اري
أدينُّ لمن لم يسمع الدهر داعياً
- ٨ - وانت الذي من فضل من ورحمة
بغثت الى موسى رسولا مُنادياً
- ٩ - فقلت له : يا اذهب وهارون فاذعوا
الى الله فيزعون الذي كان طاغياً^(٢٩)
- ١٠ - وقولا له : أنت سويك هذه
بلا وتبد حتى اطمأنت كما هياً^(٣٠)
- ١١ - وقولا له : أنت رفعت هذه
بلاغفد ارفق إذا بك بانيا^(٣١)
- ١٢ - وقولا له : أنت سويك وشطها
مُندراً إذا ما جئته الليل هادياً
- ١٣ - وقولا له : من يرسل الشمس غدوة
فيصبح ما مشك من الارض ضاحياً
- ١٤ - وقولا له : من يُثبت الحب في الثرى
فيصبح منه البقل يهتر زابياً^(٣٢)
- ١٥ - ويخرج منه خبء في رعوته
وفي ذاك آيات لمن كان واعياً
- ١٦ - وانت بفضل منك نجيت يونساً
وقد بات في اضماف حوت ليالياً
- ١٧ - وأتي ولو شئت باسمك رثنا
لا كبر، الا ما غفرت، خطائياً^(٣٣)
- ١٨ - فرب العباد الى شيئاً ورخمة
علي وبارك في بني ومالياً^(٣٤)

[١٠]

(الطويل)

وقال زيد

- ١ - رشدت وأنعمت ابن غمرو وألما
تجئبت تئوراً من النار حامياً^(٣٥)
- ٢ - بسديك رثا ليس رب كملكه
وتركك اوشان الطواغي كما هيا

(التخريجات)

[١]

- الابيات (١ - ١٠) في معجم البلدان ٢ / ١١٦ ،
ونسبت لورقة بن نوفل شعره / مجلة المورد / ع ٢ - لسنة
١٩٨٨ / ١٧٥ .
- والبيت الثالث في اللسان (مادة حدد) ، ورواية الشطر
الثاني منه وإن تُعَيِّتُمْ فقولوا : بونه
- والرابع في الجامع لاحكام القرآن ٩ / ٤٢ ، وفي البجر

المحيط ٥ / ٢٢٥ ، ونسب ايضاً الى أمية بن ابي الصلت : أمية
ابن ابي الصلت / ٢٢٢ ، ورواية الشطر الاول منه : شبحانه ثم
شبحاناً يعود له .. ، والشطر الثاني منه في مجاز القرآن ١ /
٢٩٠

[٢]

البيتان في حماسة البحتري / ٣٦٩

[٣]

- الابيات (١ - ١٢) في السيرة النبوية ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ ،
وفي الاكتفاء ١ / ٢٥٣ - ٢٥٤
- ورواية البيت الرابع : ولا غنماً ادين ..
- ورواية البيت الثامن : وبيننا المرة يفترباب ..
- والابيات (٢ - ١٢) في شعراء النصرانية ٤ / ٦٢١
- ورواية الثاني : عزلت الجن والجنان غني
- ورواية الشطر الثاني من البيت الثالث : ولا صممي بني طشم ادين
- ورواية الرابع : ولا غنماً ادين
- ورواية السادس : الم تعلم بان الله افنى
- ورواية الشطر الثاني من السابع : فيريو منهم
- والابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) في
معجم البلدان ٤ / ٣٢٨
- ورواية الرابع : ولا غنماً ادين
- ورواية الخامس : وفي الليالي مُفجزات
- والابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨) في الاغاني ٣ /
١١٨ - ١١٩
- ورواية الثاني ، عزلت الجن والجنان غني
- ورواية الثالث : ولا صممي بني غنم ..
- ورواية السادس : الم تعلم بان الله افنى
- ورواية السابع : فيريو منهم ..
- ورواية الثامن : وبيننا المرة يفترباب .. كما يترؤخ الفصن النضير
- والابيات (٢ ، ٣ ، ٤) في الاصنام ٢١ - ٢٢
- ورواية الثاني : تركت اللات ..
- ورواية الثالث : ولا صممي بني غنم ..
- ورواية الرابع : ولا هُبلاً أرو ..

[٤]

- الابيات (١ - ٤) في الحماسة البصرية ٢ / ١١
- والابيات (١ ، ٢ ، ٤) في كتاب سيبويه ٢ / ١٥٥
- ورواية الاول : تنطلقان على العمدة الى اليوم قول زور وهتر
- ورواية الثاني : سالتاني ..

والبيت الرابع في اللسان مادة (ويا)

[٥]

الابيات (١ - ٤) في السيرة النبوية ١ / ٢٣١

[٦]

- البيتان في السيرة النبوية ١ / ٢٣٠ ، وفي الاغاني ٣ / ١١٨ ،
- وفي بلوغ الارب ٢ / ٢٥١ ورواية الاول : عذت بمن .. ورواية
الثاني اني لك اللهم .. وفي شعراء النصرانية ٤ / ٦١٩

[٧]

البيت في السيرة النبوية ٢٣١ / ١ ، وفي الاغانى ١١٨ / ٣ ،
رواية الشطر الثاني : وإن داري .. وفي شعراء النصرانية ٤ / ٦١٩

[٨]

الابيات (١ - ٩) في السيرة النبوية ٢٢٩ / ١ ، وفي شعراء
النصرانية ٤ / ٦٢٠ - ٦٢١ والبيتان (١ - ٢) في حماسة
البحترى / ٢٢ ، ورواية الاول : ولا تحسبني ..

[٩]

الابيات (١ - ١٨) في السيرة النبوية ٢٢٧ / ١ - ٢٢٩ ،
ونسبت الى امية بن ابي الصلت وفي البداية والنهاية ١ / ٣٦ ،
وفي الاكتفاء ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥
والابيات (١ ، ٢ ، ٩ ، ١١ - ١٦) في البدء والتاريخ / ١
٧٥ ، ٦٢
والابيات في (امية بن ابي الصلت) منسوبة له / ٣٦٨ -
٣٧١

[١٠]

البيتان في المعارف / ٥٩ ، ونسبا الى امية ؛ امية بن ابي
الصلت / ٣٧٢ ونسبا ايضا الى ورقة بن نوفل ؛ ورقة بن نوفل
حياته وشعره / ١٧٨

هوامش الدراسة

(١) البقرة / ١٣٥

(٢) المنكوت / ٦١

(٣) مروج الذهب ٢ / ٢٢٨ ، ولعب الازرقى الى ان جرحه عندما طفت في
الحرم ودخل رجل منهم بامرأة منهم الكعبة ففجر بها فمسخا حجرا ، اسم
الرجل اساف واسم المرأة نائلة ، ثم اخراجا من الكعبة فنصب احدهما على الصفا
والآخر على المعرة ، فلما كان عمرو بن لحي امر الناس بمباذمتها . اخبار مكة /
١١٧

(٤) الزمر / ٢

(٥) السيرة النبوية ١ / ٢٢٢ - ٢٢٣

(٦) من هؤلاء (قيس بن ساعدة وامية بن ابي الصلت وسويد بن عامر
المصطلق وعمر بن جندب الجهني ، وابو قيس صرمة بن ابي انس ، ولبيد بن
ربيعة العامري ، وهشيم بن ابي سلمى) .

(٧) الاغانى ٣ / ١١٧ ، ومعجم البلدان ٤ / ٢٢٨

(٨) الاغانى ٣ / ١١٧ ، وشعراء النصرانية ٤ / ٦١٩

(٩) السيرة النبوية ١ / ٢٥٣ ، والروض الانف ١ / ١٤٦

(١٠) السيرة النبوية ١ / ٢٢٩

(١١) السيرة النبوية ١ / ٢٥٣ ، محاضرة الابرار ١ / ٢٧

(١٢) السيرة النبوية ١ / ٢٥٣

(١٣) المصدر نفسه

(١٤) المنق / ٥٣٢

(١٥) خزائن الادب ٣ / ٩٩ ، بلوغ الارب ٣ / ٤٥

(١٦) المحبر / ١٧٠ ، الكامل في التاريخ ١ / ٥٩٣

(١٧) انساب الاشراف / ١٠٢

(١٨) المحبر / ١٧١

(١٩) الاكتفاء في مناقب رسول الله ١ / ٢٥٦

(٢٠) المصدر نفسه ١ / ٢٥٨

(٢١) المنق / ١٧٦

(٢٢) خزائن الادب ٣ / ٩٩

(٢٣) الاصابة ١ / ٥٦٩

(٢٤) المصدر نفسه

(٢٥) السيرة النبوية ١ / ٢٢٦ ، الاغانى ٣ / ١٢١ ، الاصابة ١ / ٥٦٩

(٢٦) السيرة النبوية ١ / ٢٣١ ، الطبقات الكبرى ١ / ١٦٢

(٢٧) السيرة النبوية ١ / ٢٢٥

(٢٨) الاغانى ٣ / ١١٧

(٢٩) تاريخ الادب العربي (المصدر الجامعي) / ٩٦

(٣٠) تاريخ التراث العربي ٢ / ٢٨٢

(٣١) تنظر القطعة رقم (١)

(٣٢) تنظر القطعة رقم (٢)

(٣٣) تنظر القطعة رقم (٣)

(٣٤) تنظر القطعة رقم (٣)

(٣٥) تنظر القطعة رقم (٥)

هوامش النص

(١) اللذير : المنذر والرسول

(٢) امر حدد : اي منيع حرام لا يحل ارتكابه

(٣) الجودي : جبل مظل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من بحيرة من
اعمال الموصل ، وهو الذي زعموا استوت عليه سفينة نوح (ع) .

الجمد : جبل بنجد

(٤) ناوأ الرجل : اذا ناهضه وفاخره وعاداه

(٥) بشاشته : اللقاء الجميل وطلاقة الوجه ، الفرح بالصاحب والانبساط اليه
والانس به ، وعني بها هنا ، حسن الشيء وجدته .

(٦) عث : كف وامتنع عما لا يحل او لا يجمل

(٧) هبل : كسر ، صلم كان لقريش في الكعبة يعبدونه

(٨) ربل القوم : اذا نموا وكثروا

(٩) عاد الى ما كان عليه من استقامة ، يتروح : يهتز ويخضر ، وينبت ورقه
بعد سقوطه

(١٠) لا تبهروا : لا تهلكوا

(١١) تسالان : يعني زوجتيه ، والنكر : المنكر

(١٢) وي : قال المفسرون فيها الم ثر ، وقال ثعلب بعضهم يقول معناه أغلَم ،
وبعضهم يقول وُثِّك .

(١٣) المزن : السحاب ؛ وقيل الابيض منها

(١٤) السجال : جمع سجل ، وهي الدلو المملوء ماء ، فاستعارها لكثرة المطر

(١٥) العاني : الاسير ، تجشمني : تكلفني ، الجاشم : الذي يتكلف الامر
ويتحمله على مشقة

(١٦) خزم : ساكن بالحرم ، والحلة : أهل الحل ، يقال للواحد والجمع حلة

(١٧) الدأب : العانة ، صلي : ترطيم صفة

(١٨) المُشَقُّ : الجريء الشجاع ، اللذل : السهلة قد ارتاضت وذلل البعير ؛
سهل انقياده

(١٩) الدعوص : نويبة تفوص في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذي
يكثر اللوج في الاشياء ، يريد ولا جافي ابواب الملوك ، وانه يكثر الدخول
عليهم .

جانب : قاطع ، الخرق : الغلاة الواسعة .

(٢٠) الاقران : جمع قرن وهو الحبل

(٢١) يوهي : يشق ، إهاب : جلد

(٢٢) اي يقول المعير لك بصبك جليبه ، اي صلاب ما يوضع عليه ، واضافها

الى المير لانها عبوه وحمله

(٢٢) لا يواتيني : لا يوافقتني

(٢٥) رشتت : اي اصبحت الرشدو الهدى ، انعمت : بالغت في الرشد يقول اصبحت الرشد ، وزدت حتى بلغت غايته ، والتنور : كانون يخبز فيه ، واراد به نار جهنم

(٢٤) الرصين : الثابت المحكم ، لايني : لا يفتر ولا يضمف (٢٥) المداني : القريب

(٢٦) الروى : الهلاك والموت

(٢٧) حنائيك : اي حنائاً بعد حنان ، ويجوز ان يريد حنائاً في الدنيا وحنائاً في الآخرة ، والحين : بالكسر (حي من الجن) منهم الكلاب السود البهم ، او سفلة الجن وضعفاؤهم او كلابهم ، او خلق بين (الجن والانس)

(٢٨) ادين الها : اي ادين لاله ، غيوك الله : يريد يا الله

(٢٩) يا نهب : على حذف المنادى ، كانه قال ، الا يا هذا انهب

(٣٠) سؤيت هذه : يريد الارض ، وأشار اليها للمعلم بها

(٣١) رفعت هذه : يريد السماء ، أرفق : فعل تعجب

(٣٢) رابياً : ظاهراً على وجه الشمس

(٣٣) يريد اني لاكثر من هذا الدعاء الذي هو : باسمك ربنا الا ما غفرت ، والتسبيح هنا : الصلاة ، اي لا اعتمد وان صليت الا على دعائك واستغفارك من خطاياي .

(٣٤) السيب : المطاء

(المصادر والمراجع)

- القرآن الكريم

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : الأزرقى : ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (٢٤٤) هـ ، تحقيق رشدي الصالح ملحق ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ط ٢ / ١٩٦٥

- الاساية في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني : ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (٨٥٢) هـ ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى - ١٣٢٨ هـ .

- الاصنام : ابن الكلبي : ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤) هـ ، تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٢٤ .

- الاغانى : الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦) هـ ، تحقيق عبد الستار احمد فراج - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٩٧٣ .

- الاكتفاء في مفازي رسول الله والثلاثة الخلفاء : الكلاعي : ابو الربيع سليمان بن موسى (٦٣٤) هـ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٦٨ .

- امية بن ابي الصلت ، حياته وشعره - دراسة وتحقيق بهجة عبد الغفور الحديثي ، مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٥ م

- أنساب الاشراف : البلائري : احمد بن يحيى ، تحقيق د . محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر - ١٩٥٩ .

- البحر المحيط : ابو حيان الاندلسي : اثير الدين محمد بن يوسف ، (٧٥٤) هـ ، مط السعادة بمصر - ١٣٢٨ هـ .

- البدء والتاريخ : البلخي : ابو زيد احمد بن سهل (٣٥٥) هـ ، علي بنشره كلمان هوار ، (نسخة مصورة) بالافست عن مطابع برطرنده - باريس ١٨٩٩ .

- البداية والنهاية : ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء الدمشقي (٧٧٤) هـ ، مطبعة السعادة . مصر - ط ١ - ١٩٣٢ .

- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب : الالوسي : محمود شكرى ، علي بشرحه وتصحيحه محمد بهجة الاثري ، ط ٣ - مطابع دار الكتاب العربي بمصر - تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) - د . شوقي ضيف ، مطابع دار المعارف - مصر - ط ٤ (د . ت)

- تاريخ التراث العربي - فؤاد سزكين - نقله الى العربية د . محمود فهمي حجازي - مطالع جامعة الامام محمد بن سعود السمونية - ١٩٨٢ -
- الجامع لاحكام القرآن : ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، دار الكتب المصرية ١٩٣٥ .

- حماسة البحتري : تحقيق لويس شيخو اليسوعي - بيروت دار الكتاب العربي - ط ٢ - ١٩٦٧ .

- الحماسة البصرية : البصري : صدر الدين بن ابي الفرج بن الحسين (٦٥٩) هـ ، تحقيق د . مختار الدين احمد ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الهند - ط ١ / ١٩٦٤ .

- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب : البغدادي : عبد القادر بن عمر (١٠٩٣) هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطابع دار الكتاب العربي للطباعة - القاهرة ١٩٦٧

- الروض الانف : السهيلي : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد (٥٨١) هـ ، مطبعة الجمالية - بمصر - ١٩١٤ .

- السيرة النبوية : ابن هشام : ابو محمد عبد الملك (٢١٨) هـ ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصورة عن طبعة مصطفى الحلبي / ١٩٥٥

- شعراء النصرانية : لويس شيخو اليسوعي - مطبعة الاباء المرسلين اليسوعيين - بيروت - ١٨٩٠ .

- الطبقات الكبرى : لابن سعد (٢٣٠) هـ ، دار صادر - بيروت ١٩٦٠ .
- الكامل في التاريخ : ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (٦٣٠) هـ ، دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٥ .

- كتاب سيويوه : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب - للطباعة والنشر - بيروت .

- لسان العرب : ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١) هـ - الدار المصرية للتراث والتأليف والترجمة (د . ت)

- مجاز القرآن : ابو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠) هـ ، تحقيق محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجي - بمصر - ط ٢ - ١٩٧٠

- محاضرة الايوار ومسامرة الاخبار في الانبيات والذواير والاخبار : ابن عربي : محيي الدين (٦٣٨) هـ ، مطبعة النجوى - بيروت - ١٩٦٨

- المحجز : ابن حبيب : ابو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥) هـ ، باعتناء د . ايلزه ليخن شينتر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند . ١٩٤٢ .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦) هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر - ط ٣ / ١٩٥٨

- المعارف : ابن قتيبة (٦٢٦) هـ ، تحقيق ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٩٦٠ م

- معجم البلدان : ياقوت الحموي : شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (٢٦٢) هـ ، طهران - ١٩٦٥

- المنطق في اخبار قريش - محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥) هـ ، اعنتى بتصحيحه د . محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن - الهند - ط ١ - ١٩٦٤ .

- ورقة بن نوفل (حياته وشعره) - ايهم عباس القيسي - مجلة المورد - العدد الثاني السنة ١٩٨٨ .

مخطوطات خزانة احمد سالم الكيلاني

اسامة ناصر النقشبندى
دار صدام للمخطوطات

العائلة الكيلانية في بغداد من العوائل الكريمة التي ترجع في نسبها الى تاج العارفين شيخ الاسلام محيي الدين السيد عبد القادر بن ابي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله ابن موسى الجون بن عبد الله المحض بن ابي محمد الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، الذي ولد بـ (جيلان) سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م وقدم بغداد سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م وعمره ثمانى عشر سنة في خلافة المستظهر بالله العباسي ، درس بمدرسة المخرمي القاضي ابي سعيد بن المبارك ببغداد ، وظهر صيته بالزهد والورع وكانت المدرسة تضيق بالناس عندما كان يدرس فيها ، وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً الى الرياط .

عمرت هذه المدرسة ووسعت واضيف اليها ماحولها من المنازل والامكنة ما يزيد على مثلها ، وبذل الانغناء في عمارتها المال ، وكمل انشاؤها سنة ٥٢٨ هـ / ١١٢٣ م ، وصارت منسوية اليه ، وتصدر بها للتدريس والافتاء والوعظ ، وقصدت بالزيارات والنذور ، وتوفي الشيخ عبد القادر الكيلاني (رحمه الله) ليلة السبت العاشر من ربيع الآخر سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م ودفن في رواق مدرسته واقامت على قبره قبه ، واتخذت المدرسة شكل المسجد الذي توسع ليكون من جوامع بغداد الكبيرة ، الا ان المدرسة لم ينقطع التدريس فيها بعد وفاته حيث تولى التدريس بعده ولده محمد عبد الوهاب واحفاده وقد نالت المدرسة والجامع عناية السلاطين والولاة وجرت عليها ترميمات في مختلف المراحل .

وقد اوقفت على خزانة المدرسة القادرية خزائن كتب عديدة وهي تضم اليوم مجموعة مهمة من المخطوطات بعضها من النوادر والاعلاق النفيسة ، وقد اصدر د . عماد عبد السلام فهرساً بمخطوطاتها عام ١٩٧٤ ، كما كتب السيد نوري محمد المفتي رسالة عن مكتبة المدرسة القادرية منذ تاسيسها الى الوقت الحاضر . اما مخطوطات خزانة سالم احمد الكيلاني وهو من سلالة هذه العائلة وكان سادناً للحضرة القادرية لحين وفاته فهي مجموعة مهمة توارثها اولاده منهم قيس سالم احمد الكيلاني وقد تفرقت مخطوطات هذه الخزانة وامتنعت اليها ايدي السراق الى ان تم استرجاعها وجمعها من قبل صاحبها بمساعدة ومساعي دار صدام للمخطوطات التي اقتنت هذه المخطوطات وضمت الى مجموعتها سنة ١٩٩٢ .

يبلغ عدد مخطوطات هذه الخزانة (٩٩) مخطوطاً ، تعود الى حقب تاريخية مختلفة ، بعضها مخطوطات مزوقة ومذهبة ، كما كتبت مخطوطات اخرى باقلام مؤلفيها او عليها قراءات وسماعات وتملكات لبعض علماء بغداد من بينهم بعض رجالات هذه الاسرة .

وقد رأيت ان اعد هذا الفهرس للتعريف بما تحتويه من مخطوطات ، فذكرت عنوان المخطوط واسم المؤلف ونبذه عن حياته وشيء من اول المخطوط ، كما عرفت بمحتوى بعض المخطوطات المهمة ووصفت حالة المخطوط ، وذكرت اسم الناسخ وتاريخ النسخ ونوع الخط وقياسات المخطوط وعدد صفحاته ، واهم المصادر والمراجع التي توثق عنوان المخطوط ومؤلفه ، واشرت الى كون المخطوط قد طبع محققاً ام لم يطبع . راجياً ان اكون قد اسهمت في الكشف عن محتويات هذه الخزانة ليطلع عليها المهتمون من الباحثين والدارسين والمحققين والله تعالى من وراء القصد

(١) قرآن كريم

نسخة نفيسة مزوقة الاول بزخارف نباتية من الازهار والاوراد والاغصان رسمت داخل حشوات هندسية ملونة على ارضية زهية وقد امتدت الاشكال الزخرفية والاغصان الملونة لتغطي جميع الفراغات في الصفحتين الاولى والثانية وهي من النسخ النادرة والمهمة في اسلوب زخرفتها وتذهيبها واسلوب خطها ، وما تحيط بها من السلاسل والخطوط الملونة .

كما حليت اسماء السور بزخارف نباتية ملونة ومذهبة وكتبت اسماء الاجزاء والاحزاب والارباع داخل اشكال زخرفية ملونة ومذهبة ، وزهبت كذلك الوقفات بين الايات ورسمت فيها وريادات واشكال نباتية ملونة .

كتب هذه النسخة الخطاط علي الحمدي بخط النسخ الجيد ، وعناوين السور بخط الثلث سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م

الرقم ٣٩١٦٥

القياس ٥١٢ ص ٢٤ × ١٦ سم ١٥ س

x x x

(٢) قرآن كريم

مزوق الاول بزخارف نباتية ملونة ومذهبة داخل اشكال هندسية مختلفة . كما كتبت اسماء السور على ارضيات مذهبة وملونة

كتبت هذه النسخة بخط النسخ الجيد عليها حواش وشروح

الرقم ٣٩٢٧٧

القياس ٥٢٠ ص ٣٠ × ١٨ سم ١٥ س

x x x

(٣) اربعون صحيفة من الاحاديث القدسية .

للشيخ الاكبر محيي الدين محمد بن علي بن عري الحاتمي الطائي^(١) المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م . ضمنها المؤلف اربعين حديثاً قدسياً اطلق على كل حديث

اسم صحيفة .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر للميلاد في آخرها فائدة لتوفيق رشدي البغدادي الذي كان طالباً في الكلية العسكرية في اسطنبول .

الرقم = ٣٩٣٢٥

القياس = ٧٣ ص ٢١ × ١٥ سم ١٢ س

الاعلام ٦ / ٢٨١ طبع ذخائر التراث ١ / ١٨٢

x x x

(٤) الاصلاح .

لمحمد بن علي الطباطبائي الحائري المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧ م

الاول : (الحمد لله الذي مهد لنا طريق اصلاح العمل ومسلك النجاة والتجافي عن الخطا والزلل ...) .

أودع المؤلف في كتابه هذا ما تضمنه كتابه (مسالك الحلال والحرام) من السنن والاحكام ورتبه على مقدمة وابواب وخاتمة .

نسخة جيدة كتبت في عصر المؤلف عليها حواش وشروح ، تملكها محمد حسين سنة ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م .

الرقم = ٣٩٢٦٨

القياس : ٤١٢ ص ٢١ × ١٢ ر٥ سم ٢٢ س

الذريعة ٢ / ١٧٠ - ١٧١

x x x

(٥) اصول المواريث

لابي الحسن علي بن احمد بن حسين القطيفي^(١) آل عبد الجبار المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م

الاول : (الحمد لله الموجود بدائع حكمه باظهار ما في الوجود ، ومضيف سوابغ نعمه على خلقه لايجاد الوجود كل موجود ..)

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بالمداين الاسود والاحمر عليها حواش وشروح على يد محمد جواد بن محمد الامام سنة ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م في آخرها منقولات وجداول تعود الى

نفس فترة كتابة المخطوط

الرقم : ٣ / ٣٩٣٠٦

القياس : ٣١ ص ٢١ × ١٤ سم ٢٤ س

الاعلام ٤ / ٢٦٠ معجم المؤلفين ٧ / ١٤

x x x

(٦) اكلة حاضرة لمن تكون طبيعته سليمة طاهرة

لم يعلم اسم المؤلف

الاول (الحمد لله الذي لطف بالعباد فبين لهم بفضلهم وكرمهم سبيل الرشاد واتاب من سلكه وعاقب من جاد عنه واهلكه) وهي رسالة جمع فيها المؤلف بعضاً من المعفوات وذكر فيها ما اشتهر بين العوام انه من جملة النجاسات في حين انه طاهر

الاعلام ٦ / ٦١ طبعت النسخة العربية اكثر من مرة

x x x

(١٠) تشييد القواعد

لابي الثناء شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن احمد الشافعي^(٢) المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م .
وهو شرح على كتاب تجريد الكلام في تحرير عقائد الاسلام
للصير الدين محمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ /
١٢٧٣ م .

رتبه المؤلف على ترتيب الاصل في ستة مقاصد هي :
المقصد الاول في الامور العامة ، المقصد الثاني في الجواهر
والاعراض ، المقصد الثالث في اثبات الصانع وصفاته المقصد
الرابع في النبوة المقصد الخامس في الامامة المقصد السادس
في المعاد وقد سمي هذا الشرح كذلك بتجريد العقائد .
نسخة جيدة كتبها بخط التعليق محمد كيلاني ترقى الى
القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد عليها حواش
وشروح ناقصة الاول حيث تبدأ بالمقصد الثاني .
الرقم : ٣٩٣٠٥

القياس : ٥١٠ ص ٢٣ x ١٢ سم ١٧ س
المصادر : معجم المؤلفين ١٢ / ١٧٣ الاعلام ٧ / ١٧٦
الذريعة ٣ / ٣٥٢ كشف ١ / ٢٤٥
x x x

(١١) تفسير القرآن الكريم

لم يعلم اسم المؤلف
وهو تفسير صوفي للقرآن الكريم .
نسخة جيدة ناقصة الاول كتبت بخط النسخ الجيد
بالمداين الاسود والاحمر مؤطرة الصفحات كتبها محمد جعفر بن
سيد شاه محمد .
الرقم : ٣٩٦٩٢
القياس : ٨٢٠ ص ٢١ x ١٢ سم ٣٤ س
x x x

(١٢) تفسير القرآن الكريم

لاحمد بن يوسف بن الحسن بن شويبان الشيباني الشافعي
الكواشي^(١) الموصلي المتوفى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م .
نسخة جيدة كتبت بخطي الثلث والنسخ الجيد تتضمن
المجلد الاخير من التفسير تبدأ بسورة الرحمن ترقى الى القرن
٨ هـ / ١٤ م في اولها تملك لعمر الهيناوي سنة ١٢١٦ هـ /
١٨٠١ م . وأحمد شاكر الالوسي ، طالع فيها عبد الرزاق
الرمضان .
الرقم : ٣٩٣١٦
القياس : ٤٦٤ ص ٢١ x ١٦ سم ١٧ س

وما هو لدى الموم طاهر لكنه نجس لدى العلماء .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الدارج عليها حواش وشرح
ومنقولات كتب بخط المؤلف سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م عليها
تملك لمصطفى الكيلاني

الرقم = ٣٩٤١٧

القياس : ٢٤ ص ٢٢ x ١٦ سم ١٧ س
x x x

(٧) بحر الكلام .

لابي الممين ميمون بن محمد بن مكحول النسفي الحنفي
المتوفى سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م .
وهي رسالة في علم الكلام كتبها محمد الامين سنة
١١٧٦ هـ / ١٧٦٢ م في آخرها وصية الامام محمد الشافعي
مع منقولات وفوائد فقهية ، ونص كتبه عبد القادر بن محمد
الرحماني عن تسديد دين بنمته سنة ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢ م .
الرقم : ٣٩٢٥٤ / ٢
القياس : ١٨ ص ٢٠ x ١٢ سم ١٩ س
الاعلام ٧ / ٢٤١
x x x

(٨) التحفة الحسينية في احكام مسألة الفبية .

لسيد حسن بن اسماعيل الحسيني القمي الحائري
المتوفى في حدود سنة ١٢٠٦ هـ / ١٨٨٨ م .
الاول : (الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الاولين
والاخرين محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على
اعدائهم ...) وهو كتاب في احكام الفبية فرغ منه المؤلف سنة
١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م ورتبه على خمسة مقاصد وخاتمة
نسخة جيدة كتبها بخط النسخ علي بن محمد مهدي
الخراساني الحائري سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م .
الرقم : ٣٩٢٤٩ / ١
القياس : ١١٤ ص ١٤ x ٥ ر ٩ سم
الذريعة ٣ / ٤٢٨ معجم المؤلفين ٣ / ٢٠٦
x x x

(٩) ترجمة اظهار الاسرار

لزين الدين محمد بن بير علي بن اسكندر البركلي المعروف
بيركلي المتوفى سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٢ م .
وهي ترجمة تركية لكتاب المؤلف الذي وضعه باللغة الدرية
نسخة جيدة كتبت بخط التعليق ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م
الرقم : ٣٩٤١٦
القياس : ٥ ص ٢١ x ١٤ سم ١٤ س

الاعلام ٢٧٤ / ١ معجم المؤلفين ٢٠٩ / ٢
x x x

(١٢) تفصيل الزنجاني .

لما علي بن شيخ حامد الاشنوي
الاول : (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
رسوله محمد وعلى آله اجمعين . وهو تفصيل على التصريف
العربي للزنجاني المتوفى سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م . ووضعه
المؤلف بعد ان الف كتاب شرح التصريف لتكملة التعريف الزنجاني
وجعل هذا الكتاب شرحاً وتفصيلاً لذلك التكميل .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الدارج في مدرسة مولانا
علي سنة ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م عليها حواش وشرح كثيرة
ومقابلة على نسخة اخرى

الرقم : ٢ / ٣٩١٥٢

القياس : ٩٦ ص ٢١ x ١٦ سم ١٩ س
x x x

(١٤) التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية واسرارها

لزين الدين بن احمد العاملي المتوفى سنة ٩٦٦ هـ /
١٥٥٩ م
الاول : (الحمد لله المطلع على من اختار من عباد
الاخير ...)

وهو كتاب في الفرائض وواجباتها اليومية والتنبيهات على
اسرارها . فرغ منه المؤلف سنة ٩٥١ هـ / ١٥٤٤ م ورتبه على
مقدمة وفصول وخاتمة .

نسخة جيدة ناقصة قليلاً من الاخر ترقى الى القرن
١١ هـ / ١٧ م

الرقم : ٢ / ٣٩٢٦١

القياس : ١٣٠ ص ١٩ x ١٣ سم ١٥ س
الاعلام ٦٤ / ٣ الذريعة ٤٥٢ / ٤ طبع في ايران سنة
١٣٠٥ هـ

x x x

(١٥) تنوير الابصار وجامع البحار في الفقه الحنفي

محمد بن عبد الله بن احمد الخطيب التمرتاشي الغزي
الحنفي^(٥) المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٦ م

الاول : (الحمد لله الذي احكم احكام الشرع الشريف واعلا
مناره ...) نسخة جيدة كتبت بخط التعليق بالمداين الاسود
والاحمر مؤطرة الصفحات بمداد احمر عليها حواش وشرح في
اولها فهرس بابواب الكتاب .

الرقم : ٣٩٣٢٣

القياس ٤٢٢ ص ٢١,٥ x ١٥ سم ١٦ س
كشف ٥٠١ / ١ معجم المؤلفين ١٠ / ١٩٦ الاعلام ٦
٢٣٩ معجم ٦٤٢ طبع
x x x

(١٦) جريدة الفرائض

عبد الرحيم افندي منتشي زادة المتوفى سنة ١١٢٨ هـ /
١٧١٥ م

الاول : (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
رسوله ...) وهو كتاب في الفرائض وقسمة الموارث بالتركية
والعربية .

كتبها بخط التعليق مصطفى بيك في بغداد سنة ١٢٥٨ هـ /
١٨٤٢ م

الرقم : ٣٩٢٤٥

القياس ٢٢٧ ص ٢١,٥ x ١٥ سم ٢١ س
فهرس كوبريلي ٦٣,٦٠ / ٢

(١٧) جواهر الفرائض .

لم يعلم المؤلف .

اعلم انه اذا مات الانسان اول ما يبدأ من تركته بتكفينه
نسخة جيدة كتبت بخط التعليق ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م
الرقم : ١ / ٣٩٢٥٤

القياس : ٦ ص ٢٠ x ١٣ سم ١٩ س
x x x

(١٨) الجوهرة الفاخرة في احوال الآخرة^(٦)

لابي حامد محمد بن محمد الغزالي حجة الاسلام المتوفى
سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م .

الاول (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير
خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين وبعد قد جاء في الخبر ان الله
تعالى خلق شجرة ولها اربعة اغصان فسمها شجرة اليقين ثم
خلق نور نبيه محمد ...) .

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م في اخرها
قصيدة .

الرقم : ٣٩٣٠١

القياس : ١١٨ ص ٢١,٥ x ١٥ سم ١٧ س
معجم المؤلفين ١١ / ٢٦٦ الاعلام ٧ / ٢٢
x x x

(١٩) حاشية على انوار التنزيل .

لسعد الله بن عيسى المعروف بسعدي جلبي^(٧) المتوفى

سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م

وهي حاشية على انوار التنزيل واسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي نسخة جيدة كتبت بخطي التعليق والنسخ .
تتضمن الجزء الثاني من الحاشية ترقى الى القرن

١١ هـ / ١٧ م

الرقم : ٣٩١٥٣

القياس : ٢٤٦ ص ٥ , ٢٠ x ١٥ سم ١٩ س

معجم المؤلفين ٤ / ٢١٦ كشف ١ / ١٩١ الاعلام ٣ / ٨٨
x x x

(٢٠) حاشية على شرح حكمة العين

لم يعلم المؤلف .. ولعلها للسيد الشريف الجرجاني المتوفى

٨١٦ هـ / ١٤١٤ م .

وهي حاشية على شرح مبارك شاه البخاري على حكمة

العين للقزويني المتوفى ٦٧٥ هـ / ١٢٧٧ م .

نسخة جيدة كتبت بخط التعليق على ورق ترمه بالمداين الاسود والاحمر عليها بعض الحواشي ترقى الى القرن ١١ هـ /

١٧ م .

الرقم : ٣٩١٥٤

القياس : ٢٢٢ ص ٥ , ٢٠ x ١٣ سم ٢٥ س

كشف ١ / ٦٨٥ معجم المؤلفين ٧ / ١٥٩
x x x

(٢١) حاشية على الفوائد الضيائية .

لعبد الحكيم بن محمد شمس الدين الهندي السيلالكوتي^(٨)

المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م .

(يا من هو مصدر الكلمات وافعالها ومبدأ العوامل

واعمالها ...)

والفوائد الضيائية لعبد الرحمن احمد الجامي النقشبندي

المتوفى سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م . شرح فيها المؤلف كتاب

الكافية في النحو لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / سنة

١٢٤٩ م نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن

١٠ هـ / ١٦ م عليها وقفية لمحمود افندي على المدرسة

الفرهادية .

الرقم : ٣٩١٤٩

القياس : ٢٧١ ص ٥ , ٢٢ x ١٦ سم ٢٥ س

معجم المؤلفين ٥ / ٩٥ كشف ٢ / ١٣٧٢
x x x

(٢٢) حاشية على قواعد الاعراب

لشهاب الدين احمد بن محمد الزرقاني المالكي الدحوي كان حياً

سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٨ م .

الاول : (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اسعد المرسلين ...)

وهي حواش تتعلق بمقدمة الاعراب عن قواعد الاعراب لعبد

الله بن يوسف بن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦٢ هـ /

١٢٦٠ م وقد تناول الشارح النص : اقول ولم يجعله ممزوجاً .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الدارج سنة ١١١٥ هـ /

١٧٠٣ م على يد محمد بن محمد بن احمد

الرقم : ٣٩١٥٩

القياس : ١٤٧ ص ٥ , ٢٠ x ١٤٥ سم ٢٥ س

المصادر : معجم المؤلفين ٢ / ١٠٢
x x x

(٢٣) حاشية على موصل الطلاب الى قواعد الاعراب .

لم يعلم اسم المؤلف

وموصل الطلاب لخالد بن عبد الله الازهري المتوفى

٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م وهو كتاب مشهور بعلم النحو .

نسخة جيدة لعلها بخط المؤلف كتبت بالمداين الاسود

والاحمر ترقى الى القرن ١٠ هـ / ١٦ م

الرقم : ٣٩١٧٦

القياس : ١٩٢ ص ٢١ x ١٥ سم ٢٥ س

x x x

(٢٤) حدائق الدقائق في شرح رسالة علامة الحقائق

لسعد الدين بن سعد الله البردعي

وهو شرح على كتاب الانموذج في النحو لجار الله الزمخشري

المتوفى ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م

نسخة عليها حواش وشرح ناقصة الطرفين

الرقم : ٣٩٢٥٧

القياس : ٨٢ ص ٥ , ٢٠ x ١٥ سم ١٢ س

ذ / كشف ٢ / ٣٩٥ الكشف ١ / ١٨٤
x x x

(٢٥) الحدائق الناضرة في احكام المعترة الطاهرة

لابن عصفور يوسف بن احمد بن ابراهيم البحراني^(٩)

المتوفى سنة ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م .

الاول : (الحمد لله الذي هدانا لهذا بواضح الدليل الى سبيل معان

العلم والتأويل ..) وهو كتاب في الفقه الاستدلالي مرتب حسب

اصول الفقه تناول فيه مباني الاحكام والفرق بين الاخباري

والاصولي

نسخة جيدة تتضمن المجلد الثامن من الكتاب يرقى الى

القرن ١٢ هـ / ١٨ م

الرقم : ٣٩٢٦٣

القياس : ٤٦٠ ص ٣٠ x ٢٠ سم ٢٩ س

المصادر: الاعلام طبع ٨ / ٢١٥ الذريعة ٦ / ٢٩٠

x x x

(٢٦) خلاصة الحساب

لبهاء الدين محمد بن الحسين العاملي المتوفى
١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م.

وهي رسالة في الحساب تقع في عشرة ابواب وخاتمة .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ على يد يوسف بن عبد الله
الجزائري كتبها في الهند في حيدر آباد عليها حواشٍ وشروحات
كثيرة

الرقم : ٢ / ٢٩٣٠٦

القياس : ٤٦ ص ٢١,٥ x ١٤ سم ١٥ س
معجم المؤلفين ٩ / ٢٤٢ الذريعة ٧ / ٢٢٤ - ٢٢٥ معجم
المطبوعات ١٢٦٣

x x x

(٢٧) خلاصة فقه كيدان

للطف الله النسفي المعروف بالفاضل الكيداني الحنفي
المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م.

الاول : (الحمد لله رب العالمين والعاقة للمتقين والصلاة
والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين ثم اعلم ان العبد
مبتلاً بين ان يطيع الله تعالى ...)

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١٢ هـ /

١٨ م

الرقم : ٢ / ٣٩٢٤٦

القياس : ١٦ ص ٢١ x ١٥ سم ١١ س
طبع بعنوان فقه كيدان معجم ١٥٨٠ معجم المؤلفين ٨ / ١٥٦
المخطوطات الفقهية ص ٩٤ .

x x x

(٢٨) الخلاف في الاحكام .

لمحمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى سنة
٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م .

وهو كتاب في مسائل الخلاف في الفقه على المذاهب
الاربعة والمذهب الجعفري . وقد رتبته على ابواب الفقه .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م .

الرقم : ٣٩٢٧٦

القياس : ٥٩٠ ص ٣٠ x ٢٨ سم ٢٩ س

الذريعة ٧ / ٢٣٥ الاعلام ٦ / ٨٤

x x x

(٢٩) الدر المختار في شرح تنوير الابصار وجامع البحار

لعلاء الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن

الحنفي الحصكفي المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م .
وهو شرح على كتاب تنوير الابصار وجامع البحار في الفقه

الحنفي لشمس الدين محمد بن عبد الله التمرتاشي الغزي

الحنفي المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م

نسخة جيدة كتبها عمر بن عبد القادر الاعظمي سنة

١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م عليها حواشٍ وشروح تتضمن مجلداً من

الكتاب يبدأ بكتاب البيوع .

الرقم : ٣٩٤١٨

القياس : ٦١٢ ص ٢١ x ١٥ سم ٢١ س

طبع معجم ٧٧٩ معجم المؤلفين ١٠ / ١٩٦ كشف ١ / ٥٠١

ذ / كشف ١ / ٤٤٧ .

x x x

(٣٠) درر الاحكام شرح غرر الاحكام .

كلاهما لمحمد بن فراموز بن علي الرومي المعروف بالملاخسرو

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م .

الاول : (الحمد لله الذي احكم احكام الشرع القويم بمحكم

كتابه ، واعلى اعلام الدين ...) .

نسخة نفيسة كتبت بخط النسخ الجيد عليها مقابلاً

وتعليقات ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م في اولها فهرس

للكتاب .

الرقم : ٣٩٢٥٠

القياس : ٦٥٦ ص ٢٧,٥ x ١٨ سم ٢٧ س

المصادر : كشف ٢ / ١١٩٩ معجم المؤلفين ١١ / ١٢٢

طبع معجم ١٧٩٠

x x x

(٣١) ذات الشفا في سيرة المصطفى .

لمحمد بن محمد الجزري الشافعي المتوفى سنة

٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م .

قال محمد هو ابن الجزري

الحمد للمهيمن المقتدر والشكر لله على ما قد هدى من سيرة

النبي احمد

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ سنة

١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م ، في آخرها فوائد ومقولات .

الرقم : ٣٩١٥٥ / ٢

القياس : ٨٨ ص ١٦ x ١١ سم ٦ س

معجم المؤلفين ١١ / ٢٩١ طبع

x x x

(٣٢) الرحمة في الطب والحكمة

لمحمد مهدي بن علي بن ابراهيم الصديري البجلي المقرئ

المتوفى سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م .

وهو مختصر في الطب رتبته المؤلف على خمسة ابواب في علم الطبيعة والثاني في صنائع الاغذية والادوية والثالث فيما يصلح للبدن في حالة الصحة الرابع في علاج الامراض الخاصة الخامس في علاج الامراض العامة .

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م عليها بعض التعليقات في آخرها رسالة في مجربات حاتم جلبي الطبية باللغة الفارسية .

الرقم : ٣٩٢٧٢

القياس : ١٣٨ ص ١٦ × ١٠,٥ سم ١٥ س
كشف / ١ ٨٣٦ طبع بهامش التذكرة للقلبي بمصر سنة ١٣٠٠ هـ - ١٣٠٢ هـ معجم ١١٩٨ ذ / بروكلمان ٢ / ٢٥٢ فهرس الطب ١٢٩

x x x

(٣٣) رسالة في آداب المريدين

لم يعلم المؤلف

(اللهم خلصنا عن الاشتغال بالماهي وارنا حقائق الاشياء كما هي وامكنها في الاوامر والنواهي ...)

وهي رسالة في بيان آداب المشيخة والمريدين والطلابين . نسخة جيدة كتبت باكثر من قلم كتبها محمد امين بن محمد

عبد الله الهيتي الحنفي سنة ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م

الرقم : ٣٩٣٠٧

القياس : ١١٢ ص ١٥,٥ × ١٠,٥ سم ١٥ س

x x x

(٣٤) رسالة في الاصول .

للحسن بن اسماعيل الحسيني الحائري الذي كان حياً سنة ١٢٠٦ هـ / ١٨٨٩ م وهي رسالة في اصول الفقه ومسائله على المذهب الامامي ، وربما تكون مستلة من احد كتب المؤلف الذي له شرح التبصرة ، الفقه الذي يقع في عدة مجلدات . كتبها بخط النسخ علي بن محمد مهدي الخراساني سنة

١٢٠٤ هـ - ١٨٨٧ م

الرقم : ٣٩٢٤٩ / ٢

القياس : ١٤٢ ص

النزعة ١٣ / ١٣٤ معجم المؤلفين ٣ / ٢٠٦

x x x

(٣٥) رسالة في الادعية

لم يعلم المؤلف

الاول : (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ...) . رسالة في الادعية والاذكار .

نسخة حديثة كتبت بخط درج مؤطرة بمداد اسود .

الرقم : ٣٩٢٦٢

القياس : ٢٤ ص ١٨ × ١١ سم ١١ س
x x x

(٣٦) الرسالة الحنفية في الآداب

لمحمد بن محمد البردعي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م

وهي شرح على الرسالة المضنية في آداب البحث والمناظرة . نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي .

الرقم : ٣٩٤١٧

القياس : ٤٨ ص ١٧ × ١٢ سم ١٩ س
معجم المؤلفين ١١ / ٢٧٢ هدية العارفين ٢ / ٢٢٩

x x x

(٣٧) الزبدة في شرح البردة

لخالد بن عبد الله الازهري المتوفى ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م الاول (حمداً لله مستحقاً التحميد والتكبير والتسبيح والصلاة والسلام على سيدنا)

وهو شرح على قصيدة البردة لشرف الدين محمد البوصيري لتوضيح الفاظها واعراب ابياتها وبيان معانيها .

فرغ منها الشارح سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م .

كتبت بخط النسخ الدارج بالمدادين الاسود والاحمر على يد صابق تقع ضمن مجموع كتب سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م

الرقم : ٣٩١٥٢ / ٣

القياس : ٦٤ ص ٢١ × ١٦ سم ١٩ س

كشف ٢ / ١٣١٣ معجم المؤلفين ٩٦ / ٤ طبع معجم ٨١٢
x x x

(٣٨) سلسلة الطريقة القادرية .

لم يعلم اسم المؤلف

الاول (قل يا عبادي الذين اسرفوا لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً)

هو كتاب في الطريقة القادرية كتب بخط النسخ الجيد في اخره الاوراد الفتحية في الادعية والاذكار

الرقم : ٣٩٤١٥

القياس : ٥٤ ص ١٧ × ١٠ سم ٨ ص

x x x

(٣٩) شرح جمع الجوامع

لجلال الدين محمد بن احمد بن محمد ابراهيم المحلي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ / ١٤٥٩ م .

الاول : (الحمد لله على افضاله والصلاة والسلام على سيدنا

كثيرة وتذبيبات بين السطور وجازات بين الاوراق ترقى الى القرن
١١ هـ / ١٧ م .

الرقم : ٣٩١٤٤

القياس : ٢٧ ص ٢١ x ١٦ سم ٢٧ س
معجم المؤلفين ١٣٧ / ٣

x x x

(٤٣) شرح شواهد مغني اللبيب عن كتب الاعاريب

لم يعلم الشارح .

ومغني اللبيب عن كتب الاعاريب في النحو لعبد الله بن
يوسف بن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م
وقد شرحت شواهد شروحا صغيرة وكبيرة لعبد من الاعلام .
تناول الشارح الابيات الشعرية وشرحها عروضياً ومعناها ولغتها
واعرابها

نسخة جيدة ناقصة الاول كتبت الابيات بخط الثلث
والشرح . بخط النسخ الدارج واللغة والمعنى والاعراب كتبت بمداد
احمر ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م

الرقم : ٣٩١٤٥

القياس : ١٥٨ ص ٢٠ x ١٥ سم ٢١ س
كشف الظنون ١٧٥٢ / ٢

x x x

(٤٤) شرح العوامل لسعد الله الصغير

الاول : (بسم الله اي باستعانة اسم الله نبتدا الكتاب فالجار
والمجروح صلة نبتدا المقدر مؤخراً ليفيد تقديم الصلة ...)
والعوامل في النحو لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني
المتوفى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م .

نسخة جيدة كتبها بخط النسخ احمد بن محمد بن مصطفى
ابن عوض سنة ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ م عليها حواشٍ وشرح .
الرقم : ٣٩١٤٣

القياس : ٣٢ ص ٢٠ x ١٣ سم ١٧ س
x x x

(٤٥) شرح الفرائض الاشنهي

لعبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم الرشيد المصري زين
الدين المتوفى سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م .
والفرائض الاشنهي لابي الفضل عبد العزيز بن علي
الاشنهي الشافعي المتوفى في حدود سنة ٥٥٠ هـ /
١١٥٥ م .

الرقم : ٣٩٢٧٥

القياس : ٢٥٤ ص ٢١ x ١٥ سم ٢١ س
كشف ١٢٤٥ - ١٢٤٦ معجم المؤلفين ١٦٦ / ٥

x x x

محمد وآله ، هذا ما اشتدت اليه حاجة المتفهمين ...)
وهو شرح على جمع الجوامع في اصول الفقه للسبكي
المتوفى سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م . نسخة نفيسة كتبت بخط
النسخ الجيد سنة ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م عليها مقابلة على
نسخة داود افندي لعبد الرحمن افندي مؤرخة سنة ١٢٢٥ هـ /
١٨١٠ م

الرقم : ٣٩٢٤١

القياس : ٤٥٦ ص ٢١,٥ x ١٥ سم ١٥ س
كشف ٥٩٥ / ١ طبع معجم ١٦٢٤ معجم المؤلفين ٢١١ / ٨
٢٢٥ / ٦

x x x

(٤٥) شرح ديباجة المحرر .
حسين شيفكي

الاول (الحمد لله حمداً كثيراً على افضاله وانعامه والصلاة
والسلام ...)

وهو شرح على ديباجة المحرر للرافعي ابو القاسم المتوفى
سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م . في الفقه الشافعي .
نسخة جيدة كتبت بالمداين الاسود والاحمر .

الرقم : ٣٩١٥٢ / ١

القياس : ٢٢ ص ٢١ x ١٦ سم ١٩ س
x x x

(٤١) شرح رسالة الوضع

لعصام الدين ابراهيم بن عرب شاه الاسفرائيني المتوفى
سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٢٨ م .

الاول : (الحمد لله والصلاة على محمد وآله واصحابه
اجمعين ...) والرسالة الوضعية لعبد الدين الايجي
كتبت بخط النسخ الدارج على يد عثمان بن رمضان بن
ابراهيم سنة ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م .

الرقم : ٣٩١٤٧

القياس : ١٦٨ ص ٢٢ x ١٦ سم ١١ س
الاعلام ١ / ٦٦ معجم المؤلفين ١ / ١٠١

x x x

(٤٢) شرح شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام

لم يعلم اسم الشارح

يتضمن هذا المجلد جزء من شرح كتاب شرائع الاسلام في
مسائل الحلال والحرام لجعفر بن الحسن المعروف بالمحنف
الحلي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الدارج والشرح غير ممزوج
تناوله الشارح بكلمة قوله كتبت بمداد احمر .. عليها حواشٍ وشرح

٤٦ - شرح فرائض الحبل المنين

بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي
المتوفى سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م
الاول: (الحمد لله رب العالمين الذي لا يحيط بجميع محامد
نعمه عند العادلين ولم يدرك وصف ...)
وهو شرح على القسم الرابع من كتاب الحبل المتين لنفس
المؤلف بالمواريث ويسمى هذا الشرح ايضاً بالفرائض البهائية
نسخة جيدة كتبت بالمدادين الاسود والاحمر .
الرقم : ٣٩٣٠٦ / ١
القياس : ٢٢ ص ٢١,٥ x ١٤ سم ٢٣ س
كشف ٢ / ٧٥١ م الزريعة ٦ / ٢٤٠ معجم المؤلفين ٩ /
٢٤٢

x x x

٤٧ (شرح كتاب في الفقه

لم يعلم اسم المؤلف
مرتّب على ابواب الفقه . كتب القسم الاول من هذه النسخة
بخط النسخ الجيدة بالمدادين الاسود والاحمر . يرقى الى القرن
١١ هـ / ١٧ م والقسم الاخير بخط احدث من الاول .
الرقم : ٣٩٣١٢
القياس : ٢٧٦ ص ٢٦ x ١٦ سم ٢٤ س
x x x

٤٨ (شرح مزاج الارواح

لشمس الدين احمد ديكقوز المتوفى سنة ٨٥٥ هـ /
١٤٥١ م .
الاول: (اللهم يامصرف القلوب ، صرف قلوبنا نحو رضائك وصلي
لمن اوتي جوامع الكلم من بين ...)
وهو شرح على مزاج الارواح في النحو لاحمد بن علي بن
مسعود من اعيان القرن ٨ هـ / ١٤ م .
نسخة نفيسة كتبت بخط التعليق بالمدادين الاسود والاحمر
مؤطرة الصفحات بمداد احمر سنة ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م عليها
حواش وشروح . وتملك مؤرخ ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م
الرقم : ٣٩١٤٢
القياس : ١٩٨ ص ٢٠ x ١٤,٥ سم ١٩ س
كشف ٢ / ١٦٥١
x x x

٤٩ (شرح المعلقات السبع

لم يعلم اسم الشارح
والمعلقات السبع مجموعة القصائد المشهورة لشعراء
العرب امرؤ القيس ، طرفة بن العبد ، زهير بن ابي سلمى ، لبيد بن

ربيعة ، عنتره بن شداد ، عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة .
هذه النسخة ناقصة ورقة من الاول كتبت صفحتها الاولى
بخط حديث . وكذلك الصفحة الاخيرة تضمنت قصيدة اخرى بخط
حديث ، والشرح كتب بخط النسخ الدارج عليه مقابلة وتصحيح
يرقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م .

الرقم : ٣٩٢٦٤

القياس : ٢٢٦ ص ٢٢ x ١٥ سم ١٨ س
كشف ٢ / ١٧٤٠

x x x

٥٠ (شرح المنظومة الهاملية

لابي بكر بن علي الحدادي الحنفي المتوفى في حدود سنة
٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م

والمنظومة الهاملية لابي بكر بن علي بن موسى الهاملي
الحنفي اليمني سراج الدين المتوفى سنة ٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ م .
نظم فيها كتاب بداية المبتدي في فروع الحنفية لابي الحسن علي
ابن ابي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة ٥٩٣ هـ /
١١٩٧ م .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بالمدادين الاسود والاحمر
ترقى الى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي عليها
مقابلة ، ووقفية لمحمد سعيد بن جواد الدوري على مدرسة نائلة
خاتون سنة ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م
الرقم : ٣٩٢٦٧

القياس : ٣٦٢ ص ٢٠,٥ x ١٤,٥ سم ٢١ س
طبع معجم ١٧٣٩ كشف ١ / ٢٢٨ ، معجم المؤلفين ٧ /
٤٥

كشف ٢ / ١٨٦٨

x x x

٥١ (شروط الصلاة

لم يعلم اسم المؤلف .
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام
على الرسول محمد وعلى آله واصحابه اجمعين باب شروط
الصلاة . وهي ثمانية الاولى الوضوء ...)
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١٢ هـ /

١٨ م .

الرقم : ٣٩٢٤٦ / ٣

القياس : ١١٣ ص ٢١ x ١٥ سم ١١ س
x x x

٥٢ (الشكرية

لم يعلم اسم المؤلف
وهو شرح على مقصود في علم الصرف المنسوب للامام ابي

٥٥ (ضياء المعنوية على المقدمة الفزنوية

لشيخ الفقهاء محمد بن أحمد بن الضياء بن أحمد القرشي
القمي (١) المتوفى ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م .
الاول : (الحمد لله الذي رزقنا الهداية في البداية ومنحنا العناية
في النهاية احمد ان جعلنا سكان حرمه وقطان محل امنه
وكرمه ... وبعد فان اصحاب الامام الاعظم المجتهد المقدم ابي
حنيفة الامام بن ثابت الكوفي (رضي) ...)

وهو شرح على المقدمة الفزنوية في فروع الحنفية لاحمد بن
محمد الفزنوي المتوفى سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م . وهو تأليف
ابي العبادات رتب على ثمانية ابواب في طلب العلم واربعة فصول
في مناقب الامام ابي حنيفة وفصول اخرى في الفقه الحنفي .
شرح المؤلف بتأليفه سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢٠ م وفرغ منه
سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م

نسخة نفيسة كتبت بخط النسخ الجيد ترقى الى القرن
١١ هـ / ١٧ م في اولها فهرس لموضوعات الكتاب
الرقم : ٣٩٢٥٢

القياس : ٨٠٠ ص ٢٩ ، ٥ × ٢٠ سم ٢٥ س
كشف ١٨٠٢ / ٢ - ١٨٠٣ / ٣ الاعلام ٢٣٢ / ٥
× × ×

٥٦ (عدة المعاد

لابن سيد الناس محمد بن محمد البهمري الاندلسي (١)
المتوفى سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م الاول :
(قلبي بكم يسا اهيل الحبي مسلول
وحبله باصصاتي الوصل موصول)

وهي منظومة في عروض قصيدة بانت سعاد لزهير ابن ابي
سليمان المتوفى سنة ٢٦ هـ / ٦٤٥ م (الاعلام ٢٢٦ ، ٥)
الرقم : ٣٩٢٧٤ / ٤

القياس : ٢٠ ص ٢٠ / ٥ × ١٤ ، ٥ سم ١٢ س
معجم المؤلفين ١١ / ٢٦٩ الاعلام ٧ / ٢٤
× × ×

٥٧ (عقائد النسفي

لنجم الدين عمر بن محمد بن احمد النسفي المتوفى سنة
٥٢٧ هـ / ١١٤٢ م
وهي مقدمة مشهورة في العقائد وضمت عليها شروح وحواش
كثيرة .

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م .
الرقم : ٣٩٢٥٤ / ٤
القياس : ٣٣ ص ٢٠ × ١٣ سم ١٩ س
الاعلام ٦٠ / ٥
× × ×

حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م وقيل لغيره .
الاول (الحمد لمن شرف العلوم وروج بضاعتها واعز طالبها
وثن اسلمتها وجعل الصرف مربياً لها وصرافاً بجوهر الباهرة ...
اما بعد فان اقرب المعلوم فاند ...)

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ على يد احمد اغا بن عبد
الله سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م
الرقم : ٣٩١٤١

القياس : ١٥١ ص ٢١ × ١٦ سم ١٧ س
× × ×

٥٢ (ضوء المصباح

لناج الدين محمد بن محمد بن احمد الاسفرائيني المتوفى
٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م

وهو شرح على المصباح في النحو لناصر الدين بن عبد
السيد المطرزي المتوفى سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م .
نسخة جيدة كتبت بخط التعليق الجيد على ورق ابيض
واصفر مؤطرة الصفحات بمداد احمر عليها حواش وشرح كثيرة
وتدبيبات بين السطور تملكها محمود باجةجي زادة .

الرقم : ٣٩١٢٨
القياس : ٢٧٠ ص ٢١ × ١٤ سم ١٥ س
معجم المؤلفين ١١ / ١٨٠ كشف ٢ / ١٧٠٨ طبع
الاعلام ٧ / ٢١ .

× × ×

٥٤ (الضياء

لم يعلم اسم المؤلف

ويتضمن هذا المجلد الجزء الخامس من الكتاب يحتوي
على ٤٨ بابا وهو كتاب في الفقه والاحكام وما يتعلق بها ويورد
المؤلف بالاضافة الى النصوص القرآنية الكريمة والاحاديث
النبوية الشريفة وارااء الفقهاء بعض الشواهد الشعرية المناسبة .
كتبه ناصر بن سليمان بن صالح بن سعيد بن شيرين عبيدان
سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م .

وقد كتب الناسخ في آخره نسخة بيتين من الشعر
نصهما :

كتبت وقصد ايقنت يوماً كتبت
بان يدي تفنى ويبقى كتابها
فيا قارئاً خطي سل الله رحمة
لكاتبه المسدفون تحت ترابها

تم الكتاب تكاملت حال السرور لصاحبه .

الرقم : ٣٩٢٥٦
القياس : ٦٠٠ ص ٢٢ × ١٥ ، ٥ سم ١٧ س
× × ×

x x x

٦١ (غنائم الأيام فيما يتعلق بالحلال والحرام

لأبي القاسم بن محمد حسين (حسن) القمي
الجيلاني^(١١) المتوفى سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م
وهو كتاب في الفقه الاستدلالي الامامي . رتب المؤلف على
اربعة اقسام ، الا انه انجز القسم الاول منه والمتعلق بالطهارة
والعبادات .

نسخة جيدة لملها كتبت بخط المؤلف

الرقم : ٣٩٣١٠

٤٢٢ ص ٢٢,٥ x ١٧ سم ٣٠ س

طبع في ايران سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م الذريعة ١٦ /

٦٣ الاعلام ٥ / ١٨٣ معجم المؤلفين ٨ / ١١٦

x x x

٦٢ (منية الصقلي في شرح منية المصلي

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الحلبي الحنفي المتوفى سنة
٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م

وهو شرح على منية المصلي للكاشغري . وللمؤلف عدة شروح
على المنية ويسمى هذا الشرح بالشرح الكبير فرغ منه المؤلف
سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م

نسخة جيدة مؤطرة الصفحات ترقى الى القرن ١١ هـ /
١٧ م اكمل الصفحات الاخيرة عبد الحميد بن احمد الحديدي
سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م

الرقم : ٣٩٢٦٠

القياس : ٦٠٨ ص ٢٠ x ١٢ سم ١٧ س

كشف ٢ / ١٨٨٦ معجم المؤلفين ١ / ٨٠ / ١١ / ٢٤٩

الاعلام ١ / ٦٦ - ٦٧ طبع اكثر من مرة لخائر التراث ١ / ٢٥

x x x

٦٣ (الفتاوى الانقروية .

لشيخ الاسلام محمد بن الحسين الانقروي او الانكوري^(١٢)
المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م

وهي فتاوى في الفقه الحنفي

نسخة جيدة تتضمن المجلد الثاني من الكتاب الذي يبدأ
بالشهادات . كتبها بخط التعليق الدارج عبد الرحمن باجيجي زادة
لخزانه والي بغداد . تملك هذه النسخة علي القادري نقيب
الاشراف وخام السجادة القادرية سنة ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م

الرقم : ٣٩٢٤٧

القياس : ٦٣٤ ص ٢٠,٥ x ١٧ سم ٢٩ س

معجم المؤلفين ٩ / ٢٣٤ الاعلام ٦ / ١٠٣ طبع اكثر

من مرة لخائر التراث ١ / ٣٦٠

x x x

٥٨ (عمدة السالك وعدة الناسك

لشهاب الدين ابي العباس احمد بن لؤلؤ المصري المعروف
بابن النقيب^(١٣) المتوفى سنة ٧٦٩ هـ / ١٢٦٨ م
الاول :

(الحمد لله رب العالمين وصلي الله على سيدنا محمد وآله
وسلمه اجمعين ، هذا مختصر على مذهب الامام ...) وهو كتاب
في الفقه الشافعي رتب المؤلف على ابواب الفقه .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ عليها حواش وشروح كثيرة
ترقى الى القرن العاشر الهجري القرن السادس عشر الميلادي
الرقم : ٣٩٣٠٤

القياس : ٢٦١ ص ٢١,٥ x ١٥ سم ١٥ س

طبع معجم ٢٦٩ كشف ٢ / ١١٦٧ الاعلام ١ / ٢٠٠

معجم المؤلفين ٢ / ٥٥

x x x

٥٩ (المواظ المائة

لمفيد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الشافعي المتوفى
سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م
الاول :

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه
محمد وآله اجمعين ...)

نسخة جيدة كتبها عبد الكريم بن حسن بن محمد في قرية
ايا بامرني في التكية الخالدية النقيبندية سنة ١٣٥٧ هـ /
١٩٢٨ م

في اول هذه النسخة رسالة في المولد النبوي الشريف
الرقم : ٣٩٣٢٤

القياس : ٣١١ ص ٢٠ x ١٥ سم ٩ س

معجم المؤلفين ٥ / ٣١٠ كشف ٢ / ١١٧٩ ذخائر

التراث ١ / ٤٤٨ طبع اكثر من مرة .

x x x

٦٠ (غريب القرآن

لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني الميزي^(١٤) المتوفى
سنة ٢٣٠ هـ / ٩٤١ م
الاول :

(الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله وصحبه
اجمعين ...)

وهو كتاب في تفسير غريب القرآن الكريم رتب المؤلف على
حروف المعجم ، وقد سمي هذا الكتاب كذلك بنزلة القلوب وفرحة
المكروب ، قيل ان المؤلف قضى في تصليفه خمسة عشر عاماً .

كتب هذه النسخة بخط التعليق الجيد محمد رضا الرشدي
سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٢١ م عليها حواش وشروح وتعليقات .
الرقم : ٣٩٢٥٩

القياس : ٥٢ ص ٢٠ x ١٥ سم ٢٧ س

كشف ٢ / ١٢٠٨ الاعلام ٦ / ٢٦٨ ذخائر التراث ١ /

٦٤) الفتاوى الزينية

لزين الدين بن ابراهيم بن محمد المصري المعروف بابن نجيم^(١٦) المتوفى سنة ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ م
الاول :

(حمداً لمن ابرز العالم على احسن ترتيب ونظام ...)
وتعرف هذه الفتاوى بفتاوى ابن نجيم .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١١ هـ /
١٧ م تملكها ابراهيم الحلبي ومراد بن محمد شيخ خلاويه .
الرقم : ٢٩٣١٩

القياس ٢٢٤ ص ٢٠ × ١٤,٥ سم ١٩ س
معجم المؤلفين ٤ / ١٩٢ كشف ٢ / ١٢٢٣ ذخائر
التراث ١ / ٢٦٠ طبعت الاعلام ٢ / ٦٤
x x x

٦٥) الفوائد الضيائية

لنور الدين عبد الرحمن بن احمد الجامي النقشبندي^(١٧)
المتوفى سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م
الاول :

(الحمد لوليه والصلاة على نبيه وعلى آله واصحابه
المتأدبين بأدابه ...)

وهو شرح لخص فيه المؤلف معظم شروحات الكافية في
النحو لابن الحاجب وقد سماها كذلك بفوائد وافية لحل مشكلات
الكافية

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١١ هـ /
١٧ م عليها حواش وشروح كثيرة وتذييلات بين السطور ناقصة
الآخر

الرقم : ٣٩١٤٨
القياس : ١٣١ ص ٢٠ × ١٥,٥ سم ١١ س
كشف ٢ / ١٣٧٢ الاعلام ٢ / ٢٩٦ طبعت اكثر من مرة
ذخائر التراث ١ / ٤٤٥ .
x x x

٦٦) القاموس المحيط والبابوس الوسيط

لمحمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الفيروز آبادي^(١٨)
المتوفى سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م

رتبه المؤلف على حروف الهجاء باعتبار اواخر الكلمات .
نسخة جيدة كتبت الكلمات بالاحمر والاصفر والاخضر
والاسود وبخط الثلث ومما فيها بخط النسخ . وقد كتبت هذه
النسخة سنة ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م عليها مقابلة وتصحيح
مؤرخ سنة ١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م

الرقم : ٣٩١٥٧
القياس : ٤٥٢ ص ٣٠ × ٢٠ سم ٣١ س
كشف ٢ / ١٣٠٦ الاعلام ٧ / ١٤٦
x x x

٦٧) قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر

لمحمد يحيى بن يوسف الرمي التاذفي الحنفي^(١٩)
المتوفى سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م

الاول : (الحمد لله الذي فتح لاوليائه طرق الهدى واجرى على
ايديهم انواع الخيرات ونجاهم من الردى ... وبعد فاني لما طالعت
التاريخ المعتبر في انباء من غير تاريخ قاضي القضاة عبد الرحمن
العلمي العمري المقدسي الحنبلي تفعمده الله برحمته وجدت
المؤلف قد اختصر ترجمة سيدنا ومولانا وشيخنا وقنوتنا الى الله
تعالى الشيخ عبد القادر الجيلي ...)

ضمنه المؤلف ترجمة واسعة عن الشيخ عبد القادر الكيلاني
وكراماته واخبار جماعة من المنتسبين اليه من القاطنين بحماة
وغيرهم .

نسخة جيدة كتبت بخط الرقعة سنة ١٢٧٥ هـ /
١٨٥٨ م عليها تعليقات وحواش مؤطرة الصفحات بمداد احمر .
الرقم : ٣٩٢٧٣

القياس : ٢٤٠ ص ١٩ × ١٤ سم ٢١ س
معجم المؤلفين ١٢ / ١١٣ الاعلام ٧ / ١٤٠ ذخائر
التراث ١ / ٤٠٦
x x x

٦٨) القوانين المحكمة

للميرزا ابي القاسم بن محمد حسن الجيلاني القمي
المتوفى سنة ١٢٣١ هـ / ١٧٣٧ م

وهو كتاب في اصول الفقه الامامي فرغ منه المؤلف سنة
١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م

كتبها بخط النسخ الجيد عبد الملي بن عبد الله الخلخالي
سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م دفئا الغلاف من الجلد البني عليه
زخارف ملونه

الرقم : ٣٩٢٥١
المقياس : ٤٠٢ ص ٢٣ × ١٨ سم ١٧ س
الذريعة ١٧ / ٢٠٢ معجم المؤلفين ٨ / ١١٦ الاعلام

١٨٣ / ٥ طبع معجم ٧٢٦

x x x

٦٩) قيد الشرائد ونظم الفرائد

لامين الدين عبد الوهاب بن احمد بن وهبان الدمشقي
الحنفي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م

الاول :
(بدائتنا بالحمد لله اجدر

وما ليس مبسوط به فهو ابتر
وتسليمننا بعد الصلاة مؤكداً
على احمد المختار في الذكر ينشر)

من مرة

x x x

(٧٣) مجموع في تفسير القرآن الكريم

لم يعلم اسم الجامع

تضمن هذا المجموع قطعة من تفسير سور وآيات قرآنية
كريمة نقلت من تفاسير مختلفة كتفسير أبي الليث وغيره كما
تضمن فوائد في الادعية والاذكار والاحاديث

نسخة كتبت بخط دارج كتب في آخرها فوائد تاريخية
وتولدات بعضها مؤرخ سنة ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م

الرقم ٣٩٣١٤

القياس ١٩٨ ص ٢١ x ١٦ سم ٢٩ س

x x x

(٧٤) مجموع في الفتاوى

لحبيب بن عبد الرزاق الذي كان حياً سنة ١٢٤٥ هـ /

١٨٢٩ م

وهي فتاوى منقولة من كتب الفقه وكتب الفتاوى المعروفة
كالخيرية والبيازية والمعادية وغيرها . في اولها فهرس كتب بخط

المؤلف سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م

الرقم ٣٩٣١٣

القياس ٢٨٠ ص ٢٠ x ١٦ سم ١٢ س

x x x

(٧٥) مجيب النذا في شرح قطر النذا ويل الصدا

لجمال الدين عبد الله بن احمد بن علي الفاكهي
الشافعي^(٢٠) النحوي المتوفى سنة ٩٧٢ هـ / ١٥٦٥ م
الاول : (الحمد لله الرفع من انخفط بمرزه وسلطانه ، المفيض
على من نحاه وقصده سحاب عفو وغفرانه ...)

وهو شرح على قطر النذا ويل الصدا في النحو لابن هشام

الانصاري المتوفى سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م

نسخة نفيسة كتبت بخط المؤلف سنة ٩٢٣ هـ /

١٥١٧ م في اولها ابيات للشافعي كتبها (محمد عبد العال

البرياقوس)

الرقم : ٣٩١٥١

القياس : ٢٤٧ ص ١٨ x ١٣ سم ١٧ س

كشف ٢ / ١٣٥٢ معجم المؤلفين ٦ / ٢٨ ذخائر التراث

١ / ٢٦٩ الاعلام ٤ / ٦٩

x x x

(٧٦) مختصر غنية المتملي شرح منية المصلي

كلاهما لابراهيم بن محمد بن ابراهيم الحلبي المتوفى سنة

وهي منظومة رائية من بحر الطويل في فروع الفقه الحنفي
تقع في الف بيت ، وللمؤلف شرح عليها سماه عقد القلائد في حل
قيد الشرائد ضمنها غرائب المسائل الفقهية

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م عليها حواش
وتعليقات

الرقم : ٣٩٣٢١

القياس : ٨٤ ص ٢١ x ١٧ سم ١٥ س

كشف ٢ / ١٨٦٥ معجم المؤلفين ٦ / ٢٢٠ الاعلام ٤ / ١٨٠

x x x

(٧٠) كتاب في الفتاوى

لم يعلم اسم المؤلف

وهي مجموعة فتاوى في الفقه الحنفي على شكل اسئلة
واجوبة رتبها المؤلف على ابواب الفقه

نسخة جيدة ناقصة ورقة واحدة من الاول كتبت سنة

١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م

الرقم : ٣٩٣١٥

القياس : ٢٢٤ ص ٢١ x ١٥ سم ١٨ س

x x x

(٧١) كتاب في المواعظ والحكم

لم يعلم اسم المؤلف

كتب بخط النسخ الدارج سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م

الرقم : ٣٩٢٥٨

القياس : ١٢٨ ص ٢١ x ١٥ سم ٢٠ س

x x x

(٧٢) كنز الدقائق

لابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود المعروف بحافظ

الدين اللسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م

الاول :-

(لما رأيت الهمم مائلة الى المختصرات والطباع راغبة عن
المطلولات اردت ان الخص الوافي بذكر ما عم وقوعه وكثر
وجوده ...)

وهو مختصر على كتاب المؤلف الموسوم بالوافي الذي
شرحه وسماه الكافي

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م ناقصة قليلاً

من الاخر

الرقم : ٣٩٣٢٠

القياس : ٢٢٠ ص ٢٢ x ١٦ سم ١٥ س

معجم المؤلفين ٦ / ٣٢ ذخائر التراث ٢ / ٨٧٨ طبع اكثر

وحصرت عن شكر نعمته السنة الحامدين وقصرت عن وصف كمال افكار العالمين ...)

وهو كتاب في الفقه الامامي ويسمى ايضاً بالنافع في مختصر الشرائع

نسخة جيدة كتبها بخط النسخ احمد بن جمال الدين سنة ٩٦٧ هـ / ١٥٥٩ م عليها تعليقات وشروح وحواش في اولها فهرس لمحتويات الكتاب

الرقم ٣٩٢٤٣

القياس ٣٥٥ ص ١٩ × ١٢ سم ١٥ س
الزريعة ٢٠ / ٢١٣ الاعلام ٢ / ١٢٣ ذخائر التراث ٢ /

٨١٧ طبع اكثر من مرة .

x x x

(٨١) مسكن الفؤاد عند فقد الاحبة والاولاد

لزين الدين بن علي بن احمد العاملي المتوفى سنة ٩٦٦ هـ / ١٥٥٠ م

الاول : (الحمد لله الذي قضى بالفناء والزوال على جميع عباده وانفذ امره فيهم على وفق كلمته ومراده ...)

وهي رسالة وضعها المؤلف بعد وفاة ولده سنة ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م ورتبها على مقدمة وابواب وخاتمة

نسخة جيدة حديثة الخط ناقصة الاخر .

الرقم ٣٩٢٦١ / ٣

القياس ١٧٦ ص ١٩ × ١٣ سم ١٤ س
الزريعة ٢١ / ٢٠ الاعلام ٢ / ٦٤ ذخائر التراث ١ /

٦٢٤ طبع في العراق .

x x x

(٨٢) المطالب السنية للفتاوى العينية

لحامد بن علي بن ابراهيم بن عبد الرحيم الممسيحي
الدمشقي الحنفي^(٢٢) المتوفى سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م

وهي مجموعة من الفتاوى في الفقه الحنفي رتبت على ابواب الفقه ، وثقها المؤلف على الاصول التي اعتمد عليها . في

اولها فهرس بابواب الكتاب .
نسخة جيدة لعلها بخط المؤلف

الرقم ٣٩٣٢٦

القياس ٣٩٢ ص ٣٣ , ٥ × ١٠ , ٥ سم ٥٦ س
معجم المؤلفين ٣ / ١٨٠ ذ / كشف ٢ / ٤٩٥

x x x

(٨٣) مطالع الانظار

لابي الثناء محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م

٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م

الاول : (الحمد لله انذني جمال العبادة مفتاح السعادة ومطلع السيادة ...)

كتبت بخط النسخ الدارج ترقى الي القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد ناقصة قليلا من الاخر .

الرقم ٣٩٣٠٣

القياس ٤٩٣ ص ٢٢ × ١٥ سم ١٣ س
معجم المؤلفين ١ / ٨٠ كشف ٢ / ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ طبع

بعنوان شرح منية المصلي معجم ١٣

x x x

(٧٧) مختصر القدوري

لابي الحسين احمد بن محمد بن جعفر بن حمدان البغدادي المعروف بالقدوري^(٢٣) المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م

الاول : (الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله الطاهرين ...)

وهو مختصر مشهور في الفقه الحنفي
نسخة جيدة ترقى الى القرن العاشر الهجري السادس عشر

الميلادي

الرقم ٣٩٣٢٢

القياس ٢٨٢ ص ١٩ , ٥ × ١٤ , ٥ سم ١٥ س
كشف ٢ / ١٦٢١ معجم المؤلفين ٢ / ٦٦ الاعلام ١ /

٢١٢ طبع اكثر من مرة ذخائر التراث ٢ / ٧٥٤

x x x

(٧٨) نسخة اخرى

جينة الخط عليها حواش وشروح ترقى الى القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد

الرقم ٣٩٢٦٦

القياس ٣٦٦ ص ٢٢ , ٥ × ١٦ سم ٩ س

x x x

(٧٩) نسخة اخرى

كتبها مصطفى بن ملا احمد سنة ١١٨٢ هـ / ١٨٦٥ م

الرقم ٣٩٢٧١

القياس ٤١٤ ص ٢٢ × ١٦ سم ١١ س

x x x

(٨٠) المختصر النافع

لنجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى المحقق الحلبي^(٢٤) المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م

الاول : (الحمد لله الذي صفرت في عظمته عبادة العابدين

وهو شرح على مصابيح السنة للبغوي المتوفى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م اورد فيه اصطلاحات اهل الحديث نسخة جيدة ترقى الى القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي

الرقم ٣٩٢٦٩
القياس ٤٢١ ص ٢٨ x ٢٢ سم ٢٩ س
الاعلام ٢ / ٢٥٩ كشف ٢ / ١٦٩٩ معجم المؤلفين ٤ / ٦٠

x x x

(٨٧) مفتاح السعادة

لكمال الدين بن اسايش الشرواني
الاول : (الحمد لله رب العالمين والماقبه للمتقين والصلاة على خير خلقه محمد خاتم النبيين وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى آلهم واصحابهم اجمعين ، وبعد فاني رأيت ان انواع العلوم كثيرة ...)

وهو كتاب في الفقه اختار فيه المؤلف مسائل الصلاة والصوم والاضحية ومسائل الكفر والكراهية والزكاة والحج والايمان والتوبة . ورتبه على ابواب حسب موضوعاته .

نسخة جيدة كتبت بخط التعليق الجيد ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م

الرقم ٢٩٢٤٤
القياس ٧٠٠ ص ٢٢ x ١٦ سم ١٧ ، ١٤ س
كشف ٢ / ١٧٦١

x x x

(٨٨) المقاصد النافعة

لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م

الاول : (الحمد لله رب العالمين والماقبه للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ...)

وهي رسالة في التوحيد رتبها المؤلف على سبعة مقاصد وخاتمة .

نسخة جيدة كتبت سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م تملكها احمد بن سيد مصطفى القادري كليدار الحضرة القادرية

الرقم ٣٩٣١٨
القياس ٢٩ ص ٢٤ x ١٤ سم ٩ س
الاعلام ٨ / ١٤٩ ذخائر التراث ٢ / ٨٨٩ طبع

x x x

(٨٩) المقدمة الاجرومية

لابي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن أجروم^(٢٠) المتوفى سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م
الاول : (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع واقسامه ثلاثة :

وهي شرح على طوابع الانوار في علم الكلام لناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م وضعه الشارح للملك الناصر محمد بن قلاوون

نسخة نفيسة كتبها عبد الرحمن بن محمد صاوجي سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م

الرقم ٣٩٢٤٨
القياس ٢٦٢ ص ١٨ , ٥ x ١٣ , ٥ سم ٢١ س
كشف ٢ / ١١١٦ معجم المؤلفين ١٢ / ١٧٣ الاعلام ٧ / ١٧٦ طبع

x x x

(٨٤) المطول

لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م

الاول : (الحمد لله الذي الهنا حقائق المعاني ودقائق البيان وخصصنا ببدايع الايادي وروائع الاحسان ...)

وهو شرح على تلخيص المفتاح للقزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٢٨ م الواقع على مفتاح العلوم للسكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م فرغ منه الشارح سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م
الرقم ٢٩١٥٨

القياس ٣٠٨ ص ٣٠ x ٢٠ سم ٢٥ س
كشف ١ / ٤٧٤ الاعلام ٧ / ٢١٩ ذخائر التراث ١ / ٤١٣ طبع .

x x x

(٨٥) معجم لغوي تركي

لم يعلم اسم المؤلف

رتب على ابواب .

كتبه بخط التعليق الجيد يحيى بن فخر الدين بن يحيى الحسيني الموصلني سنة ١١٣٩ هـ / ١٧٢٦ م

الرقم ٣٩١٤٠
القياس : ١٧٥ ص ٢١ x ١٥ سم ١٩ س
x x x

(٨٦) المفاتيح في شرح المصابيح

لمظهر الدين حسين بن محمود بن حسن الزيداني^(٢١) المتوفى سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م

الاول : (احمد الله ... اما بعد فقد الح علي زمرة خلاني وثلة خلصاني ان اشرح كتاب المصابيح ...)

اسم ولعل وحرف ...)

كتبت بخط النسخ الدارج ترقى الى القرن ١٣ هـ / ١٩ م

الرقم ٢٩١٦٠

القياس ١٠٨ ص ٢٨ × ٢٠ سم ٤ س

معجم المؤلفين ١١ / ٢١٥ طبعت اكثر من مرة بعنوان

(الاجرومية) ذخائر التراث ١ / ٢٦ - ٢٧ الاعلام ٧ / ٢٢

x x x

٩٠ (مقدمة في الصلاة

لابي الليث نصر بن محمد بن احمد السمرقندي^(٢٦) المتوفى

سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م

الاول : (الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا

على الظالمين والصلاة والسلام على خير البرية محمد وآله

واصحابه اجمعين ...)

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م

الرقم ٣٩٢٤٦ / ١

القياس ١١٢ ص ٢١ × ١٥ سم ١١ س

معجم المؤلفين ١٣ / ٩١ الاعلام ٨ / ٢٧

x x x

٩١ (مقصود في علم الصرف

منسوب للامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى

سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م

الاول : (الحمد لله الوهاب للمؤمنين سبيل الصواب والصلاة

والسلام على نبيه محمد الزاجر عن الاذنب ... اما بعد فان العلوم

العربية وسيلة الى العلوم الشرعية ...)

نسخة جيدة كتبها محمد صالح بن علي الاعظمي امام

جامع الحيدرخانه سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م

الرقم ٢٩٣٠٢

القياس : ٢٨ ص ٢٠ × ١٤ سم ١٧ س

الاعلام ٨ / ٣٦ كشف ٢ / ١٨٠٦

x x x

٩٢ (مكارم الاخلاق في طاعة الخلاق

لعبد الرحمن بن جواد

الاول : (الحمد لله الذي رفع السماء فعلاها وزينها بالزهرات

وبالقمر ... اما بعد فهذا كتاب في المواعظ ...)

وهو كتاب في المواعظ وطلب العلم والطبائع والصدقات

والادعية وبعض الاحكام الشرعية التي قلها المؤلف من مصادر

عديدة ورتبها على ثلاثة وثلاثين درساً ، وهو الجزء الاول من

الكتاب .

كتبت بخط المؤلف عليها استدراكات وتصحيحات وشرح

خط المؤلف

الرقم ٢٩٣١١

القياس ٢٣٦ ص ٢٤ × ٢١ سم ٣٠ س

x x x

٩٣ (منتهى امل الاديب من الكلام عن مغني اللبيب

لاحمد بن محمد بن علي الحلبي الحصكفي المعروف بابن

الملا^(٢٧) المتوفى في حدود ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٥ م

وقد شرح على كتاب مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لعبد

الله بن يوسف بن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦٢ هـ /

١٣٦٠ م

نسخة نفيسة كتبت بخط النسخ ترقى الى عصر المؤلف

ناقصة ورقة واحدة من الاول وقليلاً من الآخر .

الرقم ٣٩١٥٠

القياس ٧٩٦ ص ٢٠ × ١٥ سم ٣١ س

معجم المؤلفين ٢ / ١٢٣ الاعلام ١ / ٢٣٥ كشف ٢ /

١٧٥٢ لم يطبع

x x x

٩٤ (منظومة في الاستعارات

لمحمد معروف بن مصطفى بن احمد النودهي البرزنجي

المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٢٨ م

الاول :

(لذاتك المحامد الوفيه

ثم على نبيك التحية

من فضله استعير كل فضل

وآله اولي الهدى والاهل

وهي منظومة على رسالة الاستعارات لابي الليث

السمرقندي . في آخرها منظومة في آداب البحث والمناظرة

الرقم ٢٩٢٧٤ / ١

القياس ١٧ ص ٢٠ × ١٤ سم ١٢ س

الاعلام ٧ / ١٠٥ معجم المؤلفين ١٢ / ٤١

x x x

٩٥ (منظومة في علم الوضع

لمحمد معروف بن مصطفى بن احمد النودهي البرزنجي^(٢٨)

المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٢٨ م

الاول :

(احمد ذا العرش مصلياً على

محمد وآله ذوي الملا

وهي منظومة على الرسالة العضدية في علم الوضع لعبد

الرحمن بن احمد الايجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م

الرقم ٢ / ٢٩٢٧٤

القياس ٧ ص ٢٠, ٥ × ١٤, ٥ سم ١٢ س
كشف ١ / ٨٩٨ الاعلام ٧ / ١٠٥ معجم المؤلفين ١٢ / ٤١

x x x

(٩٦) منظومة في علم العروض .

لمحمد معروف بن مصطفى بن احمد النوهي البرزنجي
المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٢٨ م
الاول :

قال محمد حسيني النسب
الحمد للهادي الى علم الادب
ثم الصلاة والسلام ابدا
على النبي الهاشمي احمد (

الرقم ٣ / ٢٩٢٧٤

القياس ٩ ص ٢٠, ٥ × ١٤, ٥ سم ١٢ س
الاعلام ٧ / ١٠٥ معجم المؤلفين ١٢ / ٤١
x x x

(٩٧) المنهاج القويم

لابي العباس احمد بن محمد بن حجر الهيتمي المتوفى سنة
٩٧٣ هـ / ١٥٦٦ م
الاول : (الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافيء
مزيده ...)

وهو شرح على المقدمة الحضرية في الفقه الشافعي لعبد
الرحمن الحضرمي المتوفى سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م (معجم
المؤلفين ٦ / ٦٨)

نسخة جيدة كتبت سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م عليها
حواش وشرح
الرقم ٣٩٢٧٠

القياس ٥٢٢ ص ٢٠ × ١٥ سم ١٩ س
كشف ٢ / ٥٤٣ معجم المؤلفين ٢ / ١٥٢
x x x

(٩٨) موصل الطلاب الى قواعد الاعراب

لخالد بن عبد الله الازهري الجرجاوي المتوفى سنة
٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م

الاول : (الحمد لله الملهم لحمده ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد رسوله وعبيده وعلى آله وجنته ...)

وهو شرح على قواعد الاعراب لنفس المؤلف
نسخة جيدة كتبها عبد الله بن عباس الجاكيري البغدادي
الماتريدي سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م في آخرها دعاء للشيخ
عبد القادر الكيلاني ، عليها تملك لمحمد علي علاء الدين بن عبد
الرحمن مؤرخ سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م ومحمد نافع بن محمد
سعيد مفتي بغداد سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م
الرقم ٢٩١٣٩

القياس : ١١٠ ص ٢١, ٥ × ١٥, ٥ سم ١٥ س
كشف ١ / ١٢٤ الاعلام ٢ / ٢٩٧
x x x

(٩٩) نتائج الافكار

لمصطفى بن حمزة بن ابراهيم الحنفي المعروف
بالاطهلي^(٢١) الذي كان حياً سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م
الاول : (الحمد لله الذي جعل الالفاظ قوالب المعاني وفضلها
على سائر الاصوات لنظم درر حروف المباني ...)

وهو شرح على اظهار الاسرار في النحو لمحمد بن پير علي
المعروف ببركوي المتوفى سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٢ م
فرغ منه الشارح سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م

نسخة جيدة مذهب الاول كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن
١٢ هـ / ١٨ م
الرقم ٣٩١٤٦

القياس ٢٣٩ ص ٢١, ٥ × ١٥ سم ٢١ س
معجم المؤلفين ١٢ / ٢٤٩ الاعلام ٧ / ٢٣٢
x x x

■ الهوامش ■

المؤلفين ١ / ٣٠٠ .

(٣) ولد وتعلم باصبهان سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م مفسر منطقي
فلسفي لغوي رحل الى دمشق واعجب به ابن تيمية ثم انتقل الى القاهرة
 واصبح من مشايخها وتوفي فيها من آثاره : تفسير القرآن ، شرح فصول
النسفي ، مطالع الانظار في شرح طوابع الانوار وغيرها

(٤) وهو عالم مفسر وينسب الى كواشة وهي قلعة في الموصل في
شمال العراق . من كتبه تبصرة المتذكر في التفسير وكشف الحقائق
ويعرف بتفسير الكواشي وكتاب التلخيص في تفسير الكتاب العزيز

(١) ولد في مرسية بالانديلس سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م وانتقل الى
اسبيلية وزار بلاد الروم والحجاز والعراق ومصر واستقر بدمشق وتوفي
فيها . الشيخ الاكبر ، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم ، قوة
القاتلين بوحدة الوجود كما يقول الذهبي له نحو (٤٠٠) كتاب ورسالة
منها الفتوحات المكية ، فصوص الحكم ، التوقيعات ، محاضرة الابرار
ومسامرة الاخيار ، عنقاء مغرب ... وغيرها

(٢) اطلق المؤلف هذه الرسالة من كتاب مصباح المشكاة لاحمد بن
عبد الله بن المتوح البحراني المتوفى سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م معجم

(٥) ولد في غزة سنة ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م وتوفي فيها شيخ الحنفية في عصره من آثاره : تنوير الابصار ، منح النفار ، مسحف الحكام على الاحكام وغيرها .

(٦) لم يرد ذكر لعنوان هذا الكتاب ضمن مؤلفات الغزالي . الا ان في دار صدام نسخة اخرى نسبت للغزالي كما ان للغزالي كتاب الدرة الفاخرة في احوال الاخرة نسخة منها في دار صدام للمخطوطات برقم ١٨٠٨٩ وفي اوقاف الموصل وهي غير هذا الكتاب

(٧) قاضي حنفي من علماء الروم اصله من ولاية قسطنطيني عمل في التدريس وولي قاضياً في الاستانة وتوفي فيها من آثاره : الفوائد البهية ، حاشية على المنايه . الخ]

(٨) نسبة الى سيالكوت في الهند ، مفسر ، لثوي ، كلامي له تاليف كثيرة منها : كتاب في العقائد ، حاشية على تفسير البيضاوي وغيرها . (٩) فقيه امامي من اهل البحرين ولد سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م توفي بكريلاء من آثاره : انيس المسافرين وجليس الخواطر ، الدرة النجفية من الملتقطات اليوسفيه وغيرها .

(١٠) فقيه حنفي ولد بمكة المكرمة سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م وتفقه فيها وولي قضاها من آثاره : شرح مجمع البحرين في الفقه ، البحر العميق ، تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام ، الذكت على الصحيح في الحديث ، تاريخ مكة والمدينة والقبر الشريف وغيرها (١١) اصله من اشبيلية ولد بالقاهرة سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م مؤرخ اديب محدث من آثاره : عيون الاثر في فنون المعنازي والشعائل والسير ، بشرى اللبيب في نكري الحبيب ، تحصيل الاصابة في تفضيل الصحابة ، المقامات العلية في الكرامات الجلية وغيرها

(١٢) فقيه شافعي ولد بمصر سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م وتوفي فيها من آثاره : تسهيل الهداية وتحصيل الكفاية ، السراج في نكات المنهاج للنووي ، تشريح المذهب في تصحيح المذهب وغيرها .

(١٣) مفسر اشتهر بكتابه غريب القرآن ، كان مقيماً ببغداد وتوفي بها . قيل ان اسم ابيه (عزيز)

(١٤) ولد بقم سنة ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م وتوفي فيها له مؤلفات كثيرة بالعربية والفارسية من آثاره : القوانين في الاصول ، الفنائم ، مختصر في الفقه

(١٥) فقيه حنفي من العلماء الاتراك المستعربين ينسب الى أنقرة التي ولد بها . وتعلم بالقسطنطينية وولي قضاها وقضاء مصر ، ثم عين شيخاً للإسلام وتوفي عن ٧٠ عاماً له الفتاوى الانقروية وتفسير آية الكرسي

(١٦) فقيه حنفي مفتي من علماء مصر . من آثاره : الاشياء والنظائر في اصول الفقه ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، الرسائل الزينية التي بلغت (١٤) رسالة .

(١٧) ولد في جام (من بلاد ماوراء النهر) سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م انتقل الى هراة وتفقه فيها وصحب مشايخ الصوفية حج سنة ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م وطاف في البلاد العربية والاسلامية وعاد الى هراة وتوفي بها . من آثاره : شرح فصوص الحكم لابن عربي ، الدرر الفاخرة في التصوف ، شرح الرسالة المضدية . وله تاليف باللغة الفارسية .

(١٨) ولد بكازين من اعمال شيراز وانتقل الى العراق وجال في مصر والشام وبلاد الروم والهند واستقر بزيد في اليمن سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م وتوفي فيها من أئمة اللغة والادب والتاريخ والتفسير ، حتى

كان مرجع عصره في هذه العلوم ، وولي قضاء زبيد من آثاره : تنوير المقياس في تفسير ابن عباس ، نزهة الانهان في تاريخ اصبهان ، المفاهيم المطابة في معالم طاب (القسم الجغرافي) من القاموس المحيط حققه حمد الجاسر ، سفر السعادة في الحديث والسيرة وغيرها (١٩) ولد في حلب سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م قاضي حنفي ، ثم حنفي ، ولي القضاء في رشيد بمصر ثم في حوران بسورية ثم اقام بحلب وتوفي فيها وبها الف قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر وله شرح المروض الاندلسي وغيرها .

(٢٠) ولد بمكة المكرمة سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م واقام بمصر وتوفي فيها عالم بالشرعية من آثاره : الفواكه الجنية على مقدمة الاجروضية في النحو ، حسن التوسل في آداب الزيارة ، افضل الرسل ، كشف النقاب عن مخبرات ملحة الاعراب ، الحدود الذموية التي استقبلت حدود النحو وجمعها في هذا الكتاب وغيرها .

(٢١) ولد ببغداد سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م فقيه حنفي انتهت اليه رئاسة الحنفية في العراق وتوفي في بغداد من آثاره التجريد في الخلاف بين الشافعي وابي حنيفة واصحابه ويقع في سبعة اجزاء المجلة الاولى منه في مكتبة شستريتي وله كتاب الذكاح .

(٢٢) فقيه امامي ولد سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م من اهل الحلة كان مرجع الامامية في عصره له علم بالادب من آثاره : شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام ، المختصر في شرح المختصر ، نكت النهاية في الفقه وغيره .

(٢٣) ولد بدمشق سنة ١١٠٣ هـ / ١٦٩٢ م وتوفي فيها ، شاعر اديب فقيه من آثاره : مقني المفني عن جواب المستفتي ، اتحاف القمرين في بيت الرقمتين ، الاتحاف في شرح خطبة الكشاف ، ديوان شعر . وغيرها .

(٢٤) من العلماء بالحديث ينسب الى صحراء زيدان بالكوفة من ارض العراق من آثاره : فوائد في انواع الحديث ، فوائد في اصول الحديث . المقاتيح في شرح المصابيح .

(٢٥) ولد بفاس سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م عالم لغوي اشتهر برسائله الاجروضية . من آثاره : فوائد المعاني في شرح جز الاماني وهو شرح على الشاطبية وله اراجيز ومصنفات اخرى .

(٢٦) من أئمة الحنفية من الزهاد المتصوفين لقب بامام الهدى من آثاره الكثيرة : تفسير القرآن ، عمدة العقائد ، خزنة الفقه ، بستان المارفين في التصوف ، عيون المسائل ، شريعة الاسلام ، مختلف الرواية ، النوازل من الفتاوى ، دقائق الاخبار وغيرها .

(٢٧) اصله من حصن كيفا واليه نسبته ولد بحلب سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٣٠ م وتوفي فيها متولياً من آثاره : عقود الجمان في وصف نبذة من الفلمان ، الروضة الوردية في الرحلة الرومية (وصف فيها رحلته الى القسطنطينية) مختصر تاريخ الذهبي ، الذائر السابق من اقتطاف الشقائق النعمانية وغيرها .

(٢٨) ولد في قرية نوذي في السليمانية سنة ١١٦٦ هـ / ١٧٥٣ م من اسرة يتصل نسبها باليد عيسى الحسيني وهو باحث لغوي متصوف اديب من آثاره : قطر العارض في علم الفرائض ، تخميس البردة ، فتح المرفق في علم المنطق ، وسيلة الوصول الى علم الاصول وغيرها .

(٢٩) من علماء الترك ، ولد بطرابزون وسكن اسطنبول ، لغوي اديب من آثاره : حاشية على امتحان الانكباء للبركلي شرح اللب للبيضاوي .

نظرات نقدية في كتاب غرر البلاغة في النظم والنثر للثعالبي

محاسب هاني الجراح

عن دار الشؤون الثقافية العامة ، صدر ببغداد ، عام ١٩٩٨ م كتاب (غرر البلاغة في النظم والنثر) لابي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) بتحقيق د . قحطان رشيد صالح ، في ١٨٥ صحيفة ، ويضم الكتاب عشرة أبواب ؛ خصص المؤلف الباب العاشر للنصوص الشعرية ، وهو اطولها ، والابواب السابقة للنصوص النثرية ، وقد اختارها بعناية فائقة دلت على نوق ممتاز ، وانتقاء دقيق .

وهذا الكتاب هو الثاني للثعالبي ، الذي يحققه د . قحطان بعد كتاب : (لباب الاداب) الذي صدر عن الدار نفسها عام ١٩٨٨ م ، بجزئين ، وهو - بهذا - يكون قد اسهم في تحقيق اثار الثعالبي ، مع نخبة خيرة من المحققين العراقيين .

واحترق بالكتاب الذي إقتنيته يوم صدوره ، أثبت جملة ملاحظات ونظرات نقدية تحليلية هي خلاصة تتبع واستقرأ بذلت فيها الكثير من الوقت والجهد .

وها هي ذي مبسطة على وفق الفقر الآتية :

أولاً : مقدمة الكتاب

كتب المحقق الكريم مقدمة للكتاب شملت الصفحات ٥ - ١٨ ، تناول فيها : حياة الثعالبي وشعره ، ومخطوطات الكتاب ، والمقارنة بين غرر البلاغة والايجاز والاعجاز . وهذه الامور الثلاثة سنقف عندها تفصيلاً :

١ - حياة الثعالبي وشعره :

تحدث د . قحطان عن الثعالبي وشخصيته وأسلوبه واحكامه النقدية بصورة عامة ومن المعلوم ان الثعالبي ليس شخصاً مجهولاً كي يترجم له ، فما كتبه هنا سبق ان اشيعه الآخرون بتفصيل وتوثيق دقيقين ، كالمرحوم زكي مبارك في (النثر الفني في القرن الرابع) ، ود . محمود عبد الله الجادر في رسالته للماجستير (الثعالبي ناقدٌ وأديباً) ، وهما مرجعان مهمان اعتمد عليهما د . قحطان فكان يستحسن رعاية الاختصار الشديد في ترجمة الثعالبي التي شغلت سبع صحائف ، اما الكلام عن منهجه وأسلوبه فلم يشمل (غرر البلاغة) بل استطراد الى كتبه الأخرى !

بل ان هذه المقدمة ليس فيها اي شيء جديد ، بل هو تكرار لما

ذكره مترجموه من المحققين فضلاً عن عدم الاشارة الى قوائم آثاره التي صنموها سواء بالاضافة ام النقد . ومن الامور الأخرى :

١ - ورد ص ٧ : (الانيس في غريب التجنيس) .

اقول : هذا الاسم ذكره ابن قاضي شعبة (ت ٨٥١ هـ) في « طبقاته »^(١) ، والصواب : (الانيس في غرر التجنيس) ، وقد حققه الاستاذ هلال ناجي في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٢٣ ، ١٩٨٢ م ، ثم أعيد نشره ببيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٢ - وفي ص ١١ تحدث عن شعره وذكر عمل المرحوم د . عبد الفتاح محمد الحلوفي مجلة (المورد) عام ١٩٧٧ م ، ثم استدرك د . محمود الجادر عليه في المجلة نفسها ، الجزء الثالث .

اقول : نشر استدراك د . الجادر في العدد الثالث ، ١٩٧٩ م ، ص ٤٣٤ - ٤٤٣ ، واعيد في كتابه : دراسات توثيقية وتحليلية في مصادر التراث ، ١٩٩٠ ، ص ٢٦٧ - ٢٨٨ .

وعلاوة على ذلك فقد فات د . قحطان استدراك مهم للاستاذ هلال ناجي نشر أولاً في مجلة المورد ، مج ١٥ ، العدد ٢ ، ١٩٨٦ م ، ص ١٩٩ - ٢١٠ ، وضم ٥٣ مقطوعة ، ثم اعانه -

بعد ان اضاف اليه ست مطبوعات في كتاب : المستدرك على صناع البواوين (ط ١ ، ١٩٩٣ ، ١ / ٤٢ - ٥٨) ، (ط ٢ ، ١٩٩٨ ، ١ / ٥٢ - ٧١) .

ثم أصدر د . محمود الجادر : (ديوان الثعالب دراسة وتحقيق ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠ م ، ونشرت مقالاً ضم ملاحظات نقدية ومستدركاً على عمل د . الجادر في مجلة (العرب) ج ١١ - ١٢ ، ٢٠٠٠ م ، ص ٥٤٤ - ٥٥٤ ، ثم طورتها في كتابي (في نقد التحقيق) .

٣ - ص ١٦ : (المنتخل) وهو خطأ مطبعي مصحف ، وصوابه (المنتحل) ، على ما هو مطبوع منه . واحب ان اقول ان الصواب الدقيق هو (المنتخل) - بالخاء المعجمة ، وهو من تأليف ابي الفضل الميكالي ، كما تؤكد ذلك مخطوطة بودليان ، وان الثعالب اختار بعض ما فيه بكتاب سماه (المنتخب من المنتخل) حتى جاء احمد ابو علي فنشره بعنوان (المنتحل) سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م . هذا وقد حقق د . يحيى الجبوري كتاب (المنتخل) للميكالي (ت ٤٣٦ هـ) ، وصدر عن دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، بجزئين ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

ب - اسم الكتاب ومخطوطاته :

في الصفحات ١٤ - ١٧ بين المحقق ، تحت عنوان (غرر البلاغة) المخطوطات التي اعتمد عليها من الكتاب ، وهي ثلاث :

١ - مخطوطة دار صدام للمخطوطات ١١٤٨٥ ، ورمز لها بـ (م) .

٢ - مخطوطة مكتبة الاوقاف ٥٦٢٢ ، ورمز لها بـ (أ) .

٣ - مخطوطة برلين ٨٣٤١ ، ورمز لها بـ (ب) .

وقد اكد ان اسم الكتاب في المخطوطة الاولى : (غرر البلاغة في النظم والنثر) ، وفي الثانية (غرر البلاغة) ، وفي الثالثة : (غرر البلاغة في النظم) ، واحال الى بروكلمان .

اقول : كان مناسباً ان يعقد المحقق هذه الصفحات تحت عنوان (مخطوطات الكتاب) كما كان ضرورياً - بل واجباً - اثبات تلك المخطوطات التي اشار اليها بروكلمان^(٣) وارقامها ومظنة وجوبها .

ثم ان مخطوطة برلين التي رجع اليها المحقق ، ذكر بروكلمان ان اسمها (غرر البلاغة وطرف البراعة) ، وهو اسم يتفق معي د . قحطان انه يختلف عما اثبته ، وهذا الاسم نفسه حملته مخطوطتا مكتبة فيض الله ١٦٧٦ والفاتح ٥٤٣٢ - ٣ .

ويوجد عنوان اخر هو (اللالي والدر) في مكتبة ايا صوفيا ٣٧٩٥ - ٣٧٩٦ ، وبالعنوان نفسه - فضلاً عن عنوان هو (غرر البلاغة في النظم والبراعة) في المتحف البريطاني ٧٧٥٨

(ثالث ٦) وبطرسبورج ثان ٦٦٦ . علاوة على وجود مخطوطة اخرى للكتاب بعنوان (غرر البلاغة ودرر الفصاحة) في بشير اغا ١٥٠ ، اشار د . قاسم السامرائي الى انه مما الفه لخوارزمشاه^(٤) . اما مخطوطة كويرلي ١٢٩٠ فتحمل عنوان الكتاب المحقق المطبوع نفسه^(٥) .

لقد وجدنا ان يفصل د . قحطان في امر هذه المخطوطات واسم الكتاب ، واساس اختياره الاسم الذي طبع الكتاب به . ويلاحظ على المخطوطات الثلاث ، نتي اعتمد عليها :

١ - يفضل اثبات صور المخطوطات (الورقة الاولى والاخيرة لكل منها) ، لما لذلك من دلالة علمية .

٢ - ورد في هوامش الصفحات ٤٢ ، ٦٥ ، ٨١ ، ١٤٠ - ١٤١ ... عبارة « في الاصل » ، ويعني بها مخطوطة دار صدام التي رمز لها بـ (م) ، فلماذا كلمة (الاصل) هذه ان ؟

٣ - وردت ص ١٧٥ ابيات سقطت منها كلمتان ، فعلق المحقق في هامشين له ، انهما سقطتا من (م) وان « الزيادة من بقية النسخ » . اقول : لا معنى لعبارة المحقق تلك ، فالأولى ان يقول : الزيادة من المخطوطتين الآخرين .

٤ - في النسخ الخطية هذه بعض الاخطاء والاسقاط ساعد كتاب (الاعجاز والايجاز) المحقق في رسمها ، وتقويم منادها ، وخاصة تلك التي تتقدم النصوص الشعرية في اثبات اسم الشاعر ، فممنصور الفقيه ص ١٢٤ ثابت في الاعجاز والايجاز ٢٥٤ ، وابو محمد الحسن بن علي الشاشي ١٥٩ وارد في الاعجاز ٢٤٣ ، وجاء لقبه محرفاً ، وهو ما لم يشر اليه المحقق !

ج - حقيقة الكتاب :

في الصحيفتين ١٧ - ١٨ كتب المحقق عن : غرر البلاغة وكتاب الاعجاز والايجاز و : عملنا في التحقيق مما خلا منه كتاب الاعجاز والايجاز المطبوع . وخلاصة رأيه ان كتاب غرر البلاغة والاعجاز والايجاز او الايجاز والاعجاز - المطبوعين سنة ١٨٩٧ و ١٣٠١ هـ - هما لمؤلف واحد ، وانه اهدى (الفر) للقاضي ابي احمد منصور وانه « المخدم بهذا الكتاب » ، ولم ترد هذه العبارة في الاعجاز والايجاز ص ٢٢٦ ، مما يعني ان الثعالب غير عنوان الكتاب ، واهداه الى غيره ، وان كثيراً من النصوص التي وردت في الفر لم ترد في الاعجاز والايجاز ، كما ان هناك امثلة في الاعجاز لم ترد في الفر ... قال عباس الجراح :

هذا هو رأي د . قحطان في الكتاب ، ونعقب على ذلك بالقول :

١ - طبع الكتاب فضلاً عن الطبعيتين المشار اليهما - في الاماكن الاتية :

- نشر فان فلوتن في لندن مع ترجمة لاتينية عام ١٨٤٤ م قطعة

من الاعجاز والايجاز بمنوان (احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام) : وهو من اختصار الامام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) .

- عن طبعة اصاف ، صدرت طبعة مصورة قامت بها دار بيان ودار صعب ببيروت ، د . ت ، كما صورتها دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ولمجد اللطيف بن محيي الدين الدمشقي كتاب (منتخب اعجاز الایجاز) ، منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ٢ - اسارع فاقول ان كتاب (غرر البلاغة) هذا هو نسخة من (الاعجاز والایجاز) وليس كما ظن د . قحطان واذا كان د . رزوق فرج رزوق قد كتب مقالة (*) قابل فيها مخطوطة الاوقاف مع الایجاز المطبوع ، وخرج بالنتيجة نفسها ، فاني اؤكد ان د . رزوق لو أتبع له الظفر بالنسختين اللتين رجع اليهما د . قحطان واعني بهما : مخطوطة دار صدام والمخطوطة البرلينية ، لخرج من فوره بالرأي نفسه ، ذلك ان هاتين المخطوطتين خلتا من الزيادات والاوهام التي وقع فيها ناسخ المخطوطة الاوقاف :

وفضلاً عن هذا كله فان دليل د . قحطان على وجود عبارة « المخدم بهذا الكتاب » في (الغرر) وعدم وجودها في (الاعجاز) يعني ان الثعالبي اهدى الكتابين لشخصين . اقول : هذا الدليل مربوط علمياً ، ذلك لانني وجدت العبارة نفسها ، وفي الموضع نفسه واردة في الایجاز ط ١٣٠١ هـ - ص ٩٨ . وهذا يؤكد مجدداً ان الكتابين واحد ، ولشخص واحد .

بقي امر الزيادات التي حدثت في الكتاب ، فاقول : لفت نظري وجود زيادات خطيرة حصرها المحقق - مشكوراً داخل عضائتين ، ولقد رأيت انها ليست من اسلوب الثعالبي ولا منهجه ، ذلك ان الكتاب يشبه منهج (التمثيل والمحاضرة) والقسم الثاني من (لباب الاداب) ، ولا ادري كيف جازت تلك النصوص على المحقق الفاضل ، الذي سبق ان خبر المصنف في تحقيقه الكتاب الاخير .

اعود فاقول : ان النصوص هذه كان ناسخ مخطوطة الاوقاف (آ) قد اثبتتها معترفاً بذلك ، بقوله : « أحببت ان ألحق به بعض الاشعار وما يحسن الحاقه لصغر حجمه » . وهذا الكلام يدل على ان الناسخ اضاف نصوصاً ليست للثعالبي الى النص الاصلي ، وليس الى نهاية المجموع الخطي ، الذي ضم المخطوطة ، كما توهم المحقق والخاص بقصيدة الشبلي ورسالة صفى الدين الحلبي و... الخ ، فالزيادات كانت لزيادة حجم المخطوط (النص) .

واعترف انني فوجئت ان (يتساهل) د . قحطان فيقحم تلك النصوص الزائدة الى متن الكتاب ، على الرغم من انها طارئة

وليست من اختيار الثعالبي ، وهو يعلم - تمام العلم - ان التحقيق ليس بمعناه النقل الحرفي لما ينسخه النساخ المساخ ، بل يكون بالمراجعة والتثبت وفحص النصوص وتوثيقها .

اما النصوص المقحمة الزائدة فهي :

١ - ص ٦٩ - ٧٢ ، اقوال : ارسطو طاليس وافلاطون وسقراط وهي نصوص طويلة جداً .

٢ - ص ٩٩ - ١٠٠ ، كلام ابي العتاهية عن ابي نواس .

٣ - ص ١٠٤ - ١٠٥ ، قصة خالد الكاتب .

٤ - ص ١٢٧ ، كلام عن بيتين لكشاجم .

٥ - ص ١٤٩ ، تعريف باسحاق الصابي .

ان هذه النصوص بيئة الزيف ، وواضحة التزويد على الكتاب ، لذا كان على المحقق ان يحتاط للامر فينقلها ان اراد - الى الهامش ، كما فعل مع النص الوارد ص ١٢٩ - ١٣٠ .

على انني ما زلت استغرب كيف فات د . قحطان النص الوارد ص ١٢٧ : « قال صاحب ديوان الصباية ، قد بلغ النهاية كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن التأخر فخياله في الطيف بقوله : » وذكر بيتين بائنين .

فهذا النص مزيف لان (ديوان الصباية) هو كتاب لابن ابي حجلة التامساني ، المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ، وكتابه مطبوع عدة مرات ، فمن المستحيل ان ينقل الثعالبي عنه نصاً ، وبينهما نحو ثلاثة قرون ونصف . لقد تأكدت من هذه النصوص المزيدة الى الكتاب ، قبل ان اطلع على (الاعجاز والایجاز) الذي خلا منها ، فهي مقحمة على (الغرر) .

■ اما بخصوص الاسقاط التي وردت في الاعجاز ولم ترد في الغرر ، فاقول :

ثمة ابیات وردت في (غرر البلاغة) ولم ترد في (الاعجاز والایجاز) من ذلك البيت الحائي الثالث ص ٤٧ لذي الكفائيتين ، والبيت الثاني للصنوبري ص ١٣٢ ، فضلاً عن البيتين الاخيرين الرائيين ص ١٤٥ للوزير المهلب ، وهذه الابيات لم يشر المحقق الى تفرد (الغرر) بها ، وعلاوة على هذه الزيادات ، فثمة زيادة مخطوءة ، هي تكرار وقع فيه ناسخا المخطوطتين (م) و (ب) ، فقد ورد في الصحيفة ١٠٢ - ابیات لمنصور النمرى ، البيتان الاولان داليان ، ثم ثلاثة ابیات رائية فعلق المحقق انها « ساقطة من آ والاعجاز والایجاز » .

اقول : هذه الابيات مكررة ومقحمة ، فقد وردت كاملة في ترجمة علي بن الجهم ص ١٣١ ، ورجع المحقق الى ديوانه ، اما البيتان الداليان ، فقد وردا ضمن اربعة ابيات ، وجاءت الابيات الرائية صحيحة الضبط والرسم ، فكيف جاز هذا النص على المحقق ، الم يراجع الكتاب ١٩ لذا فما ورد في (آ) والاعجاز والایجاز صحيح

وخال من الاضطراب .

ولقد كان من الواجب على المحقق ان يشير الى جميع الاختلافات بين (غرر البلاغة) و (الاعجاز والايجاز) ، لكنه لم يفعل ذلك ، خلافاً لما اكده في عمله في التحقيق - ص ١٨ - وسوف اكتفي بذكر نماذج منها .

- ففي الغرر ورد ص ١٩ : « فريد الدهر وبدر الهدى » وفي الاعجاز ص ٧ « فرد الدهر وبدر العصر » ، ونص الاعجاز صحيح ومناسب للسجع . وجاء ص - ٢٠ في الغرر : « وقد بينت في كتاب اللطيف في الطبيب الذي كنت خدمت به مجالسه - حرسه الله - بكتاب في الكلمات القليلة » وفي الاعجاز ص ٨ « وقد ثنيت كتاب اللطيف في الطبيب الذي كنت خدمت بتأليفه مجلسه - حرسه الله وانسه بكتاب ... » .

١ - ان نص الاعجاز واضح ودقيق على عكس الغرر الذي بدا مرتبكاً . وهذه الاختلافات لم يذكرها المحقق على اهميتها .

٢ - لم يعرف المحقق وهذا غريب - بكتاب (اللطيف في الطبيب) . اقول : هو كتاب الفه الثعالبي للقاضي ابي احمد منصور الازدي الهروي نفسه ، وانفرد ابن قاضي شهبة فسماه (الطبيب) ، وقد ورد ذكره في جميع قوائم اثار الثعالبي .

- الغرر ص ٩٤ : « حماد عجرد ، غرة شعرها انشدناه ابن المعتز ، ورواه غيره لبشار ، ولايها كان فهو من البيان » .

الاعجاز ص ١٥٩ : « حماد عجرد ، غرة شعره ما انشده له ابن المعتز ، ورواه غيره لبشار ، ولايها كان فهو خير الكلام وسحر البيان » .

اقول : نص الاعجاز دقيق لاستحالة ان ينشد ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) الثعالبي - كما ورد في اول الكلام - فضلاً عن تمام الكلام في نهايته ، لذا كنا نأمل ان يضع المحقق الكلمات الواردة في الاعجاز داخل عضادتين في متن الغرر .

- ص ١١٦ : الغرر « له ملح وطرف في هدم المطرداره واحسنها قولها » .

- الاعجاز ص ١٦٢ : « له ملح وطرف في هدم المطرداره ، واحسنها واملحها قوله » وهو الصواب .

- ص ١٢٧ : الغرر وردت فيه ابيات لكشاجم ، منها الاول والثالث :

طسريت الى المـرأة فـروعتني

طـوالع زاد منهن اکتسابي

فاما شبيبة ففسرعت منها

لتشهد بالبراء الى الخضاب

اقول : ورد البيتان في الاعجاز ، هكذا :

الى المـرأة رحت فـروعتني

طـوالع قد ارت عيني مشابي

واما شبيبة فعدلت عنها

الى شرح الشبيبة بالخضاب

ولم يذكر المحقق هذا الخلاف الشديد بين الروایتين .

- ص ١٤٧ ورد في الغرر : ابو علي مسكويه [الخازن] وذكر المحقق ان (الخازن) من (آ) و (ب) واحال على اليتيمة وزهر الاداب ونسي ان الكلمة موجودة في الاعجاز ٢٢٧ وهو اولى بذكره ، وجاء ص ١٤٢ من (الغرر) بيتان لابي عمارة الصوري . خرجهما المحقق على اليتيمة ٣٠٦ / ١ ، وعلق على البيت الثاني :

مشى فدعا من ثقله الحوت ربه

وقال : الهي زانت الارض ثامنه

وعلق على هذا البيت بقوله : في الاعجاز ٢٢٠ اراد ثامن ضربة

انزلها الله على فرعون » .

اقول : كان عليه ان يخرج البيتين على الاعجاز ، اما التعليق فليس للثعالبي كما زعم المحقق ، بل هو من شروح ناشره اسكندر اصف ، بتصريف ! مع ملاحظة ان رواية الاعجاز للبيت الاول هي :

(اتقل من رأى) ولم يشر اليها المحقق ! والبيت في زهر الاداب ٤٤٢ / ١ بلا عزو ، ورواية العجز : « ... زينت الارض ثانية » .

- جاء ص ١٠٩ قول للمحقق : « في الاصل احسن ما قيل في الاغتراب » وهو سهو .. لان البيتين التالين لا علاقة لهما في الاغتراب » . وذلك عند ورود بيتين نونيين لابي تمام .

اقول : كان على المحقق في اقل تقدير ان يرجع الى الاعجاز والايجاز ص ١٨٥ ، وفيه ورد البيتان اللذان عناهما الناسخ ودما :

وطول مقام المسره في الحي مخلق

لديساجته فاغترب تتجدد

فاني رايت الشمس زينت محبة

الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

فالصحيح ايراد البيتين داخل عضادتين ، والعجيب انهما وردا

في لباب الاداب ٨٧ / ٢ ، ولم يدرك المحقق هذا !

- لقد احسن المحقق في ايضاحه للخلل الذي حدث في الاعجاز والايجاز والخاص بترتيب الشعراء ، ولكنني عثرت على نص مضطرب ، لم يكن مكانه صحيحاً .

فقد ورد ص ١٢٨ ما ياتي بعد علي بن محمد البسامي :

« [ابو] القاسم الاموي :

هو اشعر الناس في المراثي ، وليس له احسن من قوله فيها .

الا ان في كف المنيسة مهجة

تظل لها عين الملا وهي تدمع

هي النفس ان تبكي المكارم فقدها

فمن بين احشاء المكارم تنزع

واحسن ما قيل في اتمام الصفائح قوله « ثم بيتين على قافية الميم ، ثم : البحترى .

ونذكر المحقق في الهامش عن الترجمة والابيات : « ساقطة من م وب ومن الاعجاز والايجاز وما بين القوسين المعقوفين زيادة يقتضيها المقام » ثم ترجم للامدي .
اقول :

لا يعرف للامدي شعر على هذه القوة والجزالة ، هذا أولاً ، ثم ان المحقق لم يخرج الابيات الاربعة هذه على المظان التي وردت فيها ، ثانياً ، اما ثالثاً ، فان المحقق لم ينتبه الى ان وجود الامدي المتوفى سنة ٢٧٠ هـ قلق وغير صحيح ، خاصة انه يقع بين ابن بسام (ت ٣٠٣ هـ) والبحتري (٢٨٤ هـ) وان الثعالبي لا يمكن ان يقع في هذا الخطا في الترتيب الزمني للشعراء . ولقد رجعت الى الاعجاز والايجاز ١٨٧ فوجدت العجب العجيب ، اذ لم يرد عنوان (ابو القاسم الامدي) والنص الذي اثبته المحقق في هذا الموضع ، بل ورد : « قال ابو القاسم الامدي ... » والابيات وما بعده تابعة لمختارات من شعر ابي تمام التي تنتهي ص ١١٠ ، فقول الامدي والابيات كان من الصواب ان تلحق - حسب التسلسل الزمني ومنهج الثعالبي - بالمختارات من شعر ابي تمام ، اما وجودها هنا فخطا كبير وقع فيه ناسخ المخطوطة (أ) ، ولو ان المحقق رجع الى الاعجاز والايجاز ، او انتبه الى ان الامدي ليس شاعراً ، وان مكانه قلق هنا ، ولو رجع الى ديوان ابي تمام . اقول : لو فعل هذا لامكنه ان يتدارك الامر ، فيضع هذا النص القلق في مكانه الصحيح ، فضلاً عن ذلك فانه لم يرجع الى (الموازنة) للامدي او الى ديوان ابي تمام بشرح الصولي ٢ / ٣١٧ في تخريج البيتين المعنيين ، واخل بالبيتين الميميين وهما في ديوانه ٣ / ٢٦٩ (تحقيق محمد عبده عزام ، وهو احد مصادره !!

اخلى الى القول في امر الزيادات التي وردت في (غرر البلاغة) على الاعجاز والايجاز التي أثارها د . قحطان ليؤكد ان الثعالبي الف كتابه مرتين ولشخصين ، ان هذه الزيادات وقعت في قسمين :

الاول : زيادات قليلة - هنا وهناك - لا يكاد يخلو منها كتاب ما ، متعدد النسخ ، يسقط الناسخ ابيات من المخطوطة التي ينسخها ، للمجلة والاسراع بنسخ الكتاب ، وكذلك الحال في اختلاف الروايات ، فهي قصة لا يخلو كتاب منها ، فيدخل دور النساخ او الذين يقرؤون الكتاب ، فيضيفون روايات من عندهم الى النص وهذا ما حدث مع كتاب الاعجاز والايجاز^(١) .

الثاني : وهي الزيادات التي اكدها المحقق في هوامشه ، ولقد ثبت لدينا في السطور السابقة انه وهم في انها زيادات لانه ثبت

لدينا انها واردة في (الاعجاز والايجاز) لكن المحقق يرجع الى ذلك الكتاب مرة ، ويؤوي عنه مرات ، بل انه يفضل عليه (لباب الاداب) - لانه حققه !!

وامر هذه الزيادات واختلاف الروايات ارجو ان اكون قد ابنتها ووضحتها بجلية لان د . بزوق فرج رزوق ود . قحطان لم يدرساها على هذا النحو ، والتعمق .

ولعلمي اتقدم اكثر من هذا فاؤكد ان (غرر البلاغة) هو (الاعجاز والايجاز) نفسه . بدليل اخر ، هو قول الثعالبي في الاعجاز والايجاز : « بكتاب في الكلمات القليلة الالفاظ الكثيرة المعاني المستوفية اقسام الحسن والايجاز ، الخارجة عن حد الاعجاز الى الاعجاز » ص ٨ .

هذا النص يشير بصراحة الى ان اسم الكتاب هو (الاعجاز والايجاز) ، او (الايجاز والاعجاز) ، وهو نفسه موجود في كتاب (غرر البلاغة) ص ٢٠ ، ولم ترد في الكتاب الاخير اية عبارة تشير الى العنوان الجديد ولو تلميحاً ، لذا فاننا نرجح - في ضوء كل ذلك - ان الكتابين نص واحد لمؤلف واحد ، عمد النساخ الى اعطائه عنوانين مختلفين ، كما حدث مع كتاب اخر له هو (اجناس التجنيس)^(٢) ، وله تسمية اخرى هي المتشابه^(٣) ، وغير ذلك كثير في مصنفاته او مصنفات غيره ، بل ان نسخ هذا الكتاب التي عرضنا لاسمائها في بداية البحث لا تتفق جميعها حتى في الاسم !

ثانياً : الاحالات والتخريجات

احسن المحقق الفاضل في تخريج النصوص النثرية والشعرية وينزل في ذلك جهداً محموداً ، ولكن فانتت امور ، على النحو الاتي :
أ - النصوص النثرية : بخصوص القرآن الكريم كان يفضل ان تحصر الايات القرآنية داخل اقواس مزهرة ، وان تضبط بالشكل التام . ومن المؤسف اننا وجدنا فيها اخطاء مطبعية اشربنا اليها في نهاية المقال . وقد وردت في ص ٣٩ قوله تعالى : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ اَوْ الْقَتْلِ ، وَاِذَا لَا تُمْتَعُونَ اِلَّا قَلِيلاً ﴾ ولم يخرج المحقق الاية . وهي في سورة الاحزاب ١٦ .
اما الاحاديث النبوية الشريفة ، فيلاحظ ان بعضها خرجها المحقق على صحيح مسلم وصحيح البخاري والمجازات النبوية للشريف الرضي . وبعضها الاخر خرجها على كتب الادب ، وهذا لا يجوز ، كما ان قسماً منها سكنت عن تخريجها ! وقد اردت المشاركة في تخريج هذه الاحاديث الشريفة ، خدمة للحقيقة فاقول :

- قوله (樂) : « اياكم وخضراء الدمن » في جمع الجوامع للسيوطي ١ / ٢٦٣ . وقوله : « ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً

أبقى « في مسند أحمد بن حنبل ٣ / ١٩٩ .

- وقوله (𐤎𐤍𐤏𐤍) : « الشتاء ربيع المؤمن » في : كنز العمال ١٢ / ٢٢١ ، الجامع الصغير ٢ / ٨٤ .

- وقوله : « انكم تكثرون عند الطمع وتقتلون عند الفزع » في : الفائق ٣ / ١١٥ ، النهاية في غريب الحديث والاثار ٣ / ٤٤٣ .

- وقوله (𐤎𐤍𐤏𐤍) ص ٢٨ : « كاد الفقر يكون كُفراً » في : الجامع الصغير ٢ / ٢٢٦ ، حلية الاولياء ٣ / ٥٣ ، ١٠٩ .

- اما قوله عليه الصلاة والسلام : « اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه » فقد خرج على : العقد الفريد ١ / ١٧ .

والصحيح ان يخرج على : السنن الكبرى للبيهقي ٨ / ١٦٨ .

■ واذا انتقلنا الى النصوص الادبية ، رأينا ان بعضها يتطلب تخريجاً ، ذلك ان الثعالبي نثر تلك النصوص في كتبه ، لذا كان حرياً على محقق (غرر البلاغة) ان يلاحق تلك النصوص في كتبه تلك ، لا ان يلتقي بغيرها ، وهي متأخرة عن الثعالبي .

- ففي ص ٣١ ، خرج المحقق قولاً لمعاذ بن جبل على زهر الاداب . وحقه ان يخرج على التمثيل والمحاضرة ٣١ . وكذلك

فعل ص ٣٦ حين خرج قولاً لمعاوية ، اوله : « نحن الزمان ... » ، وكان عليه ان يخرج على : التمثيل والمحاضرة ١٣٣ ، الخاص

٨٦ ، اللطف واللطائف (ط بيروت) ٢١ .

كذلك لم يخرج قول مصعب بن الزبير لما اشتدت الحرب بينه وبين عبد الملك بن مروان ص ٢٨ على : لطائف اللطف ٢٢ .

وقول المهلب بن ابي صفرة ص ٣٩ ورد في التمثيل والمحاضرة ١٣٤ ، كذلك القول الثاني ليزيد بن المهلب . وقول اسماعيل بن

صبيح ص ٦١ - في خاص الخاص ٧ ، اما بعض اقوال البستي - ص ٦٦ - فقد وردت في : اجناس التجنيس (بغداد) ٤١ ،

وقولان للعتبي - ص ٦٧ - وردا في : الانيس في غرر التجنيس ١٢١ .

ومن الغريب ان ينص الثعالبي ص ٦٧ على كتابه (المبهج) واختار نصوصاً منه ، ثم لا يقوم د . قحطان بالرجوع اليه ، والتأكد

من النصوص الواردة هنا ، على الرغم من ان (المبهج) مطبوع في مصر سنة ١٢٢٢ هـ - ١٩٠٤ م ، فقد ورد « انس القبان ...

والطيب في خلقها » وهذا خطأ ، والصواب كما في : المبهج ص ٥٠ : (حلقها) ، مع العلم ان بعض نصوص (المبهج)

نثرها الثعالبي في كتابه الاخر : اجناس التجنيس (بغداد) ٤٥ - ٥٠ ، (بيروت) ٤١ - ٤٦ ، وفي (الفرد) نصوص اخرى

كنت اطمح ان تحال على كتب الثعالبي الاخرى ، ولن اشير اليها خوف الاطالة .

واذا انتقلنا من كتب الثعالبي الى مصادره ، الفينا ينقل عن

كتب بين يديه ، لكن المحقق الكريم لا يرجع اليها !!

- فقد ورد ص ٩٧ : « وكان الجاحظ يقول » . وسكت المحقق عن ذلك والنص في الاغانى ٤ / ٢٧ - ٢٨ ، وكرد الثعالبي النص في خاص الخاص ١١٠ والاعجاز والايجاز ١٦٠ .

- وفي الصحيفة نفسها وردت اربعة ابيات لامية لابي المتاهية ، ثم قال الثعالبي : « قال ابن المعتز : اجمع اهل الادب على انهم لم يسموا قافية احق بمكانها » .

اقول : كان على المحقق ان يهرع الى طبقات الشعراء المحدثين - وهو من مصادره ! ليجد ان النص هذا وارد فيه

ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، بدون الحرف (على) ، وكرد في الاعجاز والايجاز ١٦١ . كذلك رجع الثعالبي الى كتابه الاخر (الفصول

الصفار) ص ٤٧ و ٨٩ ، وقد جمعه د . محمد عبد المنعم خفاجي ، ولكن ما ورد ص ٨٩ يؤكد ان د . قحطان لا يعرف الكتاب ولا اين يفلق القوس .

- وجاء ص ٩٢ بيت لابي دهل الجمحي ، ويعد : « قال القاضي علي بن عبد العزيز : قد نفى عنه جميع النسيان اوجز لفظ

واحسنه » .

اقول : النص في : الوساطة بين المثني وخصومه ١٨٩ باختلاف بسيط ، وهو كتاب مطبوع ومشهور !! ومما يؤكد عدم

اطلاعه عليه : الهامش ٦٣١ وفيه اشارة للثعالبي في لباب الاداب الى القاضي الجرجاني هذا !

- ونص الثعالبي ص ١٥٧ على ان صاحب بن عباد انشد لعلي ابن هارون المنجم شعراً في كتابه (الروزنامة) فلم يرجع له

المحقق - اقول : الكتاب لم يصل الينا ، الا ان ما جمعه الشيخ محمد حسن ال ياسين منه ، ونشره ببغداد سنة ١٩٥٨ ،

لا ينبغي ان يحجم عن الرجوع اليه وتنتظر ص ١٨ - ١٩ منه او حتى يعرف به !

وثمة مصادر اخرى رجع اليها الثعالبي منها : قول لمحمد بن داود الاصفهاني ص ٧٦ وقول للامدي ص ١٢٩ ، فلم يرجع

المحقق الى كتابي (الزهرة) و (الموازنة) اما قول هارون المنجم ص ٩٣ فموجود في كتابه (البار) ، وهو مفقود ، لكن

د . يونس السامرائي جمع نصوصاً منه في مجلة المجمع العلمي العراقي ٢ : ١٩٨٦ م ، ص ٢٦٤ - ٢٩٧ ، فكان على

د . قحطان التعريف بهذا الكتاب ، والكتب السابقة والرجوع اليها .

ب - النصوص الشعرية :

احتلت النصوص الشعرية ثلثي الكتاب ، بدأها الثعالبي بآمرىء القيس وختمها بالميكالي ، وقد اعتمد المحقق على نحو

(٥٥) ديواناً لبعض هؤلاء الشعراء ويلاحظ ما يأتي :
١ - ثمة اشعار ذكر انها غير موجودة في الديوان ، وهي موجودة :
فقد ورد بيت جرير ص ٨٧ ، هو :

وابن اللبون اذا مالز في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس
فعلق : « البيت غير موجود في ديوانه » وهذا الكلام كان قد
قاله في لباب الاداب ١٦١ / ٢ .
اقول : البيت في ديوان جرير ١٢٨ / ١ (شرح محمد بن
حبيب) .

ورد بيتان ص ١٤٣ - على قافية الحاء ، ثم اخران على قافية
الراء للسري الرفاء ، فقال : انها ليست في ديوانه .
اقول : البيتان الحائيان في ديوانه ٥٥ / ٢ ، والرائيان في
٢٧٥ / ٢ ، وسبب ذلك انه اعتمد على طبعة غير علمية من
ديوانه ، ولم يرجع الى طبعة المرحوم حبيب حسين الحسني ،
الصادرة ببغداد .

٢ - من المعلوم ان الشاعر اذا كان له ديوان مطبوع يحال عليه ،
ويكتفي به عما سواه ، لكننا نرى المحقق - في بعض المرات -
يرجع الى المصادر الاخرى ، على الرغم من ان الديوان بين يديه ،
وفي تلك ائثال للهامش . ففي ص ١٠٠ - ١٠١ وردت ابيات
لسلم الخاسر ، رجع في معظمها الى : الاغاني ولباب الاداب
ونهاية الارب ، على الرغم من اطلاعه على ديوانه المجموع ضمن
شعراء عباسيون لغرونيباوم !

كما انه رجع الى ديوان ابي تمام ص ١١١ ، ولكنه خُرج بيتين
له على لباب الاداب والمنتحل !

٣ - لم يرجع المحقق الى كثير من الدواوين والمجاميع الشعرية
في تخريج كثير من القطع والمقطعات لعدد كبير من الشعراء ،
وساذكر امثلة على ذلك :

فقد وردت ص ١٠٣ ابيات لاحمد بن ابي طاهر ، وهي في
مجموع شعره : اربعة شعراء عباسيون جمع وتحقيق هلال ناجي
٢٩٧ . وفي ص ١٣٣ وردت ابيات للقاضي التنوخي ، وهي في :
ديوانه ، جمع وتحقيق هلال ناجي - مجلة المورد ١ : ١٩٨٤ م ،
ص ٤٧ ، ٥٩ .

وفي ص ١٥٣ وردت ابيات لابن نباتة السعدي ، وهي في
ديوانه ، تحقيق عبد الامير الطائي ٧٣ / ٢ ورواية صدر الثاني .
(فان الحسام يجز الرقاب) و : ١ / ٢٧٣ - ٢٧٤ ، واخل
الديوان بالقطعة الثالثة .

وفي ص ٢٩٧ ، ٣١٨ ابيات لابي هفان ، هي في مجموع
شعره ، جمع وتحقيق هلال ناجي ، مجلة المورد ، ١ : ١٩٨٠ م ،
ص ١٩٦ ، ١٩١ .

علاوة على عدم رجوعه الى دواوين : عدي بن الرقاع ، والمعتبي ،
والخريمي ، والناشي ، الاكبر والوزير المهلب ، والمعتبي ، وابي
طالب الماموني ، ومحمود الوراق ، وابن لنكك ، وابو سعد
المخزومي ، والحارثي ، وابن بسام ، والمطوي ، ومحمد بن
كناسة ، وابي علي البصير ، وابن طباطبا العلوي ، ومنصور
الفقيه ، والحمدوني ، ويزيد المهلب ، والاببيوردي ، والحسين بن
الضحاك ، وابي عيينة المهلب ، والبيفاء ، وعبيد الله بن
عبد الله بن طاهر ، وحمام عجرد ، وعبد الرحمن بن حسان بن
تابت ، وابي دهل الجمحي وذي القرنين بن ناصر الدولة والوآواء
الدمشقي ...

ان الاكتفاء بالرجوع الى هذه الدواوين امر علمي ومنهجي ،
يفني عن تخريج الاشعار على المظان الاخرى .

تخريجات اخرى للاشعار : اضيف هنا - بعض التخريجات
الضرورية على عدد من النصوص الشعرية ، مما فات المحقق
الكريم خدمة للحقيقة :

- ص ٩٢ ورد بيتان على قافية الحاء المكسورة . اقول : هما في :
خاص ٢٨ ، ومحاضرات الادباء ١ / ٢٨٩ ولابن بسام في :
المستدرک على فُتُح الدواوين ١ / ١٩ ، وبلا عزو في : امالي
القالبي ١٢٧ / ٣ .

- ص ٨٠ ، بيت لبشر بن ابي خازم ، عجزه : وايدي الندى في
الصالحين قروض ، وخرجه ديوانه ١٠٦ ، اقول : الصواب : ... في
الصالحين وهو في ديوانه ١٠٧ .

- ١٠٣ ، ورد بيت على قافية الدال ، ذكر المحقق في الاعجاز
٢٦٧ ، والصواب ٢٦١ .

- ١٧٣ ، وردت ابيات لامية لابي سعد بن خلف ، ذكر انها في
لباب الاداب ١٨٢ / ٢ ، والصواب ١٨٢ / ٢ - ١٢٩ .

- ٩٤ ، ذكر المحقق ان ابيات حماد عجرد الدالية في طبقات
الشعراء ٧٩ ، والصواب ٦٩ - ٧٠ .

وعلق المحقق في الهامش : « في الاصل : بعد ما نام » اقول :
وهي رواية ثمار القلوب ، وهي الرواية الصحيحة لا ما رجه .

- ١٢٠ ، بيتان بائيان لابن المعتز ، خرجهما المحقق على
ديوانه ، بغداد ٢٠ / ٣٠ ، وذكر انه في اجزاء متعددة اقول :
الذي صدر ببغداد هو شعر ابن المعتز ، لا ديوانه ، والتقدير بعنوان
الكتاب مهم ، ويقع في ثلاثة اجزاء ، وجزء رابع للدراسة ، وليس
في « اجزاء متعددة » . والبيتان - ايضاً - في تنمة ديوان
الصنوبري ١٣ .

- ص ١٣١ وردت ثلاثة ابيات رائية لملي بن الجهم لم ترد في
ديوانه . اقول الاول والثاني في كتاب الاداب ١٢٤ : بلا عزو .

- ص ١٣٧ ورد بيتان داليان لابي محمد الفياضي .

أ - التكرار : ورد في الكتاب عدد من الاعلام مرتين ، واذا ترجم لهم المحقق في المرة الاولى ، كان يحيل اليها اذا تكرر الاسم ثانية الا انه سها فكرر ترجمة عدد منهم ؛ وهم :

١ - البيهقي ، ترجم له في الصحيفة ٦٥ ، ورجع الى مصدرين فقط ، ثم اعاد الترجمة ثانية في الصحيفة ١٤٠ ، ورجع فيها الى اربعة مصادر .

٢ - ابو الفتح البستي ، ترجم له في الصحيفة ٦٦ ورجع الى اليتيمة فقط ، ثم عاد ص ١٦٨ فترجم له بالرجوع الى ثلاثة مصادر .

٣ - الميكالي : ترجم له ص ٦٥ باختصار بالرجوع الى اليتيمة ، ثم كرر الترجمة مع بعض الزيادة ص ١٧٧ وزاد على اليتيمة : الوفيات والاعجاز .

٤ - القهستاني : ترجم له ص ٦٦ ورجع الى ثلاثة مصادر ، ثم عاد ص ١٧٦ وترجم له ورجع الى مصدرين ١١ والمحقق كان يمكن له ان يكتفي بالاحالة على الترجمة الاولى ، وعلى اية حال فانه لم يذكر سني وفياتهم !

ب - تراجم قصيرة واخرى طويلة : يلاحظ في التراجم انها مذبذبة ، فقد ترجم لابي هفان ترجمة قصيرة جداً - في الصحيفة ١٠٣ دون ذكر سنة وفاته وهي ٢٥٧ هـ . وكذلك الحال ص ١٤٢ مع السري الرفاء (المتوفى سنة ٣٦٢ هـ) . في حين انه ترجم لبعض الاعلام تراجم شبه طويلة على الرغم من شهرتهم ، وكان يكفي الاحالة على مصادرهم ، وهم : الجاحظ ص ٦٢ ، و : لقيط بن يعمر الايادي ص ٨٠ ، و : بشار بن برد ص ٩٣ ، و : ابو تمام ص ١٠٩ ، و : المتنبي ص ١٣٨ .

ج - اهمال مصادر الترجمة : يلاحظ ان المحقق اهمل ذكر مصادر تراجم بعض الاعلام ، فلا ندري من اين جاء بها ؟ ، ولا يخفى اهمية اثبات تلك المصادر للتوثيق والتخريج ، وذلك واضح في الصفحات ٣٠ - ٣٤ ، ٩٨ ،

د - كتب ليست للتراجم : ذيل المحقق عدداً من تراجمه بكتابي (لباب الاداب) و (الاعجاز والايجاز) للتحالبي ، وهما كتابان في الادب لا يصلحان كي يكونا في التراجم . فعلى سبيل المثال ورد ص ١١٤ : (عبد الملك بن عبد الرحيم) فعلق المحقق في الهامش : « في لباب الاداب ٧٤ / ٢ عبد الله عبد الرحمن الحارثي ... » .

اقول : ما ورد في اللباب خطأ - حتى وان حققه د . قحطان ورجع اليه كثيراً بحماسة - فالصحيح ما ورد في الكتب الاخرى التي تعزز ما ورد في (الفرر) فكان - منهجياً - الاكتفاء بما ورد في : طبقات ابن المعتز ، والرجوع الى مقدمة كتاب (الحارثي حياته وشعره) لزكي ذاكر العاني - بغداد ١٩٨٠ م ، وكتاب

اقول : هما له في : خاص الخاص ١٤٥ ، التوفيق للتلفيق ٦٩ . حلبة الكميت ١٦٥ ، والثاني فقط في : ثمار القلوب ٢٧٢ ، ونسبا الى ديك الجن في فصول التماثيل (ط . دمشق) ٦٢ - واخل بهما ديوانه ، والى ابن المعتز في : شعره ٢ / ٢٦٥ ، ورواية صدر الاول : « اشرب هنيئاً على ورد وتوريد » .

- ص ١٤٢ : بيتا معد بن تميم ، هماله في انوار الربيع ٩٠ / ٤ ، والاول فقط لابن المعتز في شعره - المنسوب - ٢٨٦ / ٣ .

- ص ١٤٦ - البيتان الاخيران من القطعة النونية لابي القاسم ابن ابي العلاء ، هماله في : ثمار القلوب ١٥٩ ، خاص الخاص ١٧٥ ، التوفيق للتلفيق ٨١ .

- ص ١٤٨ : البيتان الاخيران للصاحب بن عباد النونيان ، هما في التوفيق للتلفيق ٦٩ ، وقد نسبنا الى ابي الهندي ، واخل بهما ديوانه ، صفحة د . عبد الله الجبوري .

- ص ١٥١ ، وردت ثلاثة ابيات نونية لابي العباس الضبي اقول : هي في : خاص الخاص ١٦٦ ، والاول والثاني في : لطائف اللطف ١٥٠

٥ - ثمة اخطاء في الابيات الشعرية ، منها :

- ص ١٠٤ ، قول خالد الكاتب :

رقدت فلم تـرن للساهر

وليسـل المحب بلا اخر

ولم تـدر بين نهاب الرقاد

ما فعل الدمع بالناظر

وصواب الصدر : (رقدت فلم تـرت للساهر) وفي أمالي القالي :

« ولم » مع ملاحظة ان كلمة (الرقاد) في البيت الثاني ، يجب وضع الدال في عجزه ، وهما ايضاً في : خاص الخاص ٩١ ، المختار من شعر بشار ١٣ .

- ص ١٧٢ : ورد

لا يؤنسـك من مجد تباعده

فان للمجد تدريجاً وترتياً

والصواب : لا يؤنسـك ليستقيم المعنى ، وهو ليس خطأ

مطبعياً ، بدلالة ما كتبه المحقق في الهامش .

- ص ١٥١ : بيت ابي العباس الضبي .

لم يظلموا في الحكم اذا مثلوا به

فلشد ما رفع البنفسج شأنه

والبيت من الكامل وصواب الصدر : اذ مثلوا .

ثالثاً : التراجم

ترجم المحقق الكريم لاعلام الكتاب من الكتاب والشعراء معاً ، ولنا عليها الملاحظات الاتية :

(بحوث في النقد التراثي) للاستاذ هلال ناجي ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ص ٢٥ - ٣٤ . وهذا الكلام ينطبق على : الاعجاز والايجاز (تنظر : ص ٦٦ ، ١٥٤ ،) ، او : خاص الخاص

هـ - ترجمة مخطوطة : ورد ص ١٥٨ « ابو الحسن المنجم » فترجم له المحقق بقوله : « هو علي بن يحيى بن ابي منصور ... وهو شاعر محسن توفي بسامراء سنة ٢٧٥ هـ » .

اقول : وهذا خطأ ، والصواب : ابو الحسن احمد بن يحيى بن علي المنجم ، من شعراء الرضي العباسي ، توفي سنة ٣٢٧ هـ ، ترجمته في : وفيات الاعيان ٦ / ١٩٨ - ١٩٩ ، اخبار الراضي بالله للصولي ٢١ ، ٥٩ ، ١٣٧ .

ص ١٤٧ : العلاء السروي . اقول : كان عليه ان يضع قبله كلمة [ابو] ، وهو الصواب . ينظر - فضلاً عن : اليتيمة ٢ / ٥٠ التوفيق للتفريق ١٤٣ .

و - اعلام بلا ترجمة : في الكتاب اعلام لم يترجم لهم المحقق ، منهم : هبة الله بن المنجم ، ص ١٥٨ .

اقول : هو ابو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن علي المنجم ، روى عنه المحسن التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) ينظر : الفرج بعد الشدة ٥ / ٧٥ ، نشوار المحاضرة ١ / ١٥ ، ٣٧ .

وورد ص ٧٥ (ابو الحارث - مير) ، في الصواب (ابو الحارث جمين . ترجمته في : برد الاكباد ١٦١ ، التوفيق للتفريق ١٣٢ .

ز - ترتيب المصادر : لا يلتزم المحقق بالمصدر الاقدم عند الترتيب الزمني للمصادر ، ففي ص ١٠٠ ، هامش ٦٨ ، قدم وفيات الاعيان على طبقات الشعراء ، و ص ١٠١ ، هامش ٦٩ ، قدم الاغاني على طبقات الشعراء والشعر والشعراء ...

رابعاً : المصادر والمراجع

في الصفحات ١٧٩ - ١٨٣ اثبت المحقق قائمة بالمصادر والمراجع ضمت (١٨٠) كتاباً رجع اليها في تخريج نصوص الكتاب وتوثيقها ويلاحظ عليها :

١ - سقطت منها كتب رجع اليها ، وهي : اخبار المراقسة واشعارهم ، تاريخ الادب العربي ، جحظة البرمكي لمزهر السوداني ، حماسة ابن الشجري ، النثر الفني لزكي مبارك .

٢ - ثمة مصادر غير علمية اعتمد عليها ، على الرغم عن صدور نشرات علمية افضل منها ، وهي :

- رجع الى طبعة سنة ١٣٣٠ هـ لكتاب (جمهرة اشعار العرب) واهمل تحقيق د . محمد علي الهاشمي ، الرياض ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- رجع الى طبعة سنة ١٩٣٩ م من ديوان امرىء القيس وترك

طبعة محمد ابي الفضل ابراهيم القاهرة ، ١٩٦٣ م .

- رجع الى طبعة دار الكتاب العربي من ديوان جميل بثينة واهمل

تحقيق د . حسين نصار ، القاهرة ، ١٩٦٧ و ١٩٧٧ م .

- رجع الى طبعة سنة ١٣٥٥ هـ من ديوان السري الرفاء ، على

الرغم من صدور تحقيق د . حبيب الحسني بغداد ١٩٨١ م .

- رجع الى طبعة بيروت - ١٣١٢ هـ - من ديوان كشاجم ، وترك

نشرة السيدة خيرية محمد محفوظ ، بغداد ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ .

- رجع الى تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد لكتاب

(وفيات الاعيان) واهمل تحقيق د . احسان عباس - بيروت .

٣ - يفضل اثبات سني وفيات المؤلفين ، مع ذكر جميع البيانات

الاخرى : سنوات الطبع واسم المحقق ،

خامساً : مآخذ متنوعة

ندرج هنا بعضاً من المآخذ التي لم نساكها في الملاحظات السابقة :

١ - ان طباعة الكتاب ليست افضل من (لباب الاداب) وقد صدرا عن دار النشر نفسها ، فكنا نتمنى - في اقل تقدير - ان يطبع اسم كل شاعر بحرف اسود بارز ، وان يبدأ الباب العاشر بصفحة جديدة .

٢ - يفضل ان تكون ارقام هوامش الكتاب (النص المحقق) منفردة عن ارقام هوامش المقدمة .

٣ - المحقق لا يفرق بين التصحيف والتحريف ، فقد ذكر ص ٨١ ان (فزعا) و (قرعا) تحريف والصواب : تصحيف وفي ص ١٢٦ ان (الانطاكي) و (الانماطي) تصحيف ، والصواب تحريف وينظر : ص ١٠٢ (هامش ٦٩٥) و ص ١٧١ (هامش ١١٦١) .

٤ - الكتاب خال من الفهارس المفيدة : واحد للاعلام واخر للاشعار

سادساً : الاخطاء المطبعية

فشت في الكتاب اخطاء مطبعية اثرت سلباً في محتواه على الرغم من الجهد في تصحيح بعضها وفيما يأتي التطبيقات التي عثرنا عليها :

وبعد ، فكانت تلك نظرات وملاحظات في تحقيق د . قحطان رشيد صالح لكتاب (غرر البلاغة في النظم والنثر) للتماليبي ، بعد تنقيح طويل في شتيت المطان ، وهي تحن الى طبعة ثانية تقوم زيغها وتستدرك فواتها وتصحح اخطاءها ، وفيها جوانب تستدعي التأمل ، ارجو ان اكون قد وفقت في طرحها .

والحمد لله رب العالمين

الصفحة السطر أو الهامش الخطأ				الصفحة السطر أو الهامش الخطأ			
الصواب	الخطأ	الهامش	السطر	الصواب	الخطأ	الهامش	السطر
اللجلاج	اللجلاج	هامش ١٩	١١٤	تتنزل	تنزل	هامش ٥٢	٢١
المهدي	لمهدي	هامش ٧٨٣	١١٤	محل	محل	هامش ٥٨	٢٢
حريج	حريج	هامش ٨١٥	١١٩	وكثير	وكثيرة	هامش ٦٣	٢٢
الى ابي القاسم	الى القاسم ابي القاسم	هامش ٨٢٩	١٢١	قروء	قروء	هامش ٦٥	٢٣
٨٧٤	طبع خطأ	هامش ٨٦٤	١٢٦	الوصول	الإصول	هامش ١١٢	٢٦
معجم الادباء	الادباء	هامش ٨٧٧	١٢٩	ت حذف الواو	وان	هامش ٧٣	٢٣
سبف	سبف	هامش ٩٣١	١٣٧	عمرو	عمرلاو	هامش ٢٠٤	٣٥
١٠٨٠	حل محل	هامش ١٠٧٩	١٥٩	الهمداني	الهمداني	هامش ٤٣٥	٦٤
سهل بن المزيان	سهيل بن المزيان	هامش ٢٠	١٦١	الفهستاني	الفهستاني	١٦	٦٦
الجمحي	الجمحي	الايخبر	١٨٢	المتهدي	المتهدي	١٣	٤٥
هندية	هنية	١٢	١٨٣	البيمة	البيمة	هامش ٣٢٠	٤٩
بعونك	بعونك	٦	١٩	الربيع	الربيع	هامش ٣٥١	٥٣
روائع	رائع	هامش ٤٧	٢٠	معجم	عجم	هامش ٣٩٤	٥٨
فعدل	فعدل	هامش ٢	١٠٦	ابو مليكة	ابو مليكة	هامش ٥٦٥	٨٤
احدى او اثنين	احدى واثنين	هامش ٣٣٣	٥٠	المجموع	المجموعة	هامش ٥٧٢	٨٥
ثمره	ثمر	١٥	٩٩	مدادها	مدارها	١٧	٨٩
توأمين	توأمين	٤	١٠٢	ابو	ابوز	هامش ٦٠٨	٨٩
تخر	تخر	٢	١٥٣	الشباب	الشباب	هامش ٦٩١	١٠١
ابو سعد الرستمي	ابو سعد الرستمي	١٠	١٥٤	احمد بن ابي	احمد ابي طاهر	هامش ١	١٠٣
مهورث	مهورث	٣	١٧٩	طاهر	طاهر		
				النظم	المنظوم	هامش ٧١٤	١٠٤
				الاعجاز	الاعجاز ومن	هامش ٧١٧	١٠٤
				والايجاز	الايجاز		
				ابو عيينه	ابو عيينه ان	هامش ١٢	١١٣

الحواشي :

(٦) ثمة مخطوطتان في دار الكتب المصرية ، الاولى برقم ٤٠٧ ادب والثانية برقم ٥٤٥ ادب ، بعنوان : (اعجاز الايجاز) . ونسخة ثالثة بعنوان (الاعجاز في الايجاز) في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل برقم (٨ / ٥ حسن باشا) ، فلعل في هذه النسخ - ومختصر النسخي - ما يسد النقص الحاصل في مطبعتي الكتاب - ينظر : دراسات توثيقية ٢٩٥ .

(٧) حققه د . محمود الجابر ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٧ ، وبغداد ١٩٩٨ م .

(٨) حققه د . ابراهيم السامرائي في مجلة كلية الاداب ، العدد العاشر ١٩٦٧ م ، واعاده ثانية في مجلة البلاغ ١٩٧٦ م .

(١) طبقات النحويين واللغويين ، مخطوطة المكتبة المركزية / جامعة بغداد ، رقم م خ ١٢٤ ، ج ٢ - ٢٨٧ .

(٢) تاريخ الادب العربي ١٩٠ / ٥ .

(٣) مجلة (المناهل) المغربية ، العدد ١٨ ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٤٥ .

(٤) التوفيق للتفريق : ٣٥ ، دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث : د . محمود عبد الله الجابر ، ١٩٩٠ م ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

مجلة المورد ٢ : ٢٠٠٠ م ، ص ١١٤ ، الانيس في غرد التجديس ٢٧ .

(٥) مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٤ ، ١٩٧١ م .

كتاب الأنبياء في العراق



الأنبياء في العراق

د/ محمد شمس الدين الكيلاني

معرض: نجلة محمد

من بين الكتب التي فرغت دار الشؤون الثقافية من طبعتها هذه الايام واستقبلتها المكتبات ، كتاب جديد مستحق القراءة ، مؤهل للدراسة ، لائق بالتوقف عنده هو كتاب « الانبياء في العراق » دراسة مقارنة بين « القرآن والتوراة والاثار » لمؤلفه الدكتور رعد شمس الدين الكيلاني .. وقد أخذت اهبطي لمعرضه وبسط نهجه بتان وتفصيل .. وعلى وفق التقليد المعهود نطالع مقدمة قصيرة لا تتجاوز الصفحات الثلاث ، نلمح فيها ان الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه ، وان تلك الرسالة اقتصررت على الانبياء الذين ظهوروا في العراق او الانبياء الذين مروا في العراق . كما نتبين ان المؤلف عمد الى (ادخال الاثار) مصدراً لتفسير النصوص التاريخية واستكمال الصورة التاريخية للرواية التاريخية المذكورة في النص القرآني والنص التوراتي والوثيقة الاتارية .. ولان الباحث قد ادخل « الاثار بصورة رئيسية ومهمة في اسناد الرواية التاريخية الاسلامية » - فانه « تاهب » لحسبان ان دراسته (الاولى من نوعها في العالم الاسلامي) . بعد المقدمة يأتينا الفصل الاول ، تحت عنوان ظهور الانبياء واثره في حضارات وادي الرافدين وكان مبحثه الاول البداية الواعية او فجر الوعي وفيه يتثبت « ان تحديد نقطة البداية بالنسبة لتاريخ او ما قبل التاريخ تبدو غير منطقية وغير علمية » . « فليس يسيراً البحث عن اشكال تطور الانسان وتطور وسائل عيشه واقامة المجتمعات الاولى ، وتكون المدن .. واستمرار النشاط الانساني .. » .

ثم تمرض الباحث لمناقشة بعض فرضيات الحياة والعدد الزمنية وما نشره الباحثون من ابحاث تتسم بالتعميم ثم جاء الى آخر نظريات التطور وهي نظرية (التطور الخلّاق) التي تبناها ب . ب . جراسيه - رئيس قسم التطور في جامعة السوربون التي وصفها (بالمنطقية) ومع ذلك فيقول « اذا نظرنا الى ما قبل التاريخ وجدنا الجزء المفقود يمثل ٩٩٪ من التاريخ » . ثم توصل لمعرفة فجر الوعي ورأى ان نشر علم الاحاة (PALEONTOLOGY) قد احدث اثراً عظيماً في مسار الابحاث العلمية التي تبحت عن اصل الحياة ، فجاء هذا العلم ليعزز الدراسات الاتارية وشكّل مع علم الاثار وحدة متصلة لخدمة الدراسات التاريخية .. ثم انتهى الى ان نظرية التطور الخلّاق تقتضي « خلق جينات جديدة تقوم بمهمة التطور والتغيير ونحن نسميها الاوامر الريانية الخلاقة المقدره بقدرها كما يقول تعالى « انا كل شيء خلّقه » بقدر » . ثم يصل الى المبحث الثاني وهو (آم عليه السلام) (ابو البشر) ويستهل الباحث مبحثه فيقول « ان دراسة آم وحياته من ضمن انبياء العراق كان بسبب وجود رقم طينية تؤكد خلقه من

الطين وجدت في التراث المعقدي لحضارة وادي الرافدين » .

ثم جاء الى قصة آدم في الرواية الاسلامية ليقارنها مع الرواية التوراتية ورؤية الرقم الطينية والمهم (آدم في الرقم الطينية) التي « الف السومريون والبابليون اساطير وقصصاً تتناول موضوع خلق الكون وخلق الانسان كما سطورة جلجامش ، واسطورة سومرية تذكر ان الالهة ارادت ان تخلق عبداً من الطين ، وان الختم الذي عثر عليه في آثار وادي الرافدين يعبر تعبيراً واضحاً على قصة جنة آدم .. كما تشترك عناصر هذه القصة بين الرقم الطينية والتوراة ثم يقول « ان قبول فكرة وجود آدم في جنته في وادي الرافدين فكرة منطقية ولا يسبب تبنيها اي تعارض مع نصوص صحيحة ودقيقة من احاديث او معاني آيات قرآنية » .

ونصل الى عنوان فرعي من هذا المبحث وهو « اهمية الملابس في قصة آدم » وقد وجدت آثار وصورة تؤكد ان فطرة الانسان مجبولة على ستر العورة ، وربطها بستر العورة والخطيئة الاولى عندما اكل آدم وزوجه من الشجرة .

ويصل الى المبحث الثالث وعنوانه (قابيل وهابيل) فذكر نصوص القصة كما وردت في العهد القديم والقرآن الكريم وقارن بين النصين واستخلص « ان هذه القصة وبتفاصيل قريبة قد وجدت على رقم طينية تحكى تراثاً سومرياً » .

اما المبحث الرابع فهو « اثر النبوات في حضارة وادي الرافدين » ويقول « ان تحليلنا لمقائد سكان وادي الرافدين القدماء يؤكد ان هذه المقائد بقايا نبوات ، ثم شرح اهم تلك المعتقدات وخلص الى انها تتفق اصلاً مع معاني آيات القرآن ، ومضى الى سمات النبوة ودعوتهم ، واورد نصوصاً من قصائد سومرية تؤكد ان حواء خلقت من ضلع آدم وهذا ما تؤيده الاحاديث النبوية . ثم يصل الى « قصة ايوب عليه السلام » فاستشهد بما قاله (كريم) عن رواية سومرية لفكرة قصة ايوب ، ونقل جزءاً من قصيدة سومرية نستشف منها ان الحضارة السومرية تمثل المحاولات الاولى للارتقاء الانساني على سلم الحضارة .. ثم نتقدم الى الفصل الثاني وهو (النبي نوح عليه السلام) (ابو البشرية الثاني) ونمضي الى المبحث الاول (متابعة تاريخية للتعرف على عصر النبي نوح) و « ان القرآن الكريم سجل لنا اهم الاحداث التي مرت على البشرية .. وشرح كيف « تواصلت بعد آدم في ذريته النبوة » ثم يقول « ان نوحاً قد عمر اكثر من جيله » واستند الى بعض الاحاديث حول معدلات بعض الاعمار « اما مكان النبي نوح ومجتمعه فياتينا تحت هذا العنوان وفي دراسة تحليلية ومقارنة ويستشهد « بالبيئة التي عاشها نوح وقومه ، التي هي بيئة زراعية وفيها بساتين وعلى مقربة من ضفاف الانهار » بداعي صناعة الفلك ، ويستشهد بما قاله الخبير الاثاري ويلكوكس حول « الجبل ويعصمني من الماء » ويخلص الى ان نجا نوح ومن معه (آية للعالمين) وبهذا تتظافر الأدلة لتؤكد حقيقة واحدة وهي ان العراق يمثل المكان المناسب للنبي نوح » .

ونطالع المبحث الثاني (دعوة النبي نوح) ويستله الباحث بقوله « كان عصر النبي نوح يمثل تكاملاً منطقياً وعقلياً ونضجاً في المجتمع البشري » ويؤسس على ما شرحه من مقياس تكريم العمل لمعارة الارض .. « لقد اسست قصة نوح القرآنية مبدأ ومقياساً للقيمة الانسانية وهو الايمان والعمل الصالح » ثم يخص « الطوفان » بعنوان المبحث الثالث . وان القرآن الكريم ذكر السفينة والحوار بين نوح وقومه واصناف الحيوانات التي وضعت في السفينة ولحظات الطوفان وجبل النضير الذي استقرت عليه السفينة ثم انتقل الى « الطوفان في الرواية التوراتية » ونقل ما جاء في سفر التكوين في اكثر من اصحاب وكيف جاء الامر بملء الفلك وتناقص المياه وانتقل الى الطوفان في الروايات التاريخية والرقم الطينية « وفصل ما جاء في ملحمة كلكامش ويخلص الى ان « كل التفسيرات التي ذهبت الى وجود آثار لطوفان هائل كلها غير دقيقة وان الرقم

الطبيعية تخدمنا في حالة واحدة فقط وهي تأكيد حدوث طوفان هائل في زمن موغل في القدم لا سبيل الى تحديده - « ثم نجى الى الفصل الثالث « ابراهيم الخليل عليه السلام ابو الانبياء » وفي المبحث الاول تناول « العصر والملاح - متابعة تاريخية » ثم عصر ابراهيم وعادت الاحداث تحدثنا « ان آم قد استقر في مكة بعد خروجه من الجنة ومن بعده نوح الذي مات ودفن في مكة ورحلة ابراهيم الى مكة كما نجد اخبار عاد وثمود في الدراسات التاريخية ومناهج الاتاريين ثم ينتقل الى الهجرات الرئيسية التي قلمت من جزيرة العرب نحو بلاد الرافدين ثم نجى الى المبحث الثاني « ابراهيم عليه السلام في نصوص القرآن الكريم والاحاديث النبوية - « إذ يطالعنا اول نص بما دار بين ابراهيم وابيه وتحذيره اباه من عبادة الاصنام - ثم نقرأ حادثة « تحريق - ٩ » وكيفية نجاته ثم ولادة اسماعيل والذهاب الى مكة وبناء الكعبة ، وكيف ارتبطت حياة ابراهيم بمكة من خلال اسماعيل الذي عاش مع امه هاجر ومات ودفن قرب امه ، وبعد ذلك يأتي « اسحاق عليه السلام » والآيات القرآنية التي تحدثنا عنه - ويعنذ يأتينا المبحث الثالث « ابراهيم عليه السلام » دراسة ومقارنة في المصادر غير الاسلامية والحفريات ، ثم « محاولة لتحديد عصر ابراهيم » اذ بدأ بما جاء في التوراة ثم « البحث عن ابراهيم عليه السلام في غير الكتب الدينية ثم الشرائع القديمة » وينتقل الى « شريعة حمورابي » لان عصر ابراهيم يمكن ان يوضع في موازنة ثم تنتقل الى المبحث الرابع « انبياء ارتبطوا بابراهيم عليه السلام ويعصره وبداهم (بلوط) ثم ايوب ..

وننتهي الى الفصل الرابع (النبي يونس عليه السلام) ونقرأ في المبحث الاول « يونس عليه السلام في الرواية الاسلامية » الذي تحدث عنه القرآن الكريم في سورة يونس والانبياء ، والصفات والقلم وقد ارتبط اسمه بقصة ابتلاع الحوت له ويعود بنا المؤلف الى القرن الثاني قبل الميلاد الى مملكة آشور وما ذكره (مالوان) اثناء حفرياته في اور ونيوى ..

ويعود المؤلف ليتحدث في المبحث الثاني - « المعجزات التي احباها الله تعالى لانبيائه » ونقرأ كيف ان البشرية في بدائيتها تحتاج الى المعجزات وان النبوءات توقفت عند محمد (ﷺ) واكتفت رسالته بمعجزة واحدة هي (القرآن) ثم نصل الى (يونس عليه السلام هل كانت دعوته قبل الحوت أم بعده) ثم المبحث الثالث (يونس عليه السلام في المصادر غير الاسلامية والحفريات) ثم يونس عليه السلام في الاناجيل ، ثم في الحفريات التي قال فيها ان هذه الرقعة تمكس لنا طبيعة ثقافة العصور القديمة .. واننا نقرر من بينها بعض خيوط الحقيقة التي تربطنا بيونس - اما المبحث الرابع فهو « انبياء مروا بالعراق » انبياء الاسر البابلي ومنهم دانيال وعزرا الكاتب ثم تحدث عن سقوط بابل .

واخيراً توافقنا الخاتمة - بنتائج الدراسة واهمها .

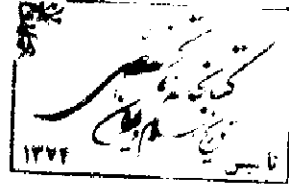
- ١ - البحث عن جنور حضارة وادي الرافدين اقتضى البحث عن اصل الحياة ونشونها .
- ٢ - تضمنت الدراسة آم عليه السلام وملاح حياته وان من المرجح ان تكون مكانته وجنته في العراق .

- ٣ - كذلك تضمنت الدراسة الانبياء الذي كان العراق يمثل نشاطهم .
- ٤ - وتعرضت الدراسة أيضاً لاهم حادث في عصر نوح وهو الطوفان .
- ٥ - من الانبياء الذين تضمنتهم الدراسة ابراهيم واسماعيل واسحاق والنبي يونس عليهم السلام .

اما خلاصة الخلاصة فهي ان وادي الرافدين كان مهد اولى النبوات والرسالات واولى الحضارات .

اخبار التراث العربي

الحسن الحريبي الخالدي



- الانباء بأنباء الانبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الامراء - للقضاعي ابي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي الفقيه المؤرخ (٥٥٤ - ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٠٠ م) وبذيله تنمة تاريخ الخلفاء العباسيين حتى سقوط بغداد وتنمة تاريخ الخلفاء الفاطميين حتى سقوط دولتهم في مصر لمؤرخ مجهول . تح . دراسة د : عمر عبد السلام تدمري ، ط - ١ ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ٤٢٢ ص متضمنة فهرس الكتاب الخمسة
- التعليقة على كتاب سيبويه - لابي علي الفارسي الحسن بن احمد بن عبد الغفار النحوي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ / ٩٠١ - ٩٨٧ م) تح . عوض بن محمد القوزي ، ط - ١ ، الرياض طبع مطابع الحصني ، ١ - ٦ مج والجزء السادس خاص بالفهارس الفنية وبه تم طبع الكتاب المهم في بابه وقد استغرق نشره قرابة خمس سنوات وقد ظلت (التعليقة) مجهولة او في حكم المفقودة . وهي أول شرح تام لكتاب سيبويه في القرن الرابع الهجري
- تكملة المعاجم العربية - تصنيف : رينهاردت دوزي (١٢١٥ - ١٣٠٠ هـ / ١٨٢٠ - ١٨٨٣ م) نقله الى العربية وعلق عليه : جمال الخياط ، ط - ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ج - ١٠ (م - ن) ٣٥١
- التوكل على الله والأخذ بالاسباب - لابن تيمية تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي (٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) حققه : ابو المجد حوك ، ط ٢ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ ، ١٣٦ ص
- جمل الاحكام - لابي العباس احمد بن محمد بن عمر الناطفي الطبري الحنفي الفقيه (٤٤٦ - ٥٠٠ هـ / ١٠٥٤ م) دراسة وتحقيق : حمد الله سد جان سيدي رسالة ماجستير باشراف د . محمود العكازي ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٤٨٥ ص
- الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين - لابن دقماق صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدير القاهري المؤرخ (٧٥٠ - ٨٠٩ هـ / ١٣٤٨ - ١٤٠٦ م) دراسة وتحقيق د . عمر عبد السلام تدمري ، ط - ١ ، بيروت ، المكتبة العصرية ويؤرخ هذا الكتاب الى حوادث ٨٠٥ هـ
- الجوهر النفيس في سياسة الرئيس - لابن الحداد محمد بن منصور بن حبيش الواعظ الموصل (٥٠٠ - ٦٧٣ هـ حيا / ١٢٧٤ - ١٣٠٠ م) دراسة وتحقيق : شكري صالح الصعيدي رسالة ماجستير باشراف د . نصر فريد واصل ، كلية الشريعة والقانون جامعة الازهر ، ٢٤١ ص
- خبايا الزوايا - للزركشي بدر الدين ابي عبد الله محمد بن بهادر ابن عبد الله المصري الفقيه (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ / ١٣٤٤ - ١٣٩٢ م) دراسة وتحقيق : عبد القادر عبد الله خلف رسالة ماجستير باشراف د . محمد مصطفى شحاتة ، كلية الشريعة ، جامعة الازهر ، ٧٧٥ ص
- الدر النضر في آداب الوزير - لابي الاخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي الشافعي (١١٠٦ - ١٢٠٠ هـ / ١٦٩٥ - ١٧٩٥ م) دراسة وتحقيق : محمد ابو الفتوح محمد البسيوني رسالة ماجستير باشراف د . عبد الجليل القرناشوي ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٢٤٢ ص
- كتاب الديباج - لابي عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي (١١٠ - ٢٠٩ هـ / ٧٢٨ - ٨٢٤ م) تح د . عبد الله بن سليمان الجربوع و د . عبد الرحمن بن سليمان العيثمين ، ط - ١ ، القاهرة مكتبة الخانجي ، ١٩٩ ص
- ديوان عبد الرحمن السويدي - ابي الخير عبد الرحمن بن عبد الله بن الملا حسين العباسي المطليبي الهاشمي (١١٣٤ - ١٢٠٠ هـ / ١٧٢١ - ١٧٨٦ م) حققه وعلق عليه د . عماد عبد السلام رؤوف ووليد عبد الكريم الاعظمي ، ط - ١ ، بغداد ، مكتبة القدس للطباعة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٢٣٣ ص
- الذريعة الى معرفة الاعداد الواردة في الشريعة - لابن العماد الاقنيسي شمس الدين ابي الفتح محمد بن احمد بن عماد القاهري الشافعي (٧٨٠ - ٨٦٧ هـ / ١٣٧٨ - ١٤٦٣ م) دراسة وتحقيق : واصف محمد ابراهيم دبيس رسالة ماجستير باشراف د . محمد مصطفى شحاتة ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ١٢٦٦ ص
- رحلة الى العربية السعيدة عبر المحيط الشرقي ومضايق البحر الاحمر - للفرنسي دي الاروك ترجمة : صالح محمد علي راجعه ونقحه : كامل يوسف حسين ، ط - ١ م ابو ظبي المجمع الثقافي ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٢١٨ ص
- رحلة العبدري - ابي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن

علي العبدري المتوفى بعد ٧٠٠ هـ. تج. د. علي ابراهيم قدم للكتاب د. شاكرا الفحام، دمشق، منشورات دار سعد الدين وقد اعتمد المحقق على مخطوطات المغرب واورية والاسكوريال ولينين وباريس

• رسائل ابن عربي: شرح مبتدأ الطوفان ورسائل اخرى دراسة وتحقيق: قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل، ط - ١، ابو ظبي الامارات العربية المتحدة، قدم المحققان للنص بـ ١١٥ ص. وهذه الرسائل تنشر لأول مرة ٣٥٠ ص

• رفع الستور والارائك عن مخبات اوضح المسالك الى الفية ابن مالك - لمحبي الدين عبد القادر بن ابي القاسم بن احمد بن محمد الخزرجي الانصاري (٨١٤ - ٨٨٠ هـ / ١٤١١ - ١٤٧٥) دراسة وتحقيق: احمد محمود عبد الستار، رسالة ماجستير باشراف د. ابراهيم حسن ابراهيم، كلية اللغة العربية، جامعة الازهر، ٧٧٤ ص

• السيرة النبوية - لابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ / ٨٢٩ - ٩٢٣ م) تج: جمال بدران، ط ٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٣٧٦ ص

• شرح ابيات المفصل - للمحبي محمد امين بن فضل الله بن محب الله الحموي الدمشقي المؤرخ (١٠٦١ - ١١١١ هـ / ١٦٥١ - ١٦٩٩ م) دراسة وتحقيق: احمد جمال الدين رسالة ماجستير باشراف د. محمد عبد المجيد الطويل، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٤٨٠ ص

• شرح الاشعار الستة الجاهلية - لابي بكر عاصم بن ايوب البطلبيوسي الاندلسي الوزير (٤٩٤ - ٥٠٠ هـ / ١١٠٠ م) تج الاستاذ. ناصيف سليمان عواد، ط - ١، بغداد طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، ج - ٢ في ١ - ٣ ق، ٢١٩ ص + ٢٢٥ ص + ١٨٩ ص. سلسلة خزانة التراث وقد صدر الجزء الاول منه عن وزارة الثقافة والاعلام بتحقيق الاستاذ عواد عام ١٩٧٩ م ووقع في ٧١٢ ص

• شرح البرماوي على لامية الافعال - للبرماوي شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى بن عبد الدائم القاهري (٧٦٣ - ٨٣١ هـ / ١٣٦٢ - ١٤٢٨ م) دراسة وتحقيق: عادل محمود محمد سرور رسالة ماجستير باشراف د. صبحي عبد الحميد محمد كلية اللغة العربية، جامعة الازهر، ٥٩٨ ص • شرح التصريف - لابي القاسم عمر بن ثابت بن ابراهيم بن عمر الثمانيني الموصلي النحوي (٤٤٢ - ٥٠٠ هـ / ١٠٥٠ م) دراسة وتحقيق د. ابراهيم بن سليمان بن ابراهيم اليعيمي، ط - ١، الرياض، مطبعة الرشد، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م اصل الكتاب رسالة دكتوراه

• شرح حماسة ابي تمام (تجلي غور المعاني عن مثل صور الفواني والتجلي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة) - للاعلام الشنتمري ابي الحجاج يوسف بن سليمان

ابن عيسى الاندلسي (٤١٠ - ٤٧٦ هـ / ١٠١٩ - ١٠٨٤ م) دراسة وتحقيق د. علي المفضل حمودان، ط - ١، دبي والامارات العربية المتحدة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دمشق - بيروت، طبع دار الفكر، ١ - ٢ مج في ١٣٤٠ ص وقد صدر الكتاب بمقدمة ضافية عن رواية الحماسة

في الاندلس وعن حياة الاعلم ومؤلفاته. وختم بالفهارس • كتاب شرح الشذرة الذهبية المسمى بـ « الفضة المضية في علم العربية » - لشهاب الدين ابي العباس احمد بن ابي بكر بن زيد الماتكي الحنبلي (ت ٨٧٠ هـ) دراسة وتحقيق: محمد جاسم عبد الساطوري رسالة ماجستير باشراف د. محمد جاسم معروف الهيتي، كلية التربية، جامعة الانبار، ١٤٢١ - ٢٣، ٢٠٠٠ ص (الدراسة والمصورت) + ٣٣٩ ص (النص المحقق) • شرح صحيح البخاري (شرح الجامع الصحيح) - لابن اللجام ابي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي الاندلسي (٤٤٩ - ٥٠٠ هـ / ١٠٥٧ - ١١٠٠ م) دراسة وتحقيق: ياسر ابراهيم محمد وابراهيم سعيد، ط - ١، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، ١ - ١١ ج

• شرح كتاب سيويه - للروماني ابي الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الوراق (٢٩٦ - ٢٨٤ هـ / ٩٠٩ - ٩٩٤ م) تج. د. المتولي بن رمضان احمد الديري ط - ١، القاهرة، وكالة الشروق للطباعة والنشر، ٢٩٠ ص وقد شرع المحقق بنشر القسم الصرفي منه عام ١٤٠٨ - ١٩٨٨ بسبب نقص النسخة التي لديه ثم وقع على مصورة تامة للكتاب وهي نسخة داماد ابراهيم باشا. فشرع من جديد في تحقيق الكتاب من اوله

• العقد الفريد في احكام التقليد - للسهمودي نور الدين ابي الحسن علي بن عبد الله بن احمد الحسن الشافعي (٨٤٤ - ٩١١ هـ / ١٤٤٠ - ١٥٠٥ م) دراسة وتحقيق: رمضان ابراهيم هتيمي رسالة ماجستير باشراف د. حسن احمد مرعي كلية الشريعة والقانون، جامعة الازهر، ٣٦٦ ص

• العقد الفريد لبيان الراجح من الخلاف في جواز التقليد - للشيخ ابي الاخلاص حسن بن عمار الشرنبلابي الوفاي الحنفي الفقيه (٩٩٤ - ١٠٦٩ هـ / ١٥٨٥ - ١٦٥٩ م) دراسة وتحقيق: دياب سليم محمد عمر رسالة ماجستير باشراف د. عيسى عليوه زهران، كلية الشريعة والقانون، جامعة الازهر، ٢٢١ ص

• علل النحو - للوراق (ابن الوراق) ابي الحسن محمد بن عبد الله بن العباس البغدادي الفقيه النحوي (٥٠٠ - ٣٨١ هـ / ١٠٠٠ - ٩٩١ م) دراسة وتحقيق د. محمود جاسم الدرويش، ط - ١، مكتبة الرشد.

• علل الوقوف - للسجاوندي ابي عبد الله محمد بن طيفور الغزنوي المفسر النحوي (٥٦٠ - ١١٦٥ هـ / ١١٦٥ - ١٤٢١ م) دراسة وتحقيق د. محمد عبد الله العبدري ط - ١، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، ١ - ٢ ج.

• عماد الرضا في بيان اب القضا - للشيخ زين الدين ابي يحيى

الحجبي اليماني الزيدي (ت ٥٤٥ هـ ترجيحاً) تحقيق ودراسة
د . فيصل مفتاح الحداد ، ط - ١ ، بنغازي منشورات جامعة
قادونس ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ١ - ٢ ج ، ٥٥٤ ص +
٥٥٧ - ٩٤٤ . وهو من كتب الامثال وقد اشتمل على المنظوم
والمنثور من الامثال العربية القديمة والمولدة المحدثه اما الجزء
الثالث منه الذي يشتمل على التشبيه المنظوم والمنثور فلم يطبع
بعد - فيما نعلم -

• مجمع البحرين وملتقى النهرين - لابن الساعاتي مظفر الدين
ابي العباس احمد بن علي بن ثعلب الفقيه الحنفي (٠٠٠ -
٦٩٤ هـ / ٠٠٠ - ١٢٩٥ م) دراسة وتحقيق : محمد علي
سلامة رسالة ماجستير باشراف د . محمد مصطفى شحاته ، كلية
الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٢٠٩ ص

• المحكم والمحيط الاعظم في اللغة - لابن سيدة ابي الحسن
علي بن اسماعيل بن سيده المرسي الاندلسي الضري (٣٩٨ -
٤٥٨ هـ / ١٠٠٧ - ١٠٦٦ م) - تح : مصطفى حجازي
وحامد عبد المجيد ، ط - ١ ، القاهرة ، معهد المخطوطات
العربية ، ج - ١٢ . فيه تم طبع الكتاب ، ٢٦٦ ص قطع كبير .

• المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الاسلامي -
د . احمد رجب محمد علي ، ط - ١ ، القاهرة ، الدار المصرية
الليبنانية ، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ ، ٢٠٠ ص

• مصادر دراسة الشعر العربي في العصر العباسي حتى سنة
٤٤٧ هـ - عوض محمد الدوري رسالة دكتوراه باشراف د . زوق
فرج زوق ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢١ هـ -
٢٠٠٠ م

• مقدمة القصيدة العربية في الشعر الاندلسي دراسة موضوعية
فنية - تأليف د . هدى شوكت بهنام ، ط - ١ ، بغداد ، طباعة
ونشر دار الشؤون الثقافية العامة و (آفاق عربية) وزارة الثقافة
والاعلام ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ٢٤٦ ص سلسلة رسائل جامعية
• من اعلام العلماء العرب في القرن الثالث الهجري - احمد عبد
الباقي ، ط - ١ ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ٠٠٠ -
١٩٩٠ ، ٢٨٨ ص سلسلة التراث القومي

• المنتخل - للميكالي ابي الفضل عبيد الله بن احمد ابن علي
الاديب الشاعر (٠٠٠ - ٤٣٦ هـ / ٠٠٠ - ١٠٤٤ م) تح
د . يحيى وهيب الجبوري ، ط - ١ ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي
١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ١ - ٢ ج في ١١٣٠ ص من ضمنها
الفهارس الفنية

• موسوعة اعلام العرب - اشرف عليها واعد موادها جمهرة من
الباحثين والعلماء ط - ١ ، بغداد ، منشورات بيت الحكمة ، طبع
المطبعة العربية ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ج - ١ (ا - ي)
• كتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث - لابن شاهين ابي حفص
عمر بن احمد بن عثمان البغدادي المحدث (٢٩٧ -
٣٨٥ هـ / ٩٠٩ - ٩٩٥ م) دراسة وتحقيق : محمد ابراهيم
الحفناوي رسالة ماجستير باشراف د . عبد الفلي محمد عبد
الخالق ، كلية الشريعة والقانون جامعة الازهر ، ٤٩٠ ص

زكريا بن محمد بن احمد الانصاري القاهري الشافعي (٨٢٦ -
٩٢٦ هـ / ١٤٢٣ - ١٥٢٠ م) دراسة وتحقيق : ابراهيم
نصار رسالة ماجستير باشراف د . الحسيني يوسف الشيخ ، كلية
الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٣٧٦ ص

• عيون المجالس - للقاضي ابي محمد عبد الوهاب بن علي بن
نصر البغدادي الفقيه المالكي (٣٦٢ - ٤٢٢ هـ / ٩٧٣ -
١٠٣١ م) دراسة وتحقيق : امباي بن كيباكاه ط - ١ ،
١٤٢١ - ٢٠٠٠ اصل الكتاب رسالة ماجستير

• غاية المامول في شرح ورقات الاصول - لشهاب الدين ابي
العباس احمد بن احمد بن حمزة الرملي المتوفى الانصاري
(٠٠٠ - ٩٥٧ هـ / ٠٠٠ - ١٥٥٠ م) دراسة وتحقيق :
سليمان موسى السطري رسالة ماجستير باشراف د . عيسى
عليوة زهران كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٣٧٠ ص

• فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستر بيتي (دبلن /
ايرلندا) اعداد د . محمود شاكر سعيد مراجعة د . احسان صدقي
العمد ، ط - ١ ، عمان (الاردن) دار آفاق للنشر والتوزيع ، ١ -
٣ ج اشتملت على ١٨٣٠ صفحة من القطع الكبير

• قدامة بن جعفر وتحقيق المنزلة الخامسة من كتاب الخراج
وصناعة الكتابة - دراسة وتحقيق : مسفر بن عزم الله الرميلى
رسالة ماجستير باشراف د . عبد الفلي محمد عبد الخالق كلية
الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٤٩٤ ص

• كتاب القواعد - لابن اللحام علاء الدين ابي الحسن علي بن
محمد بن عباس الدمشقي الحنبلي (٠٠٠ - ٨٠٣ هـ /
٠٠٠ - ١٤٠١ م) دراسة وتحقيق : عايض بن عبد الله
الشهداني وناصر بن عثمان الفامدي ، ط - ١ ، ١٤٢١ -
٢٠٠٠

• كتاب القواعد - لتقي اندين ابي بكر بن محمد بن عبد المؤمن
الحصني الدمشقي الشافعي (٧٥٢ - ٨٢٩ هـ / ١٣٥١ -
١٤٢٦ م) دراسة وتحقيق : عبد الرحمن الشعلان و د . جبريل
البصيلي ، ط - ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ١ - ٤ ج

• القول التمام في احكام الماموم والامام - لابن العماد
الاقفهي شهاب الدين ابي العباس احمد بن عماد بن محمد بن
يوسف الفقيه (٧٥٠ - ٨٠٨ هـ / ١٣٤٩ - ١٤٠٥ م)
دراسة وتحقيق : سعد ابو فرج رسالة ماجستير باشراف د .
الحسيني يوسف الشيخ كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ،
٥٤٠ ص

• ما اتفق لفظه واختلف معناه - لابي العميتل الاعرابي عبد الله
ابن خليل اللغوي الشاعر (٠٠٠ - ٢٤٠ هـ / ٠٠٠ -
٨٥٤ م) تح د . محمود شاكر سعيد ، عمان (الاردن) دار آفاق
للنشر والتوزيع ، ١٨٥ ص قطع كبير

• كتاب المثليين - المنسوب لابي الفرم مسلم بن محمد ابن جعفر